



السنة السادسة - العدد ٦٨
ذى القعدة ١٤٠٧ هـ - يونيو ١٩٨٧ م

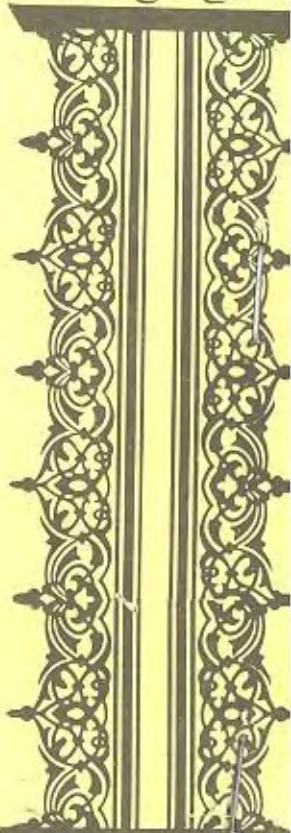
دَعْوَةُ الْحَقِّ
سلسلة شهرية
صدر مع مطلع كل شهر عربي



« ٤ »

تأليف

الإمام أحمد رضا عجمي



السنة السادسة - العدد ٦٨
ذو القعدة ١٤٠٧ هـ - يونيو ١٩٨٧ م

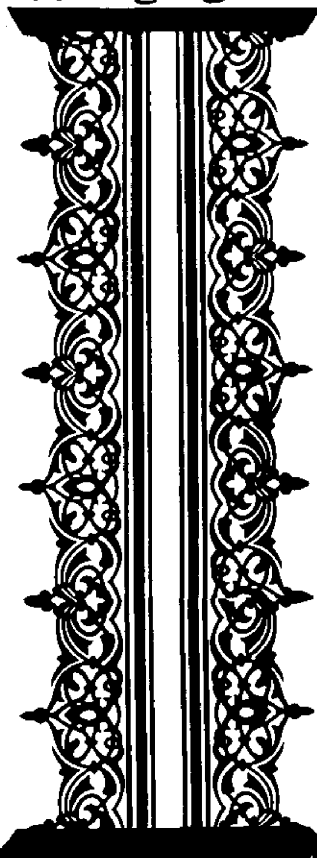


دَعْوَةُ الْحَقِّ
سلسلة شهرية
تصدر مع مطلع كل شهر عربي



تأليف

الإمام آية الله العظمى محمد باقر الصدر





بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا . مباركا فيه .. على ما أنعم به على من مواصلة الدرس والبحث في الموضوعات والقضايا القرآنية أحكاما كانت أم عقائد أم أخلاقا - فهذا فضل من الله كبير . وأنا مدين لله عز وجل بالحمد الجزيل ، والشكر الكثير - وبعد .. فهذا هو الجزء الرابع من كتابي (القرآن : كتاب أحكمت آياته) وهو تنمة لما سبقه من أجزاء في الموضوع نفسه .. موضوع كون القرآن الكريم أنزله الله عز وجل محكما ميسر التلاوة والفهم ، وما على المؤمن إلا أن يستعد بإيمان خالص . وذهن صاف ، وانتباه يقظ لتدبر معانيه ، وإدراك مقاصده ، حتى يتبين له أنه حق كله ، وخير كله ، وجمال كله .

وكل ما أتمناه : أن يتقبل الله مني هذا العمل الذي أخلصته له تبارك وتعالى : حباً لكتابه المجيد ورسوله الكريم ﷺ .
كما آمل ألا يغضب نقدي الكتاب والمؤلفين الذين تعرضوا في هذا الجزء والأجزاء الثلاثة السابقة - لاختلافهم في وجهات نظرهم ، ومعارضتي لفاهيمهم .. فالاختلاف بيننا موضوعي ، والمعارضة فكرية ، والود بيننا بعد ذلك قائم ، والتوقير دائم - والله على ما أقول شهيد .

أحمد محمد جمال

مكة المكرمة

في ذى القعدة ١٤٠٧هـ

يوليو ١٩٨٧م

الفصل الأول

موضوعات قرآنية

- مفهوم الآية : ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ .
- مفهوم الآية : ﴿خلق لكم من أنفسكم أزواجا﴾ .
- مفهوم الآية : ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾ .
- مفهوم الآية : ﴿ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا﴾ .
- الرؤيا الصادقة وأصغاث الأحلام .
- أيام الله وأيام البشر .
- نزول الغيث بين القانون والإرادة ..
- ﴿وكل في فلك يسبحون﴾
- الفضيلة بين نظريتين
- ألا له الخلق والأمر ..
- مشيئة الخالق لا تحدّى المخلوق
- الضمير في القرآن
- الدنيا بين الامتحان والامتحان
- المال والنفس في ميزان القرآن
- القرآن هل هو معجزة أدبية فقط ؟
- هل الإنفاق في مستوى الإيمان
- النفس الإنسانية في حديث القرآن
- الراسخون في العلم

حول مفهوم الآية :

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾

كتب إلى الأخ « غ . ح » وهو طالب جامعي - يقول إنه قرأ كتابي « القصص الزمري في القرآن » الطبعة الرابعة .. ولاحظ أنني في ص/ ٩٨ قلت : ونحب هنا أن نعقب على قول المفسرين القدامى بأن الآية : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾ من سورة آل عمران منسوخة بالآية : ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ من سورة التغابن وهو زعم لا حجة عليه من عقل ولا نقل .. فالمسلم مطالب أن يتق الله عز وجل في كل أموره حق التقوى ، وأن يراعى حرمانه حق الرعاية ، ولا يكون له عذر في معصية الله ومخالفة أمره إلا ما أكره عليه وقلبه مطمئن بالإيمان . وعليه أن يجتهد مخلصا .. فإن أخطأ فله أجر ، وإن أصاب فله أجران .

ويريد الطالب توضيحا لاعتراضى على القول بنسخ الآية وتأكيذا لوجهة نظرى إذا كان لدى ما أضيفه .

وأقول للطالب الباحث في أمور دينه - وهو يشكر على ذلك - إن وجهة نظرى العقلية واضحة في العبارة السابقة - وبقي أن أرجع به إلى ما قاله بعض المفسرين - أو ما نقلوه بعبارة أصح - عن كون الآية غير منسوخة ، وأن حكمها باق أبدا .

فقد أورد الحافظ ابن كثير في تفسيره - ج/ ١ ص/ ٣٨٨ - قول ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير قوله عز وجل ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ أى : أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن

يشكر فلا يكفر وهو مرفوع إلى الرسول ﷺ كما رواه ابن مردويه عن مرة بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : اتقوا الله حق تقاته .. أن يطاع فلا يعصى الخ وكذا رواه الحاكم في مستدركه عن ابن مسعود مرفوعا - فذكره ثم قال : صحيح على شرط الشيخين - وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس : إن هذه الآية لم تنسخ .. ولكن ﴿حق تقاته﴾ أن يجاهدوا في سبيله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، وأن يقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم . أهـ .

وفي تفسير القرطبي : ج/ ٤ ص/ ١٥٨ - أورد حديث ابن مسعود الذي ذكرناه آنفا وأضاف قول ابن عباس رضى الله عنهما : اتقوا الله حق تقاته : ألا يعصى طرفه عين - وأورد القرطبي خبر على ابن أبي طلحة عن ابن عباس : أن الآية ليست منسوخة . وهي ما ذكرناه بتمامه في الفقرة السابقة . ثم أورد القرطبي قول النحاس : إن كل ما ذكر في قوله ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ واجب على المسلمين ، ولا يقع فيه نسخ ورأى القرطبي أن قوله : ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ بيان لقوله ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ والمعنى : «اتقوا الله حق تقاته ما استطعتم .. فهو أصوب لأن النسخ إنما يكون عند عدم إمكان الجمع والجمع ممكن فهو أولى» أهـ .

وهكذا يتبين أن القول بنسخ الآية غير مقبول نقلا ولا عقلا : وقد لاحظنا خلال دراستنا المستمرة - بإذن الله وعونه - للقرآن الكريم : أنَّ هناك إسرافا من بعض العلماء في القول بالنسخ لكثير من الآيات المحكمة ، وأفردنا فصلا كاملا في كتابنا «القرآن كتاب

أحكمت آياته » ج/١ في نقد كتاب « الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم » للإمام أبي محمد علي بن حزم - رحمه الله - .
وإن كان لابد من ختام لهذا التعقيب .. فهو أن على المسلم ألا يركن إلى القول بنسخ الآية موضوعة البحث ، وأن يتق الله عز وجل حق تقواه ، وأن يجاهد في الله حق جهاده ، إلا أن يضطر اضطرارا واضحا بمرض أو إكراه أو أى عذر معقول ومقبول ، والله وحده هو الموفق والمعين .

حول مفهوم الآية :

﴿خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها﴾

نقلت بعض صحفنا المحلية - في زاوية المرأة - مقالا قما عن معنى هذه الآية الكريمة : ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا .. لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة . إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾^(١)

وقد أبدى كاتب المقال فهمه المؤكد لقوله عز وجل : ﴿لتسكنوا إليها﴾ على أنه خطاب للرجال وحدهم ، وأن (السكن) خاصٌ بهم .. أى أنهم هم الذين يسكنون إلى النساء ، ولا تسكن النساء إليهم ، وإن هذا دليل على اختلاف خصائص كل من الجنسين .. فأنفراد الرجل بِشُئْدَانِ السكَنِ إلى المرأة يدل على تباين الخصائص المعنوية بينهما . ويؤيد ذلك - في نظره - ما لحظه الإمام الرازى من أنه سكن روحى وليس سكناً حسيّاً^(٢) .

(١) سورة الروم الآية ٢١ .

(٢) جريدة (المدينة المنورة) في ١٣/٥/١٣٩٨ والمقال للدكتور البيهى حول .

ونحن - أولاً - نسلّم بأن خصائص كل من الجنسين مختلفة ومتباينة ، كما نسلّم بأن السكّن ليس سكناً جنسياً فحسب ، ولكنه سكن جنسى ونفسى معاً .

كما نرى أن هذه الآية القرآنية لا تتحدث عن اختلاف الخصائص بين الرجل والمرأة ، لأن (السكن) الوارد فيها ليس خاصاً بالرجال دون النساء بل العكس في مغزى هذه الآية القرآنية هو الصحيح وهو المراد .. أى أن الآية جاءت لتؤكد وحدة (الإنسانية) بين الزوجين .. مع التسليم باختلاف الخصائص والوظائف بينهما .

فالآية خطاب للرجال والنساء والله عز وجل يمنّ فيها عليهما بأنّه خلق لهم أزواجاً من أنفسهم وليس من غير جنسهم ، فالرجل من المرأة والمرأة من الرجل .

وليس خلق آدم عليه السلام أولاً ، ثم خلق حواء من ضلعه بعد ذلك يعارض هذا المعنى العام الدائم ... حيث تتابع التناسل من ذريته على المنوال الذى ذكرنا ، وحيث يُؤكد واقع (الإنسانية) فى الرجل والمرأة هذا المعنى الخلقى أو التكوينى لكلا الجنسين .

إن الله تبارك وتعالى - فى هذه الآية القرآنية - يقول للرجال : خلقت لكم أزواجاً من جنسكم ، ويقول للنساء أيضاً : خلقت لكم أزواجاً من جنسكن .. لتسكنوا أيها الرجال إلى النساء ، وتسكنن أيها النساء إلى الرجال .. والسكن هنا معناه الراحة والثقة والاطمئنان وهو ما نعبر عنه « بالرباط المقدّس » وقد أضاف القرآن نفسه - فى الآية ذاتها - ما يؤكّد هذا السكن ويفسره .. فى قوله

تعالى عز وجل : ﴿وجعل بينكم مودةً ورحمةً﴾ .

ونحن نلمس هذا (السكن) مع آثاره من المودة والرحمة بين الزوجين فيما نراه من إيثار الرجل للمرأة على أهله من أبوين وإخوة .. وإيثار المرأة للرجل على أهلها كذلك .

إن كلا منهما يحنُّ إلى زوجه أكثر مما يحن إلى أبويه وإخوته ، ولا يعارض هذا (الواقع) الزوجيَّ بين المرأة والرجل : ما جاء في القرآن وحديث الرسول ﷺ من مطالبة الأبناء ببر الآباء .. بل ربما يؤكد - بطريق غير مباشر - لأنه يعنى التحذير من طغيان العاطفة الزوجية على حق الآباء في برِّ الأبناء .

كذلك ما أسرع كلاً من الزوجين إذا أخطأ أو ظلم رفيقه .. إلى الندم ثم المصالحة والرضا بكلمة أو همسة ، ونسيان ما حدث من خطأ أو ظلم في لمح البصر ، ولا يكون ذلك على هذه الصورة السريعة بين الآباء والأبناء ، ولا بين الإخوة ، ولا بين البنات والأمهات .

إذن .. فهو (السكن) المقترن (بالمودة والرحمة) الذي شاء الله تبارك وتعالى أن يجعله آيةً بارزة من آيات قدرته وحكمته ورحمته .. في خلق نظام (الزوجية) بين الرجل والمرأة كي يتحدّا أنفساً وإن اختلفا أجساداً . - ففي هذا الاتحاد النفسى والاختلاف الجسدى (سر) الوجود الإنسانى تزاوجاً وتناسلاً ، وتعميراً للكون ، واستمراراً للحياة .

وقد راجعت - بعد كتابة هذا التعقيب - تفسير كل من الإمام الطبري والإمام ابن كثير والإمام النيسابوري رحمهم الله جميعاً -

فوجدتهم يذهبون إلى أن المراد هو سكن الرجل إلى المرأة ، واستأنسوا بما جاء في القرآن عن خلق آدم أولاً ثم خلق حواء من ضلعه وزاد النيسابوري أن (السكن) جسدى وليس روحياً كما ذهب إلى ذلك الإمام الرازى .

ثم راجعت تفسير (الظلال) للأستاذ سيد قطب رحمه الله ، فوجدته يقول : « .. قلما يتذكرون يد الله التى خلقت لهم من أنفسهم أزواجاً وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر وجعلت فى تلك الصلة سكناً للنفس والعصب ، وراحة للجسم والقلب ، واستقراراً للحياة والمعاش ، وأنساً للأرواح والضائير ، واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء » .

ويذكر الأستاذ سيد - رحمه الله - ختام الآية : ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيفسرها بقوله : (فيدركون كلمة الخالق فى خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقاً للآخر ، ملبياً لحاجته الفطرية : نفسية وعقلية وجسدية بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار ، ويجدان فى اجتماعهما السكن والاكتفاء والمودة والرحمة لأن تركيبهما النفسى والعصبى والعضوى ملحوظ فيه تلبية رغائب كل منهما فى الآخر وائتلافهما وامتزاجهما فى النهاية لإنشاء حياة جديدة تتمثل فى جيل جديد » ^(١) .

ونلاحظ - هنا فى تفسير الظلال - أن الأستاذ سيد - رحمه الله - يؤكد فى ألفاظ وعبارات واضحة : أن السكن الوارد فى الآية

(١) ص/ ٣٦ جـ ١٢ من ظلال القرآن .

سكن عصبى وعضلى ونفسى ، وأنه متبادل بين الرجل والمرأة على سواء وأن ذلك مقصور فى أساس التكوين من أجل إنشاء جيل جديد .

وصدق الله العظيم فيما تحدى به الجاحدين : ﴿ هذا خلق الله .. فأرونى ماذا خلق الذين من دونه ﴾ .

حول مفهوم الآية :

﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾

يبدو أن رأى القائل بأن معظم النظريات العلمية مازالت ظنوناً قابلة للنقض والتصحيح ، بمرور الزمن ، وبمواصلة البحث والتجريب - وجية ولا اعتراض عليه .

منذ عام ١٩٣٢ م ، والناس متعلقون بنظرية « دورة الإخصاب عند المرأة » التى طلع بها الطبيب اليابانى (أوجينو) والطبيب الألمانى (كناوس) .

وخلاصة هذه النظرية ، بتعبيرنا الأدبى الموجز المبسط ، أن لكل امرأة حائضة فترة معينة تقذف خلالها بالبويضة التى هى أحد عُصْرَى الحمل . أما باقى الفترات فتكون المرأة خلالها (مجدبة) ، أى لا تحمل مهما اتصل بها الرجل .

وحددت النظرية فترة الإجداب ابتداءً من اليوم الأول لظهور الحيض إلى اليوم العاشر ، ثم تبدأ فترة الإخصاب من اليوم الحادى عشر إلى اليوم السابع عشر ، حيث تعود بعد ذلك فترة الإجداب

إلى نهاية الشهر .

واستمر الناس - ونعني بهم الراغبين في تحديد النسل - في تجارب متواصلة لهذه النظرية ، وقد نجحت التجربة لبعضهم لأمر ما ، وفشلت عند الكثيرين ومن هنا جاء الدكتور (بلوك) الطبيب الأمريكي والمستشار الفنى لأحد المختبرات الطبية الأمريكية - جاء ينقض بتجاربه هذه النظرية عن دورة الإخصاب والإجذاب عند النساء ، فهو يقول :

١ - إن هذه الطريقة التى يتبعها الملايين من الناس كل عام ، قد أنتجت محصولاً ضخماً من الأطفال خلال الفترات (المجدبة) ، كما أنها عجزت فى الوقت نفسه عن إنجاب الأطفال خلال الفترات (المخصبة) ؟

٢ - إن الرجال الذين قبلوا طريقة (أوجينو - كناوس) قد انتهوا الآن بعد سنوات من الدراسة إلى القول : بأنه ليس ثمة إجراء يمكن اعتباره مأموناً على نحو مطلق .

٣ - إن أول طبيب شك فى هذه النظرية ، كانت امرأته عاجزة عن الحمل مدة خمس سنوات ، فذهب يجرب فترة الإجذاب وفترة (الإخصاب) معاً ، ففشل ثم جرب أخيراً الفترة التى يهملها كل الناس ، فترة الحيض نفسه ، فحملت زوجته ، وتكرر حملها للمرة الثانية بنفس الطريقة وفى عين الفترة الممنوعة !

٤ - كانت إحدى النساء اللاتى أجرى هذا الطبيب عليهن تجاربه ، تشكو من كثرة الحمل وتتابعه ، وكانت نتيجة بحثه فى أمرها ، وفحصه لها ولزوجها معاً أنها قادرة على الحمل فى كل يوم

من أيام الشهر !

٥ - أن أهم نواحي الضعف في نظرية (أوجينو - كناوس) أن كل حالة في حد ذاتها قانون : فلكل امرأة فترتها الخاصة المخصبة ، وفترتها الخاصة المجذبة . وكثيراً ما تكون هذه الفترة لا علاقة لها بفترة اكتمال البويضة ، مما يجعل وضع تحديد عام لجميع النساء وجميع الفترات ضرباً من المستحيل !

٦ - هناك اعتبارات أخرى كإمكانية امرأة - دون أخرى في الاحتفاظ بالبويضة حيةً قادرة على الإنجاب وكقوة رجل - دون آخر - في استبقاء مائه فعلاً طوال شهر كامل وكالتوازن الكيميائي عند المرأة ، إذ أن الحالة الحامضية المفرطة تدمر الحيوانات المنوية عند الاحتكاك بينما تستطيع المنطقة القلوية الإبقاء على هذه الحيوانات حية لفترة طويلة .

ذلك ما ينقض به طبيب أمريكي نظرية الطبيين الياباني والألماني عن دورة الإخصاب والإجذاب عند النساء .

ومن حقى كمسلم أن اعتر بهذا النقص العلمي لهذه النظرية العلمية ، لسبب واحد فقط ، هو أن العلم يدعو إلى الإيمان ! العلم يظنونه بادی الرأي ، ثم بحقائقه في نهاية المطاف يؤيد ما نعتقده نحن المسلمين من نظريات الإسلام !

ونهاية المطاف في هذا الموضوع هو ما يؤكد القرآن الكريم في عديد من آياته البينات . يقول الله تبارك وتعالى :

﴿إن الله عنده علم الساعة - وينزل الغيث - ويعلم ما في

الأرحام»^(١)

«الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد ،
وكل شيء عنده بمقدار»^(٢)

«والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا ،
وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه»^(٣)

«إليه يرد علم الساعة ، وما نخرج من ثمرات من أكمامها ،
وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه»^(٤)

أما ما ذكره الطبيب الأمريكي (بلوك) عن حمل زوجة أحد
الأطباء الأمريكيين في فترة الحيض عدة مرات ، وهي الفترة
الممنوعة ، والتي لا تحمل فيها امرأة ، فهي حالة شاذة ، ولكنها آية
من آيات الله تؤكد قدرته ونفاذ إرادته وانفراده عز وجل بالمشيئة
المطلقة على خرق ما سن من قوانين .. ليزداد المؤمنون به إيماناً وقيناً
وتسليماً : «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» .
إيماناً - يارب - ومزيداً من الإيمان .

مفهوم الآية :

«ولا يَأْبَ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا»

كتب الأستاذ سمير شامى المحامى فى جريدة (المدينة المنورة) يشكو
من امتناع بعض الشهود عن أداء ما لديهم من شهادات عندما
يطلب إليهم ذلك ويقول : إن فى هذا الموقف السلبي من الشهود

(١) سورة لقمان ٣٤ . (٢) سورة فاطر ١١ .

(٣) سورة الرعد ٨ . (٤) سورة فصلت ٤٧ .

ضياعا للحقوق ، وقد تكون الشهادة لازمة لإثبات نسب أو زواج أو غير ذلك من حقوق وقضايا .

ثم أضاف : أن هناك في بعض البلاد الأخرى إذا خشي صاحب الحق من امتناع الشاهد عن الحضور إلى المحكمة لأداء ما لديه من شهادة ، لأن حضوره يأخذ من وقته وعمله - يضع المدعى مبلغا من المال لدى المحكمة ليكون تحت يد الشاهد إن شاء أخذه ، وإن شاء أعاده إلى المشهود له ، وفي حالة امتناع الشاهد عن الحضور والادلاء بشهادته عوقب على ذلك لأنه يعد في نظر المحكمة كاتما للشهادة .

وسأل المحامي - في ختام كلمته - : ما رأى علمائنا في الأخذ بهذا الأسلوب في تكليف الشهود بالحضور إلى المحاكم لأداء الشهادة مع ضمان ما يستحقون من أجر في مقابل تعطيلهم عن أعمالهم التجارية أو وظائفهم الإدارية ؟
فأجبت أن أدرج هذا الأمر هنا لأنه يتصل بدراساتي القرآنية .
يقول الله تبارك وتعالى :

﴿وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾^(١)

﴿وَلَا تَكْفُرُوا بِالْشَّهَادَةِ . وَمَنْ يَكْفُرْ فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾^(٢)

﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾^(٣)

﴿وَلَا يَضَار كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾^(٤)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ ، شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾^(٥)

(١) سورة البقرة ٢٨٢ . (٢) سورة البقرة ٢٨٣ .

(٣) سورة الطلاق ٢ . (٤) سورة البقرة ٢٨٢ . (٥) سورة المائدة ٨ .

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾ ^(١) هذه الآيات البينات من كتاب الله العزيز ، الذى جاء نورا وهدى للناس - تدل دلالة واضحة على أن الشهادة بخق واجبة على المسلم تحملا وأداء .. أى إذا دُعِيَ ليتحمل الشهادة يجب عليه أن يجيب ، وإذا دُعِيَ لأدائها لزمه ذلك أيضا .

ولكن هذا الوجوب - كما فهمه الفقهاء والمفسرون - من فروض الكفاية ، إذا قام بالشهادة من يكفى سقطت عن الباقيين ، وإن لم يقم بها أحد تعينت على الموجود من الشهود .

جاء فى كتاب (المغنى) تعليقا على قوله عز وجل : ﴿ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾ قول المؤلف العلامة الإمام موفق الدين بن قدامة : إنما خص القلب بالآثم لأنه موضع العلم ، ولأن الشهادة أمانة فلزم أداؤها كسائر الأمانات ، فإن دعى إلى تحمل الشهادة فى نكاح أو دين أو غيره لزمته الإجابة ، وإن كانت عنده شهادة فدعى إلى أدائها لزمه ذلك . فإن قام بالفرض فى التحمل أو الأداء اثنان سقط عن الجميع ، وإن امتنع الكل أثموا .. ^(٢) .

وذكر ابن قدامة - بعد ذلك - القراءة الأخرى لقوله عز وجل : ﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾ برفع الفعل (يضار) ويكون الكاتب والشهيد فاعلين ، والمعنى : لا يضر الكاتب ولا شهيد من

(١) سورة النساء ١٣٥ .

(٢) ص ٣ ج ١٢ .

يدعوها للكتابة أو الشهادة بأن يمتنعا عنها .
كما جاء في كتاب الشرح الكبير للإمام شمس الدين بن قدامة :
(مسألة قال الخرقى : ومن لزمته الشهادة فعليه أن يقوم بها على
القريب والبعيد لا يسعه التخلف عن إقامتها وهو قادر على ذلك) ثم
قال المؤلف في ختام شرحه : لأن الشهادة أمانة فلزمه أدائها
كالوديعة (١) .

ولا نطيل في الحديث عن كون (الشهادة) تحملا وأداء : أمانة
يجب القيام بها ، ونكتفي بما نقلناه باختصار عن كتابي (المغنى
والشرح الكبير) .

ونضيف إلى ما تقدم الاجابة على سؤال المحامي عن أخذ
الشاهد أجره على أداء الشهادة إذا كان يتضرر من الانقطاع لأدائها
عن عمله أو تجرته أو وظيفته ..

ونبحث في المرجعين السابقين فنجدهما متفقين على القول : بأنه
لا يجوز لمن تعينت على الشهادة - أخذ الأجر عليها إذا كانت له كفاية
أى مستغنيا عنها . إما إذا لم تكن له كفاية حل له أخذ الجعل ، لأن
النفقة على عياله فرض عين فلا يشتغل عنه بفرض الكفاية (٢) .
قلت إذن هذا الأسلوب الذى تتبعه المحاكم فى البلاد الأخرى
يتفق مع فقه الشريعة الإسلامية الذى يحجز للشاهد أن يأخذ أجره
على شهادته إذا كان محتاجاً إليها أو كانت الأجره تعويضاً لما يخسره
من دخله أو كسبه أو وظيفته .

(١) ص ٨ ج ١٢ .

(٢) ص ٥ ج ١٢ .

وفى ختام حديثنا عن (الشهادة) وكونها (أمانة) فى عُقْبِ الشاهد يجب عليه أدائها ، وبخاصة إذا لم يكن هناك شاهد غيره ، وكان فى عدم أدائها منه مضرة على المشهود له أو ضياع دين أو نسب أو غيره من الحقوق - فى ختام هذا الحديث نحب أن نقتبس من بحث نخبة الشيخ محمد الغزالى تحدث فيه عن قوله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾ (١) .

وقد جاءت هذه الآية وصفا من أوصاف المؤمنين الذين استثناهم الله من قوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنْ الْإِنْسَانُ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا - إِلَّا الْمَصْلُينَ ﴾ إلى آخر الآيات التى عددت صفات المؤمنين الصالحين الذين برأهم الله من الهلع ومنع الخير ..

يقول الأستاذ الغزالى ما خلاصته : إن الإنسان المسلم يجب أن يكون مستعدا دائما لأداء الشهادة على وجهها ليق الحق ، ويبطل الباطل ، ويدعم العدالة والقيام بالشهادة يشمل الادلاء بالرأى الصحيح والقول الرجيح .. دون أن يخاف على مستقبله ، أو يحاى قريبا ، أو يطمع فى مال ، أو يتطلع إلى منصب . إن المجتمع الإسلامى يسقط مع اختفاء الذين هم يشهاداتهم قائمون . وكم رأينا من أناس قُذِّمُوا وحقهم التأخير ، أو أُخِّرُوا وحقهم التقديم .. لأن المؤمنين ليسوا بشهاداتهم قائمين ، والشهادة بدهية ليست ما يقال أمام المحاكم فقط .. بل هى كل ما يقال فى كل خلاف ، أو مشورة ، أو انتخاب ، أو شأْن دى بال .

(١) سورة الماعز ٣٣ .

ويعد .. فهذا ما أحيينا أن نجيب به على سؤال المحامي الفاضل
عن (الشهادة) ووجوب تحملها وأدائها على الشاهد ، وجواز أخذ
الأجرة عليها إذا كان محتاجا إليها^(١) والله الموفق والمستعان .

الرؤيا الصادقة .. وأضغاث الأحلام

واختصاص يوسف عليه السلام بتأويلها

يقص علينا القرآن الكريم قصة نبي الله يوسف عليه السلام في
سورة طويلة سميت باسمه ، وكانت خاصة به من بدايتها إلى نهايتها
ما عدا آيات قليلات في ختام السورة .. جاءت تسلية وتعزية
لرسولنا محمد ﷺ فيما يلقاه من قومه المعارضين لدعوته . فهذا هو
شأن الرسل جميعا مع أقوامهم ، وهذه هي سنة الله في أخذ الأمم
المُكذَّبة لرسالاته .

وبهنا من قصة سيدنا يوسف - هنا في هذه الدراسة - ما قرأناه
في بعض صحفنا نقلا عن تفسير المنار - من قول المؤلف رحمه الله .
● الاستفتاء في اللغة هو السؤال عن المشكل المجهول ، والفتوى
هي جوابه سواء أكان نبأ أم حكما ..

● وإن هذه الفتوى من يوسف زائدة على ما عبر به رؤياها داخلية
في قسم المكاشفة ونبأ الغيب مما علّمه الله تعالى ، وجعله آية له .
● وإن معنى الفتوى إنه علم بوحي ربه إن الملك قد حكم في

(١) نشر مقال الأستاذ سمير شما في جريدة المدينة ٩/٤/٩٧هـ .

أمرهما بما قاله .. لا من باب التأويل لرؤياهما .

ونرى أن صاحب المنار رحمه الله - قد تكلف وتعسف في تفسير ما جاء في قصة يوسف عليه السلام في موضوع تأويله لرؤيا رفيقه في السجن - حتى تجاوز المفهوم الظاهر الواضح إلى مفهوم بعيد ، وغير سديد ..

أولاً - قصر المؤلف معنى (الاستفتاء) في اللغة على السؤال عن المشكل المجهول من الأنباء والأحكام دون الرؤى والأحلام - وقد فعل ذلك تمهيداً ليقول رأيه بأن يوسف لم يعبر رؤيا رفيقه ، وإنما أخبرهما بما حكم عليهما سيدهما .. من قبيل العلم بالغيب مما علمه الله إياه .

والواقع أن (الاستفتاء) يشمل السؤال عن لأحكام والرؤى والأحلام جميعاً ، والقرآن الكريم هو مرجعنا الأول والأمثل والأفضل - قبل قواعد اللغة ومعروفها ومنكرها أو شاذها .

فالقرآن استعمل الاستفتاء بمعنى السؤال - مجرد السؤال - لا عن نبأ ولا عن حكم - في قوله عز وجل : ﴿ فَاسْتَفْتِهِم أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ . أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴾ ^(١) .

كما استعمل القرآن الاستفتاء بمعنى السؤال عن الحكم الشرعي في قوله تبارك وتعالى ﴿ وَاسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ .. ﴾ ^(٢)

- واستعمله بمعنى السؤال عن الرؤيا في قوله عز وجل حكاية

(١) سورة الصافات ١٤٩ - ١٥٠ .

(٢) سورة النساء ١٢٧ .

عن يوسف : ﴿قُضِيَ الْأَمْرَ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾^(١) .
 - واستعمله بمعنى السؤال عن الرأي وطلب الشورى في قوله
 عن ملكة سبأ : ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ .. أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ، مَا كُنْتُ
 قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾^(٢) .

- ولو أن كلمة (الفتوى) أو (الاستفتاء) وردتا في حوار
 يوسف مع رفيقيه في السجن فحسب - لكان هناك عذر للمؤلف
 في أن يؤول ذلك بمعنى إخبار بالغيب ، لا بمعنى تعبير الرؤيا -
 بوصف يوسف عليه السلام نبيا ورسولا اختاره الله وعلمه مما يشاء .
 ولكن الكلمة أو بعض مشتقاتها (كأفتوني - وأفتنا) وردت في
 كلام العزيز ثم في كلام أحد رفيقي يوسف في السجن ، بعد أن نجا
 وعاد إلى خدمة سيده - يقول تبارك وتعالى حكاية عن عزيز مصر :
 ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ،
 وَسَبْعَ سَنِبَلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ، يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رَأْيَا
 إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾^(٣) كما يقول عز وجل حكاية عن رفيق
 يوسف في السجن : ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ
 سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾^(٤) إلى آخر الآية أو آخر الرؤيا التي
 سبق ذكرها في سؤال الملك لوزرائه .

إذن فالاستفتاء والفتوى ليسا خاصين بالسؤال عن الأنبياء
 والأحكام .. بل يعنيان - في الأساس - مجرد السؤال عن أى
 شئ ، ومن ذلك السؤال عن النبأ أو الحكم أو الرؤيا بل حتى عن

(١) سورة يوسف ٤١ . (٢) سورة النمل ٣٢ .

(٣) سورة يوسف ٤٣ . (٤) سورة يوسف ٤٦ .

الرأى أيضا .

ثانيا - لماذا يتكلف المؤلف رحمه الله فيرى أن إجابة يوسف عليه السلام على سؤال رفيقه في السجن عن تأويل رؤياهما كانت من قبيل الإخبار بالغيب ، وليست تعبيرا للرؤيا ؟

مع أن قصة يوسف التي يقصها القرآن الكريم تبدأ برؤيا يوسف في المنام : ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ وتنتهي القصة بتأويل الرؤيا نفسها : ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلِ قَدْ جَعَلَهَا رُؤْيَى حَقًّا﴾ وخلال القصة يمن الله عز وجل على يوسف بقوله : ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ . وَلَنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ كما نجد يوسف نفسه في ختام القصة يحمد الله على ما أنعم به عليه من الملك ومن تأويل الرؤى في قوله : ﴿فَاطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ﴾ .

وفي بداية قصة يوسف نرى أنه عندما تحدث برؤياه إلى أبيه نصحه بكتمان خبرها عن إخوته لئلا يكيدوا له ، وتنبأ له بأن الله عز وجل سوف يجتبيه ويعلمه من تأويل الرؤى : ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ، وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ .

إن الله تبارك وتعالى - كما نعلم من سير الأنبياء التي حدثنا عنها القرآن الكريم - قد اختص كل نبي باختصاص أو معجزة لا يشاركه فيها نبي آخر ، فعيسى مثلا : اختص بإحياء الموتى ، وإبراهيم الأكمه والأبرص ، وموسى اختص بأنه كلم الله دون الأنبياء جميعا إلى جانب ما أوتي من قوة جسدية ظاهرة باهرة في قضائه على القبطي

بوكزة واحدة غير مقصودة - وسليمان اوتى مُلكًا فريدًا ، وسُحِّرت له
الريح كما سخرت له الجن والشياطين يطيعونه ويخضعونه .

وهذا يوسف اختص بتأويل الأحلام ، وعرف بذلك فى
نفسه ، وفى أحلام رفيقيه فى السجن ، وفى رؤيا ملك مصر ،
وأكد القرآن اختصاصه بهذه المعجزة دون الأنبياء جميعًا .

وإذن فليس جواب يوسف لرفيقه فى السجن عن تأويل
رؤياهما إخبارًا بالغيب عما قضى به الملك عليهما من نجاة أحدهما
وهلاك الآخر ، وإنما هو تأويل أو تعبير للرؤيا استنباطًا من أحداث
الرؤيا .. وهى كون الأول ﴿يعصر خمرا﴾ ففيها إشارة إلى عودته إلى
خدمة سيده ، وكون الثانى ﴿يحمل فوق رأسه خبزًا تاكل الطير
منه﴾ ففيها إشارة إلى هلاكه ، وأكل الطير من رأسه .

وكذلك تأويله - عليه السلام - لرؤيا الملك : هو من قبيل تعبير
الرؤى ، وتفسير الأحلام ، ليس من قبيل الانباء بالغيب لأن
أحداث الرؤيا تشير إلى هذا التأويل وهى السبع البقرات العجاف
اللاتى يأكلن سبع بقرات سمان ، والسبع سنبلات الخضر والأخر
اليابسات .



وبهذه المناسبة نعقب على ماكتب الأستاذ البير عمون - فى المجلة
العربية الصادرة يوم ١٥/٢/١٣٩٩هـ مقالا ذكر فيه « بعض
القصص المستمدة من التاريخ عن أحداث بدأت فى عالم الحلم
والخيال ، ثم انتقلت إلى دنيا الحقيقة والواقع » .

ثم سأل الأستاذ عمون : « فما هى الصلة التى تجمع الحلم
بالحقيقة ، وتربط الخيال بالواقع » .

وأجاب : « هذا ما يبحثه علماء النفس في الوقت الحاضر عن طريق تحليل حياة بعض الناس الذين شاهدوا في أحلامهم ما حل بهم في مستقبل حياتهم ، وتنبأوا سلفا بما وقع لهم من أحداث باليوم والساعة » .

ثم أضاف : « ولكن العلماء لم يتمكنوا حتى هذه اللحظة من فك رموز هذه الصلة وأسرارها . علي أن الأديان السماوية صريحة في أن الله سبحانه وتعالى هو وحده علام الغيوب ، فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ، وعنده مفتح الغيب لا يعلمها إلا هو - وحسب المؤمن في ذلك الآية الفذة الصريحة : ﴿إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، إن الله عليم خبير﴾ .

وهكذا انتهى الأستاذ « البير عمون » هذه النهاية التي ليست ذات قرار مكين في قضية الأحلام - بقوله : إن علماء النفس لم يتمكنوا حتى هذه اللحظة من فك رموزها وأسرارها وإن علم الغيب لله وحده .. ثم لمن شاء أن يطلعه من رسله على شيء منه !! .

وهي فرصة يتيحها الأستاذ عمون لأشاركه الحديث عن (الأحلام) صادقها وكاذبها ، وأدلى بما عنده في قضيتها - يقول تبارك وتعالى :

﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنيلات خضر ، وأخر يابسات ، يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون - قالوا أضغاث أحلام ،

وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين» .

- قلت : إن كلمة « أضغاث » معناها أخلاط ، وأضغاث أحلام .. أى أخلاط من الرؤى يراها النائم نتيجة لاحتياسه بقلق نفسه أو تعب عصبى ، أو وساوس شيطانية - والإمام ابن سينا يتحدث عن الرؤى الصادقة وعن أضغاث الأحلام ، فيقول إن هناك نوعاً من الأحلام ينشأ من اتصال النفس بالملكوت الأعلى .. حيث تتلقى النفس الإلهام من العقل الفعال ، ويكون ذلك بمثابة الإنذار أو الاخبار بما سيكون وهذه هى الرؤيا الصادقة .
أما لأحلام الناشئة عن الاحساسات البدنية فهى أضغاث أحلام - أى رؤى كاذبة » .

إن هذا الذى يقوله ابن سينا هو الحقيقة والواقع .. علمياً ودينياً أيضاً . ولورجعنا إلى القرآن الكريم ، وإلى الحديث النبوى ، وإلى ما كتبه العلماء المسلمون عن الأحلام وتأويلها أو تعبيرها - لوجدنا أن كلام ابن سينا عن الرؤيا الصادقة صحيح وأن البرهان عليه قائم ، وأن التجارب الإنسانية قد أكدته :

* أولاً - قصة سيدنا يوسف عليه السلام .. وفى مقدمتها أن الله عز وجل اختصه بتأويل الرؤى . وهو نفسه بدأت حياته برؤيا صادقة إذ رأى فى منامه أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين له ، وتحققت رؤياه فى آخر حياته - كما فسر رؤى رفيقه فى السجن وتحقق تفسيره ، وفسر كذلك رؤيا ملك مصر ، وتحقق تفسيرها أيضاً ، ومن أجل ذلك أحبه الملك وولاه خزانة الدولة المصرية آنذاك .

وقد أكدت السورة ذلك أثناء سرد القصة في قوله عز وجل :
﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض .. ولنعلمه من تأويل
الأحاديث﴾ وفي قوله أيضا حكاية عن يوسف ﴿رب قد آتيتني من
الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث﴾ .

* ثانيا - في سورة الفتح يقول الله تبارك وتعالى : ﴿لقد صدق
رسوله الرؤيا بالحق .. لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾
وذلك فيما يتعلق بعودة الرسول ﷺ إلى مكة المكرمة فاتحا منتصرا
على أعدائه ومعارضيه .

* ثالثا - يقول ﷺ (الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين
جزءا من النبوة - ومن رأى في المنام فقد رأى ، فإن الشيطان
لا يتمثل في صورتي) . ونقف هنا قليلا عند هذا الحديث الذي
رواه الشيخان وأحمد وابن ماجة - على اختلاف في العدد
واللفظ - ونقل رأى ابن خلدون في تأويله : بأن معناه بيان الفرق
بين الاستعداد البشري العام لمطالعة الحقائق الغيبية في لحظة تتجرد فيها
النفس الناطقة عن المواد الجسمانية بالنوم .. وبين الاستعداد النبوي
الخاص لمطالعة تلك الحقائق بالانسلاخ عن حال البشرية إلى حال
الملكية عند الوحي في النوم أو اليقظة .. وإن نسبة ذلك الاستعداد
البعيد إلى هذا الاستعداد القريب كنسبة واحد إلى ستة وأربعين .
يقول الدكتور محمد عبد الله دراز تعقيبا على الحديث النبوي
ورأى ابن خلدون حوله : إن هذا خاص برؤيا الصالحين .. بخالفا
بذلك رأى ابن خلدون الذي يرى أن ذلك عام لسائر الخلق .
ويضيف الدكتور دراز : أن معنى ذلك أن من أوتي من المؤمنين

حظه من صدق الرؤيا كأنما أوتى حظاً من النبوة - ولا يعنى ذلك أن كل من صدقت رؤياه ولو كان فاسقاً أو كافراً كان كذلك .
 وفي الحديث النبوى أيضاً : (إذا رأى أحدكم ما يحب فليحدث به ، وإذا رأى ما يكره فليتحول إلى جنبه الآخر ، وليتفل عن يساره ثلاثاً ، وليستعذ بالله من شرها ولا يتحدث بها أحداً .. فإنها لن تضره) وفيه أيضاً (الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر .. فإذا عبرت وقعت) .

* رابعاً - أن أبا جعفر المنصور الخليفة العباسى : رأى فى منامه ملك الموت يشير له بكفه باسطة أصابعها الخمس .. وكان أبو جعفر يحدث نفسه أو يريد أن يعرف متى ينتهى أجله ؟ فكانت هذه الرؤيا جواباً عن سؤاله أو حديث نفسه ، ولم يعرف تأويلها .. وقال : هل تعنى إشارة الكف المبسوطة بأصابعها الخمس أنه يموت بعد خمسة أيام أو خمسة أشهر أو خمس سنوات ، وبعث من يسأل الإمام مالك عن تأويل رؤياه - ففسرها له بأنها إشارة إلى أن معرفة الأجل من اختصاص الله عز وجل .. أى من الغيوب الخمسة التى تضمها الآية الكريمة ﴿ إنا لله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت .. إنا لله عليم خبير ﴾ .

● خامساً : أن الإمام ابن سيرين ألف كتاباً عن تفسير الأحلام ومن أمثلته : أنه فسر لرجلين رأيا رؤيا واحدة تفسيران متضادين ، رأى كل منهما أنه يؤذن الأذان المعروف فقال لأحدهما : إنه سيحج - - لله الحرام ، وقال للآخر : أنه ستقطع يده .

وكان هذا الاختلاف في تعبير رؤيا كل منها - مع اتفاقهما - بناء على ملاحظة ابن سيرين لحالة كل منها وسلوكه واستنباطاً من آيتين قرآنتين ورد «الأذان» بلفظ واحد ولكن موضع كل منهما مختلف عن الآخر .. الآية الأولى هي قوله عز وجل لإبراهيم عليه السلام : ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ - والآية الثانية هي قوله تبارك وتعالى : ﴿ثُمَّ أَذِّنْ مُؤْذِنًا يَنبَأُ الْغُرَبَاءَ بِمَوْجِدِ الْمَارِ إِنَّهُم مُّسَارِقُونَ﴾ .

وهناك بعض الكتاب الذين ينكرون وقوع الرؤيا الصادقة ، أو يزعمون أنها لا يمكن البرهنة على حقيقتها ويكفي ما قدمناه من براهين قرآنية ونبوية لاثبات أن الرؤيا الصادقة حقيقة علمية ودينية .. أثبتتها التجارب الإنسانية ، وأكدها القرآن الكريم والحديث النبوي .

أيام الله .. وأيام البشر؟؟

اتاحت لي فرصة مطالعة كتاب أصدره الدكتور عماد الدين خليل مشتملاً على تأملات للمؤلف لبعض موضوعات قرآنية .. إن هذا الكتاب (مع القرآن في عالمه الرحيب) كتاب قيم ، وموضوعاته مهمة ، والأفكار المطروحة فيه رائعة - تصدى فيه المؤلف الدكتور عماد الدين خليل لقضية الإيمان (بالغيب) وأهميته - والقرآن والبعد الزمني - والآفاق التربوية - والعبادات الإسلامية - وعالم الحيوان في كتاب الله - وعالم النبات أيضاً .. وسأتناول - في البداية - قضية البُعد الزمني في القرآن حيث

أورد المؤلف الفاضل هذه الآيات القرآنية - من سورة فصلت -
﴿قُلْ أَنتَ كُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ، وَتَجْعَلُونَ لَهُ
أُنْدَاداً .. ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ - وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِي مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ
فِيهَا ، وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلثَّائِلِينَ - ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى
السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً .. قَالَتَا
أَتَيْنَا طَائِعِينَ - فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ، وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ
أَمْرَهَا﴾^(١)

ثم أردف قوله : «ولنا أن نتصور لا بحسابنا الأرضي ولكن
بحساب المطلقات القرآنية: الأمداء الزمانية لهذه الأيام الستة -
صوابها الستة - التي صمم الله فيها سبحانه بناء السماوات
والأرض ، وأعدّ كرتنا الأرضية لاستقبال الحياة ..»

وأضاف : «ولنا أن نتصور بعد هذا .. ماذا تريد أن تقول لنا
هذه الآية : ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي
شَانٍ ..﴾ كل يوم ؟ وأي يوم ؟ انه ذلك اليوم الذي قلنا إنه قال
ربما يبلغ (١٨,٢٥٠,٠٠٠) يوماً من أيامنا :

● قلت : وفي رأيي أن الله عز وجل يخاطب البشر بما يعرفون
ويدركون .. أي أنه يعنى باليومين ، والأربعة ، والستة : أيام
الدنيا - لأنه تبارك تعالى في حديثه عن خلق السماوات والأرض إنما
يستنكر على المشركين أن يشركوا به غيره من خلقه ، وعلى الكفار أن
يكفروا به إلهاً خالقاً ورازقاً وقادراً على كل شيء ..
يستنكر عليهم كفرهم وشركهم وغفلتهم عما يرون من خلق

السموات والأرض - الذى هو أكبر من خلق الناس - وهو تبارك وتعالى الذى خلق هذا الكون العظيم بكل أرجائه وطبقاته فى ستة أيام .. فالمقام استنكار لكفر الكفار وشرك المشركين ، وإلحاد الملحدين ، مع الاستدلال بالقدرة الإلهية المتمثلة فى قوله : ﴿كن فيكون﴾ .

لذلك أَرَجَّحُ أن تكون الأيام أيام الدنيا المعروفة ، لا الأيام الكونية .. التى يقدَّر كل يوم منها بألف سنة - وكذلك قوله فى سورة الرحمن : ﴿كل يوم هو فى شأن﴾ أى فى كل يوم بالحساب البشرى يميت من يشاء ، ويحيى من يشاء ، ويمرض هذا ، ويشفى ذاك ، ويحرم إنساناً ويرزق آخر ، وتذهب دولة ، وتقوم أخرى ، ويرسل الصواعق ، ويفجر الزلازل ، فيصيب بها من يشاء ويصرفها عمن يشاء .

فإرادة اليوم الدنيوى - أو البشرى - أبلغ فى بيان القدرة الإلهية ، والإعجاز الكونى .

على أن (اليوم الكونى) عندما يذكر فى القرآن يرد مقترناً بما يدل عليه كقوله عز وجل : ﴿إنهم يرونه بعيداً ، ونراه قريباً﴾ أى الكفار الذين يكذبون بيوم الدين ، يوم الحساب والجزاء على الأعمال - يرون هذا اليوم بعيداً ولكنه فى علم الله وحسابه الكونى قريب ..

وقد ورد هذا التوجيه الإلهى إلى هذا المعنى أو هذه الحقيقة الكونية فى قوله تبارك وتعالى : ﴿ويستعجلونك بالعذاب .. ولن يخلف الله وعده - وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدُّون﴾ .

● أقول ذلك : معقَّباً على الدكتور عماد الدين خليل - وأنا أعلم اختلاف المفسرين القدامى والمحدثين على تفسير الأيام الستة لخلق السماوات والأرض بين القول بأنها مثل أيام الدنيا ، والقول بأنها كأيام الآخرة أى أن اليوم بألف سنة ..

وقد تكرر إيراد الحديث النبوى الذى يرويه الإمام مسلم - فى هذه التفسير - بياناً لهذه الأيام الستة بأنها أيام الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة - أما السبت فلم يكن فيه شىء ، ولذلك سُمِّي (سبتاً) أى انقطاعاً عن العمل ..

واختار الأستاذ سيد قطب - صاحب ظلال القرآن - رحمه الله - وهو من المفسرين العصريين القول : بأن ذلك (غيب) من الغيوب التى يجب الإيمان بها دون سؤال أو بحث عن مقدار اليوم هل هو يوم «دنيوى» أم يوم كونى ؟!

ومع ما قاله القدامى والمحدثون من علماء التفسير - فالرأى عندى ما أسلفت من أن الأيام الستة هى كأيام الدنيا ، وكذلك ما جاء فى سورة الرحمن : ﴿كل يوم هو فى شأن﴾ .

ويؤيد وجهة نظرى فيما ذهبت إليه قوله عز وجل فى سورة (ق) : ﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام - وما مسنا من لغوب﴾ أى من تعب أو نصب تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً : (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) ولذلك استبعد أن يكون مقدار اليوم الواحد من الأيام الستة ألف سنة ، فيكون خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة آلاف سنة ؟؟ ودارس القرآن - كما نرى - ينبغى له أن يربط بين الآيات

المتشابهة .. ولوربط المفسرون القدامى والعصريون بين هذه الآية ،
وآية (ق) وآية (الزمر) : ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ
النَّاسِ﴾ والآيات الأخيرة من سورة (يس)

وهي قوله عز وجل : ﴿وَضَرْبُ لَنَا مِثْلًا ، وَنَسِيَ خَلْقَهُ - قَالَ
مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ! قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَهُوَ
بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ - الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ
مِنْهُ تُوقَدُونَ - أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ
يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ! بَلَى .. وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ - إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ
يَقُولَ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ - فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ
وإليه ترجعون﴾ .

● نقول : لو أن المفسرين القدامى والمعاصرين ربطوا بين هذه
الآيات وأمثالها في القرآن الكريم لأدركوا أن الأيام الستة التي خلق
الله فيها السماوات والأرض هي كأيام الدنيا .. وليست أياماً كونية
لأن اعتبارها كذلك ليس فيه بيان وتأكيد لقدرة الله المتمثلة في قوله
للشيء : ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ .

أجساد الأنبياء

وفي ص ١٨٨ بقية من حديث عن سيدنا سليمان عليه السلام
كُتِبَ سِخْرُ اللَّهِ لَهُ طَاقَاتُ مِنَ الْجِنِّ وَالطَّيْرِ وَالرِّيحِ لخدمته - وفي
بعض سطور هذه الجملة : (إن الرجل النبي الذي سخرت

له طاقات العالم ينتهى به الأمر إلى الموت .. ثم ما تلبث الديدان
أقذر الحشرات واحطها أن تأكل منه ..
وتكرر هذا القول فى (ص : ٢٣٠) من كتابه الثانى (آفاق
اسلامية) ..

- قلت : أن الآية التى جاء فيها ذكر موت سيدنا سلمان عليه
السلام هى قوله عز وجل : ﴿ما دهم على موته إلا دابة الأرض
تأكل منسأته . فلما خربت الجح أن لو كانوا يعلمون الغيب ما
لبثوا فى العذاب المهين﴾ ..

أى أنه توفى وهو جالس على عرشه - متوكلًا على عصاه ، وظل
هكذا ، وظل الجح يعملون له فيما سخرهم فيه ، دون أن يتبينوا
موته .. حتى أكلت الديدان عصاه ، فخر إلى الأرض .
فالديدان لم تأكل من جسده .. وإنما أكلت من عصاه . لأن
الأنبياء أجسادهم محرمة على الأرض وحشراتهما أن تأكل منها .

نزل الغيث بين القانون الطبيعى

والارادة الإلهية؟؟

استمعت صباح الأربعاء ١٢/١٢/١٤٠٢هـ - إلى عرض علمى
فى التلفاز السعودى لتكوّن السحاب ثم تحوّل إلى مطر ينزل من
السماء لسقيا الإنسان والحيوان والنبات .
وقد مهّد مقدّم المشهد لحديثه بمقدمة وجيزة عن عقيدة سابقة
يعتقدونها الأقدمون عن أسباب نزول المطر من السماء - وهى أن

نزول المطر وامتناعه يرتبطان أو يترتبان على رضا الله عز وجل عن الناس ، أو على سخطه عليهم ، فإذا رضى تبارك وتعالى أنزل عليهم الغيث وإذا غضب منعه عنهم .

ثم عَقَّبَ مقدِّم البرنامج على ذلك : بأن هذا اعتقاد باطل ، وأن نزول المطر إنما يخضع للقانون الطبيعي من تبخر البحار حيث يتكون السحاب ثم ينزل الغيث الخ .

ومع اعترافنا بأن شئون الكون كله من بحار وجبال ، وشمس وقمر وكواكب ، وتقلبات أحوال الأرض والسماء وحياة الإنسان والحيوان والنبات جميع هذه المخلوقات - تخضع لقوانين طبيعية سنّها الخالق القادر المدبر .. ألا أن إرادة الله تبارك وتعالى ومشيتّه قبل هذه القوانين الطبيعية وفوقها ، فالله عز وجل لا تتقيّد إرادته ومشيتّه بما خلق من قوانين وما وضع من سنن : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا : أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ^(١) .

● وبالنسبة لموضوع المطر أو الغيث .. فصحيح أن العلم الحديث - كما ذكر مقدم البرنامج - قد اكتشف حقيقة تكوّن المطر على النحو المعروف - الذى أشار إليه .

● ولكن هذه الحقيقة العلمية لا تعنى أن المطر أو الغيث يتكوّن أو ينزل من السماء بغير إرادة الله ومشيتّه ، وأن القانون الطبيعي وحده هو المتحكّم فى نزوله أو امتناعه .

وعقيدة المسلم فى كون الله عز وجل هو الفعل الحقيقى لما

(١) سورة ياسين ٨٢ .

يريد .. وأن نزول المطر يتأثر برضاه تبارك وتعالى وسخطه - هذه الحقيقة صحيحة أيضاً .

والقرآن الكريم نفسه سبق إلى تقرير هذه الحقيقة العلمية ، إلى جانب تقريره لحقيقة تعلقها وارتباطها بالإرادة الإلهية المطلقة . يقول الله عز وجل ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً ، فيسقطه في السماء كيف يشاء - ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله - فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون﴾^(١) ويقول تبارك وتعالى : ﴿الم تر أن الله يرحم سحاباً ، ثم يؤلف بينه ، ثم يجعله ركاماً ، فترى الودق يخرج من خلاله - وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء - يكاد سنا برقه يذهب بالابصار - يقلب الله الليل والنهار - إن في ذلك لعة للأبصار﴾^(٢)

وقد تكرر هذا المعنى في آيات أخرى من القرآن - لا نريد الإطالة بسردها - وهي تؤكد حقيقتين كما أسلفنا : حقيقة تكون المطر طبيعياً بما يتفق مع اكتشافات العلم الحديث ، وحقيقة ارتباط ذلك بالإرادة الإلهية .

فالله عز وجل يقرر بمنتهى الصراحة والوضاحة أنه هو وحده بعد أن يتكون الغيث من تراكم السحاب المتصاعد أساساً من تبخر مياه البحار والمحيطات - يصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء . وجاء في الحديث الصحيح : أن مفاتيح الغيب خمسة أوضحتها

(١) سورة الروم ٤٨ .

(٢) سورة النور ٤٣ و ٤٤ .

الآية القرآنية : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ - وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ - وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ - وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا - وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ - إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١) .
ويؤكد حقيقة الإرادة الإلهية في نزول الغيث أو عدمه وفي تعلُّقه برضا الرب وسخطه قوله تبارك وتعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يَرْسِلُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾^(٢) أى تخويفاً من غضبه ، وتطميعاً في رحمته .

كما يؤكد غلبة حقيقة الإرادة الإلهية على الحقيقة العلمية ، أو إبطالها للقانون الطبيعي - ما قصة القرآن علينا من موقف (عاد) قوم هود عليه السلام حين كفروا برسالة نبيهم ، وتحذوه بأن يرسل عليهم العذاب الذى تَوَعَّدُهُمْ بِهِ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمَطَّرٌ - بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣) أى أنهم رأوا احتجاب الشمس ، وانتشار السحاب . وهبوب الرياح - وهى علامات نزول المطر ومقدماته - فأيقنوا بتزوله حتى قالوا : ﴿هَذَا عَارِضٌ مُمَطَّرٌ﴾ .

ولكن حقيقة الإرادة الإلهية غلبت أو سبقت حقيقة القانون الطبيعي ، الذى هو أساس من تدبير الارادة الإلهية وجزء منها - فتحولت المطر إلى ريح فيها عذاب أليم : ﴿تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا - فَأَصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ - كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ .

وفى الحديث الذى يرويه الطبرانى وغيره عن ابن عباس رضى

(١) سورة لقان ٣٤ . (٢) سورة الروم ٢٤ .

(٣) سورة الأحقاف ٢٤ .

الله عنها أن النبي ﷺ قال : (ما طَافَ قومٌ كيلاً ولا بنحسوا ميزاناً إلا منعوا القطر - أى الغيث - وما ظهر فى قوم الربا إلا ظهر فيهم الموت - وما ظهر فى قوم الزنا إلا سَاطَ الله عليهم الجنون - ولا ظهر فى قوم القتل - إى ظلماً وعدواناً - إلا سلط عليهم عدوهم - ولا ظهر فى قوم عمل قوم لوط إلا ظهر فيهم الخسف - وما ترك قوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا لم ترفع أعمالهم ولم يسمع دعاؤهم) .

وواقع الأحداث فى المجتمعات الإنسانية عامة - والاسلامية بصفة خاصة - مصداق واضح وأكيد لهذا الوعيد النبوى المنذر بألوان من العذاب للأُمم التى ترتكب هذه القبائح والمنكرات . وبعد .. فينبغى أن تكون هناك مراقبة واعية لما يعرض فى التلفزيون من برامج أو أحاديث عن اكتشافات أو نظريات للعلم الحديث .. لأنها مع ما تتضمنه من حقائق علمية قد لا تخلو من انحرافات عقائدية ربما خفيت على معظم المشاهدين لهذه الأحاديث والبرامج . وبخاصة الشباب من الجنسين .

والله المستعان على تحقيق ما يرضيه من علم نافع ، وعمل صالح ، وإيمان وثيق .

وكل فى فلك يسبحون

تلقيت من أحد القراء الأفاضل رسالة يقول فيها : إن بعض العلماء المنسوبين إلى الإسلام يريدون أن ينسخوا الآيات القرآنية بالعلوم الكونية ، فالقرآن الكريم يذكر فى عدة آيات أن الشمس

تجربى .. وهؤلاء يقولون : إن الشمس واقفة ، والأرض تدور حولها . وقد استمعت لمحدث فى الإذاعة وهو عالم كبير يشرح حديث البخارى عن حبس الشمس ليوشع عليه السلام ، فذكر أن ابن حجر أورد فى هذا الحديث ثلاثة أقوال أحدها : أنها رجعت إلى الوراء - والثانى : أنها وقفت - والثالث : أنها أبطأت فى سيرها حتى فتحت القرية ، ثم عقبَّ المحدث على ذلك بأنه يميل إلى رأى الأخير وقال : إن العلوم الكونية أثبتت أن الشمس ثابتة ، وأن الأرض هى التى تدور حول الشمس - فما رأيك أيها الأستاذ فى هؤلاء العلماء الذين بلبوا أفكار الناس ، وأتوا بهذا التقليد الأعمى للأفرنج فى نظرياتهم ، بدون ترو ولا تفكير ! أرجو أن تتحدث فى هذا الموضوع أدام الله توفيقك للدفاع عن دين الله - والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»^(١) .

● أقول للقارئ الفاضل :

منذ بضعة أشهر قرأت بحثاً لعالم غرى نسيت اسمه الآن - يعارض فيه القول بثبات الشمس ودوران الأرض ، ويقول : إن الشمس جارية وليست ثابتة ، وأرجو أن أجد قريباً مرجع هذا البحث واسم العالم الغرى .. بعون الله وتوفيقه .

ورأى الخاص - فى هذه المسألة - أن المسلم ملزم بتصديق ما ثبت فى القرآن والحديث النبوى ، وعدم التصديق بما يخالفه ، ومهما قيل من أقوال العلماء وآرائهم ونظرياتهم ، ومهما اجمعوا على أمر

(١) كاتب الرسالة هو فضيلة الشيخ محمد عمر عبد الهادى مدير دار الحديث بمكة المكرمة والمتحدث فى الإذاعة هو الدكتور أبوشهبة - رحمه الله - .

جاء في القرآن أو الحديث النبوي الصحيح نقيضه فنحن المسلمون ملزمون برفض ما قاله أو يقوله العلماء .. لأنهم - أولاً - بشر يصيرون ويخطئون ، وثانياً - لأن النظريات العلمية خلال القرنين الماضيين لم تثبت على مبدأ أو رأى واحد .. بل تعارضت وتناقضت ، ولا تزال تتعارض وتتناقض . وثالثاً - لأن قول الله وقول الرسول ﷺ هما الحق والصدق والصواب .

على أن حركة الأرض أو دورانها لا تنفي حركة الشمس أو جريانها فقد يكون لكل منهما ثبات داخلي وحركة خارجية . كذلك حركة الشمس أو جريانها الذي أثبتته القرآن في قوله عز وجل : ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾^(١) لا يعارض حركة الأرض أو دورانها ، فكل من الأرض والشمس والقمر وبقية الأجرام السماوية كما قال القرآن نفسه : ﴿وكل في فلك يسبحون﴾^(٢) وكل كذلك في مراكز خاصة يثبتون . وقد أجريت أسلوب العقلاء في عبارتي اقتداء بأسلوب القرآن نفسه واقتباساً لبلاغته وفصاحته .. في هذه الآية وفي أوائل سورة يوسف عليه السلام : ﴿يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾^(٣)

ثم لماذا يطيل الناس الجدل حول هذه الموضوعات ، ولماذا يعيدون الكلام ، ويكررون الحوار عنها في أحاديثهم ! فسواء أكانت الشمس ثابتة أم جارية ، وسواء أكانت الأرض دائرة أم راسية فكل من هذه الكائنات تؤدي وفق القانون الإلهي الذي رسم

(١) سورة يس ٣٨ .

(٢) سورة يس ٤٠ .

(٣) سورة يوسف ٤ .

له - واجبها وعملها في مصلحة الكون ، والحياة ، والناس ، وعلى الناس أن ينتفعوا بما سَخَّرَ الله لهم في الأرض والسماء من منافع وخيرات وبركات ، وأن يتعلموا العلوم التي تيسر لهم هذا الانتفاع ، وألا يستخدموا هذا المسخَّرات في الإضرار بعضهم ببعض ، كما أن عليهم أن يزدادوا إيماناً (بالخالق) الذي خلقهم وخلق لهم هذه المنافع ، (المعلم) الذي هداهم .. سبحانه فقد خَلَقَ وَسَوَّى ، وقَدَّرَ فهدي ، وعَلَّمَ الإنسان ما لم يعلم ..

﴿ قل انظروا ماذا في السموات ﴾ ..

ويوجه القارئ نفسه - في رسالته - هذه المسألة القرآنية : أن الله سبحانه وتعالى ذكر في عدة آيات من كتابه العزيز الحثَّ على النظر إلى السماء كقوله تعالى - في سورة ق - : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا ، وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ وقوله في سورة الغاشية : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ! وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ .. ﴾ وغير ذلك من آيات تدل على أن السماء ترى بالعين المجردة - فما رأيكم في ذلك ! أرجو الإجابة : مع العلم أني حريص كل الحرص على سماع حديثكم اليومي فلا يفوتني منه إلا النادر ، وأعتقد أنكم سوف تطبعون هذه الأحاديث القيمة في كتب بعد الانتهاء منها ليعم النفع .

أقول للسائل الفاضل :

إن النظر إلى السماء ، يحث عليه القرآن الكريم في العديد من آياته - وهو يفعل ذلك بالنسبة للسماء وللأرض وللجبال ولسائر المخلوقات كالبحار والرياح الخ .. ليلفت الأنظار والأفكار إلى آيات

الله البيّنات الدالة على الوهيته وربوبيته ووحدانيته .. فالمؤمن من الناس يزداد إيماناً بالنظر والتفكير في ملكوت السماوات والأرض ، والكافر أو الملحد يجد في النظر إليها طريقاً إلى التفكّر والتدبّر .. وقد يهتدى إلى خالقها ومدبرها وقد يضل ، وصدق الله العظيم فيما يقول عز وجل : ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين - إلا من رحم ربك - ولذلك خلقهم﴾^(١) وفيما يقول أيضاً : ﴿فإنها لا تعمى الأبصار .. ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾^(٢) .

ومطالبة القرآن للناس بالنظر في السماء لا تعنى النظر فيما وراءها أو فوقها .. فذلك من الغيب الذي أمرنا أن نؤمن به عن طريق إخبار القرآن والحديث النبوى .. وهو ما عناه القسم الإلهى في قوله تبارك وتعالى : ﴿فلا أقسم بما تبصرون ، وما لا تبصرون﴾^(٣) فما نبصره هو عالم الشهادة وما لا نبصره هو عالم الغيب .. إنما المطلوب والمقصود أن ننظر إلى ما خلق الله عز وجل تحت السماء أو دونها من شمس وقر ، ونجوم وكواكب ، وسحاب وما ينزل منها من مطر - رحمة أو عذاباً .. ولذلك علّمنا الرسول عليه الصلاة والسلام أن ندعو عندما نرى السحاب عارضاً في السماء : «اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق» لأننا لا ندرى بم ينزل !

وكل ما نراه فوقنا من هذه المخلوقات والأجرام هو سماء كما يفيد

(١) سورة هود ١١٨ و ١١٩ .

(٢) سورة الحج ٩٦ .

(٣) سورة الحاقة ٣٨ و ٣٩ .

ذلك الاصطلاح اللغوى لهذه الكلمة ، ويعتبر الحاجز بيننا وبين الملاءم الأعلى ، وإن كانت رؤيتنا ليست دقيقة كما هى بالنسبة للأرض وما فوقها من جبال أو بحار ، ومع ذلك ويقدر ما نستطيع من رؤية للسماء . فإن الله يطالبنا بالنظر فيها وفيما زينها به من مصابيح ، وفي قوة بنيانها وقيامها بدون عمد ، وارتفاعها الذى لا ينال وفي كونها مع الأرض أكبر من خلق الناس وأعظم كما قال عز وجل : ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ ^(١) وكما قال مستنكراً على الكافرين بالبعث وقدرة الله على الإعادة : ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ؟﴾ ^(٢) . - كل ذلك لتزداد إيماناً على إيماننا ، ويكون اتجاهنا دائماً إلى خالقها ومدبرها ومدبر الأرض والإنسان جميعاً : ﴿الرحمن على العرش استوى - له ما فى السماوات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ ^(٣) .

هذا ما تيسر لى من جواب على المسألتين . وهو بطبيعة الحال غير واف وربما كان غير شاف ، ولكنى أسأل الله مزيداً من الإيمان ، ومزيداً من العرفان إنه الرحيم الرحمن ، والموفق المستعان .

الفضيلة

بين النظرية القرآنية

والنظرية الغربية

قرأت فى إحدى المجلات هذه الحكمة الضالة لبرناردشو الكاتب

(١) سورة غافر ٥٧ . (٢) سورة النازعات ٢٧ .

(٣) سورة طه ٥ و ٦ .

الإيرلندي الراحل «أن الفضيلة ليست في الامتناع عن الرذائل فقط ، إنما هي في عدم اشتهاها» .

وقد استوقفتني هذه الحكمة الضالة لأعقب عليها ، فأقول عكس ما يقوله برناردشو : «إن الفضيلة ليست في عدم (إشتهاء) الرذائل ، إنما الفضيلة في الامتناع عنها» ؟ وتفصيل ذلك :

- أن الإنسان الذي لا يتحرك شعوره للذة أو ألم ويظل بارداً ، أو جامداً أو خامداً أمام اللذة والألم - ليس هو بصاحب «فضيلة» .
- ولكن صاحب «الفضيلة» هو الإنسان الذي يحس حرارة الشوق إلى اللذة الحرام ، ولكنه يملك نفسه عن النزوع إلى إطفائها وارواء شوقه .. وهو الإنسان الذي يغمره الشعور بمرارة الألم الفادح ولكنه يتمالك نفسه عن الخضوع لتقلبه فلا يمزقه الألم ولا يحرقه .

وكذلك الإنسان الذي يقدم على المخاطر والمهالك ، وهو لا يفكر في أولها ولا يقدر آخرها ، ولا يحس بمسئولية ما هو مقدم عليه ، بالنظر إلى نفسه وأهله وأمته - ليس هذا الإنسان بصاحب «فضيلة» أى شجاعة ، وإنما هو متهور طائش مغرور . وكذلك الإنسان العامل الناصب - في معيشتة أو وظيفته ، إذا كان قوى البدن قدير الساعد ليس هو بصاحب «فضيلة» كالعامل الناصب وهو ضعيف أو مريض فهذا «أفضل» من ذلك .

وكذلك الغنى الثرى ذو المال الطائل الذي يسخوبه عن فيض وسعة ، ليس صاحب «فضيلة» كذى المال القليل يسخوبه - على حاجة قريبة أو بعيدة - فهذا «أفضل» من ذلك . وقس على ذلك جميع الأوصاف والحاصل التي يتحلى بها الناس من تقوى وشجاعة

وقوة وعلم وحلم وكرم وغيرهما .

وقد جاءت الفلسفة الأخلاقية الإسلامية مؤيدة وجهة النظر هذه ، ومؤكدة صحة هذا «المذهب الأخلاقي» مذهب الامتناع على مقدرة والإعطاء على حاجة ، والإقدام على حذر ، والتعفف على اشتها .. ففي النصوص القرآنية نجد :

● ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾^(١)
● ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ، فإذا هم مبصرون ، وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون﴾^(٢) .
أما الآية القرآنية الأولى ، فمن الصراحة والوضاحة بحيث لا تحتاج إلى تفسير . ولكننا نقف عند الآية الثانية قليلاً : والذين ﴿إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا﴾ .. لنجد أنها تعني أن فريق الإيمان الصحيح معرضون لمسّ الشيطان واستزلاله لهم ، والتقى منهم من تذكر عظمة ربه ، وتدبر عقبي تعدّيه حدوده وحقوقه بزنا أو سرقة أو غيرهما ، فكفّته رهبة الله وحكمة التدبر والتعقل عن إتيان الآثام .

في الوقت الذي نجد فيه ، في الآية التالية : ﴿واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون﴾ نصاً على أن فريق العصيان والفسوق معرضون هم أيضاً - لمسّ الشيطان ولكن أولئك امتنعوا ، وهؤلاء انساقوا ، وازداد طمع الشيطان فيهم فمدّوهم في غيهم بحيث لا يقصرون .

(١) سورة الأعراف ٢٠١ و ٢٠٢ .

(٢) سورة الحشر ٩ .

وإذن فالفرقان يستويان في أن كلاً منها عرضة لتزغ الشيطان إلا أن المتقين يتذكرون الله ، ويتمسكون بالفضيلة ، فيقهرون أنفسهم الأمارة بالسوء ، ويدحرون الشياطين الغواة . أما أولئك «أتباع الشياطين» فليس لهم من القوة والرجولة والكرامة ما يحمون به أنفسهم من غزوات الشياطين ليكونوا أصحاب «فضيلة» .

ونلاحظ - في آيات قرآنية أخرى - أن الله عز وجل يثني على المؤمنين الذين يتعرضون للفتن والوساوس والمتاعب .. فيواجهونها بالصبر الجميل فيذكر عز وجل : ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ كما يذكر تبارك وتعالى : ﴿والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس﴾ أى الذين يصابرون الفقر والمرض ولقاء العدو .

وفي الحديث النبوى ما يقوى «مذهب» الإمتناع على قدرة ، والاعطاء على حاجة ، والإقدام على حذر ، والتعفف على اشتاء - ونكتفي بالدليل على نوع واحد من أنواع هذا المذهب ، وهو هذا الحديث النبوى الكريم «ليس الشديد بالصرعة .. وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب» .

ويروى الحافظ ابن كثير - في تفسيره عن مجاهد أنه كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو أمير المؤمنين يسأله : رجل لا يشتهى المعصية ولا يعمل بها أفضل أم رجل يشتهى المعصية ولا يعمل بها ! فكتب إليه عمر : إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها ﴿أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾^(١)

(١) مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٩ .

وقد فضل فريق من العلماء والفقهاء صالحى المؤمنين على الملائكة - فلماذا ! لأن طبيعة الملائكة خلقت فاقدة للشعور بالشهوات ، بعيدة عن التكاليف ومتاعب الحياة .. فى حين خلقت طبيعة البشر فى وسط هذه الشهوات وهذه التكاليف وهذه المتاعب .. فإذا كان فى البشر مؤمنون صالحون كانوا أفضل من الملائكة بلا جدال .

﴿ألا له الخلق والأمر﴾

حديثنا هنا خاص بقضايا تتصل بقدرة الله عز وجل وانفراده بالأمر والحكم والتدبير : ﴿ألا له الخلق والأمر﴾^(١) . ومهما أوتى العلماء النظريون والصناعيون من علم وصناعة .. فإن لهم حدوداً لا يستطيعون تجاوزها فيما وراءها من اختصاص الله الخالق القادر ، الخبير العليم :

● ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾^(٢) .

منذ بضعة أشهر نشرت الصحف نبأ عما أطلقوا عليه (طفل الأنابيب) وهو ما قام به بعض الأطباء من استخراج بويضة إحدى النساء وتلقيحها بنطفة زوجها داخل أنبوبة خلال أيام ثلاثة أو أربعة ثم نقلها إلى رحم المرأة نفسها حيث ظلت فيه فترة الحمل المعلومه ثم وضعت طفلاً صحيحاً سليماً .

(١) سورة الأعراف ٥٤ .

(٢) سورة الاسراء ٨٥ .

وقد عدّوا ذلك معجزة طبية عظيمة ، وسُمّوا المولود : (طفل الأنابيب) وهو خطأ كبير - لا شك في ذلك - لأنه يعد طفلاً عادياً نشأ من اختلاط نطفة الرجل ببويضة زوجته خارج الرحم لمدة قصيرة محدودة ثم أدخلت البويضة الملقحة إلى رحم الأم وهو المكان الطبيعي للتخليق والتكوين ونفخ الروح فيه .

ومما ينبغي أن يلاحظ - فوق ذلك - أن طبيعة عملية استخراج البويضة صالحة للتلقيح من قناة فالوب بالزوجة استغرقت عدة سنوات واحتاجت إلى تكرار العمليات الجراحية للمرأة .. فقد تكرر خروجها دون أن تستجيب لاحتضان الحيوان المنوى في نطفة الزوج . وهو ما يحدث أيضاً مع وجودها داخل القناة وبعد تسربها للقاء الحيوان المنوى .. فقد يتم التلقيح وقد لا يتم لأن أمر الحمل منوط بمشيئة الله عز وجل : ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلاّ بعلمه﴾ (١) .

وكل ما فعله الأطباء هو التلقيح لأيام محدودة ومعدودة خارج الرحم بسبب العقم المؤقت عند الزوجة لانسداد قناة فالوب التي تتسرب البويضة منها عادة للقاء الحيوان المنوى في نطفة الرجل . وأنا أعتقد أن هذه العملية سوف لا يستطيع الأطباء أن يستمروا في اجرائها لكل زوجة أصيبت بانسداد قناة فالوب .. لأن العملية شاقة ، وتحتاج إلى تكرار حتى يحصلوا على بويضة مستعدة للقاء ، وهو أمر يكلفهم جهداً متواصلاً ، كما يكلف المرأة

(١) سورة فاطر ١١ .

عمليات متابعة لاستخراج البويضة الصالحة أو القابلة للتلقيح .
وليتهم اهتموا بمعالجة انسداد القناة بقطع الجزء المسدود ، ثم
وصلها مرة أخرى .. كما يفعلون ذلك بأجزاء كثيرة من جسم
الانسان باطنه وظاهره ، ليتم اللقاء بين البويضة والنطفة طبيعياً
وسهلاً ، ويتم الحمل بإذن الخالق المصور سبحانه وتعالى ، وبعونه
وتوفيقه . فهو وحده الذى ﴿يعلم ما تحمل كل انثى ، وما تغيض
الأرحام وما تزداد﴾ (١) .

وإنما يكون المولود (طفل أنبوية) لو أنه تخلق ونفخت فيه الروح
وهو داخل الأنبوية خلال شهور الحمل التسعة المعروفة .. ولكن
هذا لم يحدث ، ولن يحدث لأنه من اختصاص الله عز وجل وقدره
ومشيئته .

ومثل هذه المبالغة فى اشاعة الاكتشافات أو الانجازات
الطبية - ما نشرته الصحف قبل ذلك عن نبأ من هولندا أن العلماء
أعلنوا عن مولد عجل صناعى .. وأن النبأ كان مشيراً ، وأن العالم قد
فوجئ به ! .

ثم نقرأ تفاصيل الخبر فنجد ما تقول : «لقد تم حقن نطفة الثور
بواسطة إبرة طبية فى رحم البقرة ، وتعتبر هذه التجربة أو الزراعة
«الثورية» عاملاً هاماً فى عمليات تربية الماشية ، وقد ولد العجل فى
حالة صحية رائعة !!» .

هكذا اطلقوا عليه : (العجل الصناعى) !! .

(١) سورة الرعد ٨ .

وفى رأينا إذا كان الأمر كما ذُكر .. لا تعتبر هذه الولادة صناعية ، لأنها أساساً نتيجة للإلقاء نطفة الثور فى رحم البقرة .. فهو أمر طبيعى ، وكل ما حدث أن الثور لم يكن هو نفسه الذى ألقاها فى رحم البقرة وإنما أخذت منه وحقت فى رحمها .
فالأساس إذن طبيعى : ذكر وانثى ، ونطفة ورحم طبيعيان ..
وإنما جاءت فكرة الحقن الصناعى لأن نطفة الانسان والحيوان أيضاً تحتوى على حيوانات منوية منتجة لأكثر من جنين واحد .. ربما مئات أو آلاف أو ملايين - كما يقولون - .

وبطريقة الحقن استطاعوا أن يفرغوا النطفة الواحدة أو الدفعة الواحدة فى أرحام متعددة لأبقار كثيرة وبهذا ضمنوا إنتاجاً أكثر فى فترة موحدة ..

ولذلك ينبغى لكاتبى الأخبار وناشريها ألا يفهموا منها غير ما تعنيه أو أكثر مما تعنيه ، لئلا يكتبوها وينشروها على غير حقيقتها .
وإنما يكون العجل صناعياً إذا استطاعوا أن يولدوا بقرة من غير نطفة ثور .. وهيهات ثم هيهات ، فليس من خالق غير الله سبحانه وتعالى عما يشركون .

وقريب من هذا المجال .. مجال خيالات الانسان وأوهامه وضلالاته تجاه الاكتشافات الحديثة طبية وصناعية ما كتبه بعض محررى احدى المجلات عن اختراع الطائرة - والراديو - والتلفزيون - والصعود إلى القمر .. وجعل منها دليلاً على قدرة الانسان التى أصبحت تحطم أو حطمت فعلاً ما كنا نسميه «الاستحالة المطلقة» وأكد ذلك بقوله : (إن العقل البشرى استطاع على مر السنين : أن

يُثبت أن ظاهرة الاستحالة المطلقة لا وجود لها في شبكة التفكير
الإنساني^(١).

وهي دعوى يلقيها الكاتب على عواهنها ، فالعقل البشري نفسه
لا يدعيها ، والتقدم العلمي الحاضر لم يزعمها ، والعلماء والمفكرون
العصريون لم يجرؤوا على التكلم بها ..

● فازالت (الاستحالة المطلقة) حقيقة قائمة وثابتة وواضحة
الآن . وستظل كذلك أبداً مهما تعاقبت الأزمان .. ومهما تقدم الفكر
الإنساني ، وتطور العلم البشري .

- فازالت «الروح» من أمرى .. ﴿قل الروح من أمرى ، وما
أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ ..

- ومازال حلم الأطباء في نجاح زراعة القلوب باطلاً وخيلاً ..
- وستظل علوم البشر وأفكارهم عاجزةً عن مقاومة العواصف
والقواصف ، والأمطار والسيول ، والجفاف العام والبراكين ،
وهي تحدث في أرقى البلاد علمياً وتطوراً تكنولوجياً .

● وهذا الطبيب الأمريكى مؤلف كتاب (الإنسان ذلك المجهول)
الدكتور أليكسيس كارل - يعترف بصراحة وذكاء : «بأن ثمة أمراضاً
وعلاً يعجز الطب عن مداواتها .. وقد شفيت بمجرد الإيمان
واللجوء إلى الرحمن» .

● والدكتور ريجى - الطبيب الأمريكى اللبناى الأصل - وهو من
كبار الجراحين يلقى السلاح ويؤكد عدم نجاح (زراعة القلوب) ..

(١) مجلة (الجنات الأخضر) في صفر عام ١٣٩٥ هـ .

وبطالبا الأطباء بالاهتمام والبحث فى إيجاد (وقاية) من الأمراض القلبية . والكف عن اجراء عمليات زراعة القلوب .

مشيئة الخالق ..

وليس تحدى المخلوق !!

نشرت بعض صحفنا اليومية خبراً تحت عنوان (تحدث الأطباء .. بغريزة الأمومة) عن أم تعاني مرضاً فى كليتيها ، وهى فى الرابعة والعشرين من عمرها .. وقد قرر الأطباء أن تخضع هذه الأم المريضة لعلاج مستمر من غسل دمها ، ومراقبة كليتيها ، وعندما أخبرتهم بأنها قد حملت أجمعوا على ضرورة إجهاضها .. فرفضت .. وأنجبت أخيراً طفلة تتمتع بصحة جيدة .. الأمر الذى أذهل الأطباء^(١)

● قلت : لو كان الأمر ، كما وصفت الجريدة ، تحدياً من الأم المريضة للأطباء بغريزة الأمومة .. لكان من الجائز أو المحتمل أن يسقط حملها بعد بضعة شهور ، أو أن تموت هى بسبب الحمل الذى رآه الأطباء مستحيلاً بالنسبة لمرضها الخطير ..

ولكن الحقيقة هى أن ما حدث لهذه الأم من حمل وإنجاب على الرغم من إجماع الأطباء المختصين على استحالة سلامة الأم مع بقائها حاملاً - يؤكد (أولاً) أن مشيئة الله عز وجل وقدرته هما المتحديتان الغالبتان - للعمل البشرى والتقدير الإنسانى - كما يؤكد

(١) جريدة (الرياض) فى ١٥/١٠/١٣٩٧ هـ .

(ثانياً) حاجة الإنسان مهما أوتى من علم وخبرة وتقدير وتدبير .. إلى التسليم بأن هناك ربّاً هو أعلم وأخبر وأقدر وأحكم تدبيراً ، وإلى الاستعانة فى الوقت نفسه بهذا الربّ العليم ، الحكيم الرحيم .. إن هذه الأم المريضة لم تتحدّ الأطباء بغريزة الأمومة ، وإنما تحدّتهم بمشيئة الله الذى خلقها ، وأبتلاها بهذا المرض الخطير ، ثم أراد لها أن تحمل وتنجب على رغم أنوف الأطباء ذوى العلم القليل والإيمان الهزيل !

وصدق الله العظيم فيما قال :

● ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١)

ولذلك نجد زكريا أحد أنبياء بنى اسرائيل عليه السلام .. عندما بُشِّرَ بأنه سينجب ولداً ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ !

إن زكريا عليه السلام هنا يتعجب كيف سيكون له ولد وقد وهن عظمه ، واشتعل رأسه شيباً ، كما أن امرأته عقيم لم تلد منذ تزوجها .. وهى حالة بالنسبة للزوجين معاً تجعل الحمل والانجاب مستحيلين .

ولكن مشيئة الله القدير الخبير فوق المستحيلات البشرية ، فكان الردُّ الإلهى على زكريا : ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيمٌ هَتِينٌ ، وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ (٢)

وبعد قصة زكريا تأتى قصة مريم بنت عمران عليها السلام فى

(١) سورة يس ٨٢ .

(٢) سورة مريم ٩ .

سورة واحدة وسياق واحد ، يأتي إليها الملك .. وهي معتزلة أهلها شرق المسجد الأقصى للعبادة ، متمثلاً في صورة بشر سوى .. فتتعوذ بالرحمن منه خوفاً على نفسها وعرضها ، ويسارع جبريل عليه السلام لطمأتها وإزالة مخاوفها ، فيقول لها : إنه رسول الله عز وجل ليهب لها غلاماً زكياً .

وإذا كان زكريا قد تعجب أن يكون له غلام .. مع أن له زوجة ، وكل ما ظنه مانعاً من الولد هو شيخوخته وعقم زوجته ، فمن حق مريم أن يكون عجبها أشد لأنها امرأة لا زوج لها . ولذلك قالت لجبريل : ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غَلامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ ^(١) فأجابها جبريل : ﴿قَالَ كَذَلِكَ .. قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيُّ هَيْنٌ وَلَنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ ، وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ ^(٢) .

* * *

إن العلماء - على اختلاف اختصاصاتهم نظرية وعملية - يجب أن يقرن علمهم وخبرتهم بالإيمان الثابت ، واليقين الراسخ بأن الله عز وجل الذي علمهم ما لم يعلموا ، وفتح أمامهم أبواب المعرفة ، ونوافذ التجربة ، أعلم منهم وأقدر وأخبر وأحكم - وصدق الله العظيم فيما قال :

- ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ .
 - ﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ .
- وبين أيدينا قصة بل حادثة من الوادي نفسه ، وادي الأطفاء

(١) سورة مريم ٢٠ .

(٢) سورة مريم ٢١ .

والمرضى - يقول الأستاذ موريس قطرب في مجلته (نداء الصحة) :
طلعت مؤخراً اختبار سيدة علمتني درساً في الإيمان والثقة وعدم
القلق على ما قد يجتبه الغد من أحداث .

« قالت السيدة : ذهبت يوماً بزوجي إلى أحد كبار الأطباء ،
ولم أكن حينذاك جاوزت الثلاثين من عمري ، فانتحى بي الطبيب
جانباً وصرح لي بأن حالة زوجي خطيرة ، وبأن الأمل في شفائه
ليس كبيراً ، فاسودت الدنيا في عيني ، وكدت أقع مغشياً عليّ
فأجلسني الطبيب ، وراح يعزيني بكلمات رقيقة ، ثم تابع قائلاً :
أذكر أنني كنت يوماً في الريف ، فرأيت فلاحاً متقدماً في السن
يحرث حقلاً ، فاقتربت منه ، وقلت له مداعباً : هبْ أنك ستموت
بعد ساعتين .. فماذا تفعل !

فنظر الرجل إليّ نظرة ساخرة وقال : استمر في عملي ..
فأثّرت في نفسي هذه الكلمات أعمق تأثير ، وعلمتني أن أوصل
عملي غير عاين بما قد بصوّره عقلي العاجز من متاعب أو مخاوف قد
تصادفتني في الغد» .

ونصح الطبيب العاقل المعترف بعجزه البشري - الزوجة الشابة
الخائفة على زوجها المريض أن يموت بسبب مرضه الخطير - أن
تعتصم بالإيمان وتستمر في أداء رسالتها الزوجية نحو زوجها وأولادها
وبيتها !

يقول الأستاذ قطرب : وخرجت الزوجة من عيادة الطبيب
معتصمة بالإيمان .. ومرت الأزمة بسلام ، واستعاد زوجها
صحته ، ومرت سنوات على هذه الحادثة وهما يعيشان سعيدين »

● قلت : هكذا ينبغي أن يكون إيمان الأطباء عندما يتعاملون مع مرضاهم .. فهم عاجزون مهما أوتوا من علم وخبرة ، وهم جاهلون أيضاً بالغيب ، وما يأتي بعد الغد - مِنْ قَدَرِ الله اللطيف الخبير .
ويذكرني موقف الفلاح الذي ردَّ على الطبيب : بأنه سوف يستمر في حرثه وزرعه حتى لو علم بأنه سيموت بعد ساعتين ..
يذكرني بالتوجيه النبوي الذي تعلَّمنا فيه الرسول ﷺ أن نقف دائماً مثل هذا الموقف المؤمن الشجاع ، حين قال ما معناه : إنه لو قامت الساعة وكان بيد أحدكم فسيلة فليغرسها ..

الضمير في القرآن

سألني أحد طلابي - في الجامعة - بعد أن فرغت من القاء المحاضرة ، واذنت لمن شاء من الطلاب أن يوجه سؤالاً أو يطرح مشكلة ، أو يعرض رأياً حول ما تحدثت إليهم به - سألني هذا الطالب : يا أستاذي .. نقول دائماً في أحاديثنا : فلان لا ضمير عنده - وفلان صاحب ضمير حي ، ونعني بذلك أن هذا مخلص فيما يقول ويفعل ، وأن ذاك لا إخلاص له في قول ولا عمل ، فما هي الكلمة البديلة في مصطلحات الثقافة الإسلامية لكلمة (الضمير) ؟! ؟! أم النفس ؟! أم العقل ! أم الروح ! ..

● قلت للطالب : إن الاسلام اختار لفظ (القلب) للتعبير عما نطلق عليه - اليوم (الضمير) ونجد ذلك واضحاً وصرخاً في ما تحدث به نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام عن مهمة القلب أو وظيفته بالنسبة لسلوك الإنسان .. نجده ﷺ يقول :

- «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله - ألا وهي القلب» .

- وجاء رجل إليه ﷺ يسأله عن البر والاثم فأجابه بقوله : «استفت قلبك .. وإن افتاك الناس وافتوك» وأضاف عليه الصلاة والسلام : «إن البر ما اطمأن إليه القلب والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر !»

- وجاءه مرة أحد أصحابه فسأله : كيف أصبحت ! فرد عليه : «أصبحت أحب الخير وأهله ، وإن قدرت عليه بادرت إليه ، وإن فاتني حزنت عليه - فقال له ﷺ : تلك علامة الله فيمن يريد ...» .

- وسئل عن (الاحسان) فأجاب : «أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» .

هذه الأحاديث النبوية عن القلب ومشاعره وخواطره تؤكد أنه هو ما نسميه في أحاديثنا اليوم (الضمير) .

فحديثه ﷺ عن تأثير قلب الإنسان فيما يحدث لجسده من صلاح أو فساد : أمر واقع من الجانب المادى والجانب الفكرى أو الخلقى على سواء ..

فالقلب الصحيح طبيئاً أو بيولوجياً يتبعه جسم صحيح لأن صحة الجسم تتبع صحة القلب كجهاز منظم للدورة الدموية . والقلب السليم إيماناً بالخالق والسليم شعوراً نحو الخلق يتبعه جسم سليم لا تتحرك جوارحه إلا بحركات الحب ، والعمل الصالح ، والسلوك الكريم ... وثمرات هذه الحركات أو التصرفات

الطبية هي الطمأنينة النفسية والراحة الفكرية والرضا عن الحياة ،
وحسن الظن بالأحياء .

والعكس صحيح أيضاً : أى إذا فسد القلب طيباً أو بيولوجيا
مرض الجسم واعتل وربما أسرع بصاحبه إلى الموت ، وكذلك إذا
فسد إيماناً وشعوراً وسوء ظن وميلاً إلى إيذاء الغير ، وحسداً لأولى
النعمة - فإن الجسم يتبعه فساداً في كل تصرفاته ومسالكة .

كما أن القلب السليم إذا عرض له أمر من الخير والعمل
الصالح - ارتاح له وسرّ به . وإذا عرض له أمر من الشر والعمل
السيئ نفر منه وتألم له . ولذلك يوجه الرسول عليه الصلاة والسلام
المسلم إلى استفتاء قلبه ، وأن يستجيب لفتواه أكثر مما يستمع إلى
فتوى الناس .

وهنا نلاحظ - في الخلافات التي تحدث بين الناس حول ما
يعرض لهم من مشكلات أو قضايا - أن بعضهم يتردد فلا يرضى بما
يفتى به بعض العلماء أو الوسطاء من حل أو فصل في القضية ،
ويرى أن هذا الحل أو هذا الفصل لا يرىء ذمته .. وفي الجانب
المعاكس نرى أن بعضهم - وهو يعلم يقيناً أنه مبطل - يركن إلى ما
يفتى به من حل أو فصل لمشكلته أو قضيته ، ويضع أثم الفتوى على
القائل به ، ويظن أنه سينجو من مؤاخضة الله وعقابه .

مع أن الرسول ﷺ قد نهىنا إلى استفتاء الضمير - أو القلب -
وعدم الاطمئنان حتى إلى حكم القاضي فيما لو حكم له بحق أخيه .
وذلك في هذا الحديث النبوى الحكيم : (إنما أنا بشر .. وانكم
تختصمون إلى) ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض ، فأقضى

له - بنحو مما اسمع - فمن قضيت له بحق أخيه فلا يأخذه ، فإنما أفضى له بقطعة من النار) .

وصاحب القلب السليم هو كما جاء في الوصف النبوي : مراقب لله عز وجل في كل تصرفاته وأعماله ، معتقداً أن الله يراه وينظر إليه في كل حركة وفي كل سكونة ، وإن لم يكن هو يرى الله شاخصاً أمامه كالقرباء من البشر .

وهو - كذلك - يصبح ويمسي محباً للخير وأهل الخير ، كارهاً للشر وأهل الشر ، راغباً في العمل الصالح إن استطاعه سارع إليه ، وإن عجز عنه حزن عليه .

● أليس (القلب) إذن هو الضمير بكل مشاعره وخواطره ، ووظائفه ومسالكه !

وتزداد يقيناً بأن القلب هو الضمير إذا تأملنا الآيات التالية التي تؤكد أهمية عمل القلب وأثره في سلوك الانسان - يقول الله عز وجل :

● ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ - أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ .

● ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ .

● ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ .

● ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ .

● ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ .

● ﴿إِن يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ﴾ .

● ﴿قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنُ ! قَالَ : بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾ .

والخطاب أو الحديث القرآني هنا عن قلوب المؤمنين أى عن الضمائر المخلصة - وفي آيات أخرى نجد خطاباً أو حديثاً قرآنياً عن الضمائر المنافقة ، أو القلوب الفاسدة - يقول الله عز وجل :

- ﴿ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألدُّ الخصام﴾ .
- ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها...﴾ .
- ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ .

- ﴿يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم﴾ .
 - ﴿أفلا يتدبرون القرآن ! أم على قلوب أقفالها !﴾
 - ﴿وقالوا : قلوبنا فى أكثّة مما تدعونا إليه...﴾ .
- وهناك آيات أخرى تصوّر أهمية (القلوب) فى الاستجابة للإيمان أو للقرآن ، والاقدام على العمل الصالح أو الإسراع إلى اقتراف السيئات والمنكرات .

وحسبنا أن نختم الاجابة على سؤال الطالب عن (الضمير) بالحديث النبوى : (إنما الأعمال بالنيات ..) فهو حكم أساسى فى قبول الأعمال ورفضها ، ومواطن النيات إنما هى القلوب .. نسأل الله أن يثبت قلوبنا على الإيمان به ، والعمل الصالح فى سبيله .

الدنيا : بين الامتحان والامتحان !

بعض علمائنا الأفاضل ينظرون إلى الحياة الدنيا نظرة احتقار وامتحان - ويذكرون للتدليل على صحة نظرتهم هذه طائفة من آيات

القرآن الكريم كقوله عز وجل :

- ﴿لَمَّا مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(١)
- ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُو زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾^(٢)
- ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٣) .

قلت : هذه الآيات الكريمات ، وأمثالها ونظائرها كثيرة في القرآن .. لا تعنى التوجيه إلى عدم الاهتمام بالحياة الدنيا ، ولا احتقارها ، وإنما تعنى عدم إثثار لهُوها ومتاعها وزينتها على العمل الصالح فيها من أجل ثواب الآخرة ..

ذلك لأنها كما أكد القرآن نفسه دار ابتلاء وامتحان للإنسان ، وهى بمثابة (اختبار) لما وهبه الله من نعمة العقل والسمع والبصر ، بحيث ينظر ويسمع ويفكر ويختار ما ينفعه من سلوك فى دنياه وآخرته معاً ، بحيث يتأمل فى ملكوت السماوات والأرض ، وما خلق الله فيها من عجائب الأحياء ، وبدائع الأشياء ، ثم يسعى لاستغلال خيراتها واستنباط منافعها - يقول الله تبارك وتعالى فى ذلك :

- ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا .. لِنَبْلُوهُمْ أَهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٤) .

- ﴿الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٥) وهناك - فى القرآن الكريم - آيات أخرى مماثلة تؤكد حقيقة

(١) سورة براءة ٣٨ . (٢) سورة الحديد ٢٠ . (٣) سورة القصص ٦٠ .
(٤) سورة الكهف ٧ . (٥) سورة الملك ٢ .

كون الدنيا امتحاناً للإنسان هل يعمل صالحاً أم يجترح السوء - وهذا ما يجعلنا نختلف مع هؤلاء العلماء الأفاضل في دعوتهم إلى انتباز الحياة الدنيا ، والنظرة إليها بازدياء ، وعدم الاهتمام بالعمل فيها من أجل النفس والغير حتى يكون الدين كله لله ، وتكون كلمة الله هي العليا في دولة الإسلام الحاكمة بشرعه ، المؤمنة بوحدانيته ، المدافعة عن نظامه القويم .

إن الله تبارك وتعالى قد استخلف آدم وذريته من بعده على الأرض ليعمروها بالحق والخير والنور والعدل - وردَّ على الملائكة التي سألت لتعرف - لا لتعترض - : ﴿ اتَّجَعَلْ فِيهَا مِنْ يَفْسُدَ فِيهَا وَيَسْفَكَ الدِّمَاءَ ﴾ ! بقوله الحكيم : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) . فالدنيا مقدمة الآخرة ، والطريق إليها ، وميدان العمل الذي يسبقها ، ولا بد فيها من تدبير وتصرف ، وتفكير وجهاد حتى تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين - ونذكر هنا قول الله عز وجل : ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٢) وآية الملك : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ التي أوردناها كاملةً آنفاً صريحة في وجوب العمل الجاد في الدنيا . لأن احتقار الدنيا والزهد فيها ، والاشتغال بالعبادة وحدها يمنع الزاهدين من التكسب أولاً ، ومن الإنفاق على أنفسهم وأهلهم ثانياً ، لأنهم يتفرغون للركوع والسجود والقعود في مجالس الذكر .. يأكلون من صدقات الأغنياء ويشربون ويكتسون !

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) سورة التوبة ١٠٥ .

وفى التوجيه النبوى الرشيد : (ليس خيركم من ترك دنياه
لآخرته ، ولا من ترك آخرته لدنياه ولكن خيركم من أخذ من هذه
وهذه)^(١) وهذا هو الإسلام الصحيح .

إن الأوصاف التى وصف القرآن بها الحياة الدنيا من هو ولعب
وزينة ومتاع ، وتفاخر بالأموال ، وتكاثر فى الأولاد - تخص
المنحرفين المنصرفين إلى الدنيا وحدها ، الذين لا يعملون لدينهم ولا
لآخرتهم ، وقد وصفهم القرآن نفسه بقوله فى سورة محمد :
﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ .

وما يستدل به هؤلاء العلماء المزهدين فى الدنيا الصارفين للناس
عن العمل والجهاد للنفس والعدو - من قول نسبوه إلى الإمام على
ابن أبى طالب رضى الله عنه : (يا دنيا غرى غرى ... قد بتك
ثلاثاً لا رجعة لى فيك . فعمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك
كبير) هذا الخبر يبدو فيه التكلف البيانى على طريقة نهج البلاغة ،
وهو من حيث واقع الإمام على غير صحيح .. فقد كان كرم الله
وجهه : عاملاً نشيطاً للدنيا والآخرة فى حياة الرسول ﷺ ، وعهد
أبى بكر ، وعهد عمر - رضى الله عنهما - ومقاومته لمعاوية خير
شاهد على ذلك .

وكذلك ما جاء فى بعض الأحاديث النبوية قوله ﷺ : (اللهم
لا عيش إلا عيش الآخرة)^(٢) وقوله : (ما أنا والدنيا إلا كراكب
استظل تحت شجرة ثم راح وتركها)^(٣) وأمثالها - لا تعنى أكثر من

(١) رواه أبو داود . (٢) رواه البخارى .

(٣) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه .

أن الدنيا مرحلة أولى سوف تتبعها مرحلة الآخرة .. فكلتاهما كما
 اسلفنا : مقدمة ونتيجة ، أو بداية ونهاية . ولا يلزم من قصر البداية
 حقارتها وهوانها وعبثها . فالحياة - دون شك - جدٌ وامتحان
 ومسئولية : ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا
 ترجعون﴾^(١) ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما
 باطلاً﴾^(٢) .

إن هذه النظرة المزدرية للدنيا ، والاستدلال عليها ببعض آيات
 القرآن دون الالتفات إلى الآيات الأخرى التي تقرر العكس .
 وتؤكد جدية الحياة ومسئولية الإنسان عن عمله فيها - تدعو الأتباع
 والمريدين الذين يجرون خلف هؤلاء العلماء - إلى الكسل عن
 السعى إلى المزيد من عمارة الحياة بالخير والحق ، والعمل من أجل
 كسب النصر على الأعداء المستعمرين لبلاد المسلمين ، المستبدلين
 لأعناقهم الآكلين لخيراتهم ، السافكين لدمائهم ظلماً وعدواناً .
 وبعد .. فإن (الحياة الدنيا) حق وجد ، وليست باطلاً وعبثاً بل
 هي دار ابتلاء بالخير والشر : ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، وإلينا
 ترجعون﴾ ونخطيء كثيراً حين ننظر إليها ونتحدث عنها بهذا
 الأسلوب المزهد فيها لأننا بذلك نعين أعداءنا علينا ونخالف سنة الله
 عز وجل ونعارض حكمته من خلقنا ، وتسخير ما فى الأرض لنا
 ودعوته إيانا إلى النظر فى ملكوت السماء والأرض للإعتراف والعمار
 والإزدهار .

(١) سورة المؤمنون ١١٥ .

(٢) سورة ص ٢٧ .

المال والنفس في ميزان القرآن

بعض من يكتب في مجلاتنا التجارية ينظرون في آيات القرآن الكريم نظرات سطحية ، ويفهمونها فهماً عاجلاً ، وقد كان حقاً عليهم أن يتفكروا وأن يتدبروا ، وألا يستعجلوا الفهم ، وألا يرسلوا الحكم .. حتى يسألوا أهل الذكر إن كانوا لا يعلمون^(١) .
يقول هذا البعض .. إن المال ذكر في القرآن (٧٦) مرة - ثم يستنبط من ذلك المقررات التالية :

- إن دوران المال بهذه الكثرة في كتاب الله دليل على نظرة الاسلام باهتمام وتقدير إلى المال لآثاره في الحياة .
- إن أكثر ما يذكر المال في القرآن يذكر مقروناً بالأولاد أو الأنفس ، ويقدم عليها في جميع الآيات ، ما عدا مرة واحدة ، وهي قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ..﴾ أما في غير هذه الآية فالمال مقدم دائماً .
- من الآيات التي قدم فيها ذكر المال على النفس والولد قوله عز وجل : ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وقوله تعالى : ﴿فَضَلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ وقوله سبحانه : ﴿فَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ﴾ : وقوله : ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ وقوله : ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ .

(١) مجلة (التجارة) الرياض محرم ١٣٨٩ هـ والمقال لكاتب مجهول لم يذكر اسمه .

● إن تقديم ذكر المال على النفس والولد في جميع الآيات القرآنية التي جمعت بينهما عداية واحدة .. هذا التقديم بلا شك فيه لفت صريح إلى أن المال في منزلة النفس والولد !

● إن هذا التقديم لا بد أن فيه قصداً إلى معنى يرد من هذا التقديم وهو التفضيل . وإلا لما التزمت الآيات هذا الالتزام الذي يكاد يكون إصراراً .

● بل إن تقديم (النفس) في تلك الآية الواحدة على (المال) وهي قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ يعني أن المال أعزّ من النفس ، لأن الإنسان في مجال التضحية والبذل يجعل آخر ما يقدم هو أعز شيء عنده ؟

● إن واقع الحياة يشهد بهذا .. أى بأفضلية المال على النفس فإن للمال سكرة تطفئ على مشاعر المرء وتفكيره ، فيذهل عن نفسه وعن ولده . حتى إنه ليلقى مصرعه في مغامرات يغامر فيها بنفسه ويلقى بها في مواطن التهلكة من أجل المال . وهل كانت جريمة قتل الأولاد عند بعض العرب في الجاهلية إلا خوفاً من الفقر والحاجة ! إذ يقول الله عز وجل : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾ .

هذا ما يراه كاتب المقالة المجهول عن (المال) ونظرة القرآن إليه كشئ أعز من النفس والولد ، ، بزعم الكاتب ، لا يرى القرآن . وسنناقش هذه المقررات فقرة فقرة ، لنرى مبلغها من الصحة والصواب ، أو عكسها :

أولاً : أن المال هو قوام الحياة ، من غير شك ، فيه يتبادل الأحياء المرافق والمنافع . ويتعاونون على قضاء المطالب والحاجات

وهو - بعد - زينة الحياة كما قرر القرآن ذلك ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ . وكثرة دوران (المال) في كتاب الله إنما هي تصوير لواقع الحياة وطبيعة الأحياء . وليس دليلاً - كما يظن الكاتب على اهتمام الاسلام أو القرآن وتقديرهما للمال وآثاره . وتقديمه على النفس والولد ..

فواقع الحياة ، وطبيعة الأحياء ، والحكمة منها لتحقيق الامتحان والابتلاء - هي كما يقرر القرآن نفسه : ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَالْبَنِينَ ، وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ . وَالْأَنْعَامِ . وَالْحَرْثِ - ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ﴾ (١) .

ونحن نرى (النساء والبنين) قدما في هذه الآية على المال الممثل في قناطر الذهب والفضة والخيول المسومة والأنعام والحرث . ثانياً : أن آية ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ ..﴾ قد فانت الكاتب وهي كما نرى تقدم فيها ذكر الأولاد والنساء على ذكر المال . وهي أكثر صراحة من غيرها في تقرير ما حجب إلى الناس وزين لهم من شهوات الحياة الدنيا .

فقد زعم أن (المال) لم يؤخر ذكره إلا في آية ﴿إِنِ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةُ﴾ ومع ذلك فنحن لا نرى مع الكاتب أن التقديم يعنى الأفضلية أو مزيداً من الاهتمام . ففي القرآن الكريم آيات كثيرة يقدم فيها ذكر المال . وفي أخرى

(١) سورة آل عمران ١٤ .

يقدم ذكر النفس والولد والأزواج .
وفى آيات يقدم ذكر الأرض ويؤخر ذكر السماء أو السماوات -
وكذلك الانس والجن تقدم ذكر هؤلاء مرة وتأخر أخرى .
فما دل التقديم على أفضلية أو اسبقية ولا دل التأخير على
العكس .

ثالثاً : أن تأكيد الكاتب لوجهة نظره بقوله (إن هذا التقديم بلا
شك فيه لفت صريح إلى أن المال في منزلة فوق منزلة النفس والولد)
إنما هو تأكيدٌ لسوء فهمه لمنطوق الآيات القرآنية ومفهومها من
ناحية . ومغالطة مكشوفة لواقع الحياة والأحياء .
فالقرآن الكريم عندما يقدم ذكر المال .. إنما يعنى مطالبة الناس
بما يهون عليهم أولاً : ثم مطالبتهم بما يصعب ويعز ، وهو النفس .
أخيراً .

والناس في واقع حياتهم كذلك .. فهم يبذلون المال ، ويشترون
به سلامة أعراضهم ، وعافية أبدانهم ، وحسن سمعتهم .. ولا
يضحون بأنفسهم إلا إذا لم يغن عنهم ما لهم شيئاً . فهي - أى
النفس - آخر ما يبذل دفاعاً عن عرض أو شرف أو وطن أو زوجة
أو ولد . وبذلك كانت الأعز والأفضل والأحب .. ومن هنا قال
الشاعر العري :

أماويّ إن المال غادٍ ورائحٌ

ويبقى من المال الأحاديث والذكر
ولو أن المال أعز من النفس - كما يزعم الكاتب - ما جعل المال
فداء للأسير ، ودية للقتل خطأ ، في حين جعل القصاص جزاء

القاتل عمداً . وحسبنا قول الله عز وجل : ﴿إنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾ .

هذه هى قيمة (النفس) فى القرآن : من قتلها فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً .

إن النظرة إلى (المال) على أساس أنه أعز وأفضل من (النفس) ليست نظرة قرآنية ولا إسلامية ، بل حتى ولا عربية أصيلة وإنما هى نظرة يهودية .. فاليهود هم الذين ينظرون إلى المال نظرة إعزاز وتفضيل ، ويبدلون فى سبيله الأعراض والأنفس ، ويشعلون الفتن والحروب ، ويسومون البشرية الهوان والعذاب .

رابعاً : إن بعض العرب فى جاهليتهم لم يقتلوا أولادهم حرصاً على المال ، أو تفضيلاً له على أولادهم - كما توهم الكاتب - وإنما قتلوهم خوفاً من الفقر الذى يضطرهم إلى ذل الحاجة والسؤال أو إلى بذل العرض بالنسبة للبنات .

فإن العرب فى جاهليتهم وإسلامهم معروفون بالإباء والمروءة ، وإكرام الضيف ، وبذل المال ، وحماية العرض ، والتضحية بالنفس والنفيس فى سبيل حفظ شرفهم وكرامتهم .

والقرآن إنما زجرهم عن قتل أولادهم مخافة الفقر ، ووعدهم بقوله : ﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾ فالقضية إيمان بأن الله هو الرزاق والمعطى ، وهو الكفيل برزق الأولاد ووالديهم .. وليست قضية (مال) واهتمام بجمعه ، وتفضيل له على النفس والولد .

وقد قرأنا فى تاريخنا أن شاعراً حكيماً عرف قيمة (النفس)

وسجلها في قوله :

نفسى التى تملك الأشياء ذاهبةً

فكيف آسى على شىء إذا ذهب !

وقرر حقيقة أزلية أبدية لا يجادل فيها عاقل .. وهى أن النفس فوق كل شىء من متع الدنيا وشهواتها .. إذ هى الكاسبة والمالكة للأشياء الأخرى التى تنتفع بها أو تستمتع ولكنها ككل النفوس مصيرها الموت والفناء .. ولذلك لا يأسف الشاعر على ما يفقد فى الدنيا من مال أو متاع مادامت النفس ، وهى أعز الأشياء ، ذاهبة وفانية إلى أجل !

ومن هنا يتأكد لنا ويتجلى واضحاً :

أن تقديم القرآن ذكر المال على النفس فى مثل قوله عز وجل : ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وقوله أيضاً ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ لا يعنى أهمية المال وأفضليته على النفس وإنما يعنى أنه يجب على المسلم أن يجاهد بما يستطيعه من مال إن كان يملكه أو بنفسه ، أو بهما معاً ، ولا يعنى ذلك بحال من الأحوال أن المال مفضل عند الإنسان على النفس .. فالعكس هو الصحيح .. إذ أن النفس أغلى وأهم عند الإنسان من ماله ، بل من ولده أيضاً ..

● خامساً : حديث المرأة الجهنية .. التى زنت ، وجاءت إلى الرسول ﷺ وهى حبلى ، ليقيم عليها الحد .. فأخبرها ﷺ حتى ولدت .. ثم جرى بها فشدت عليها ثيابها ، ثم أمر بها فرجمت وصلى الرسول عليها ، فقال عمر رضى الله عنه :

تصلى عليها يا رسول الله ! وقد زنت ؟ فقال ﷺ : لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين رجلاً من أهل المدينة لوسعتهم .. وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل !

فالرسول ﷺ يرى أن المرأة الزانية التي جاءت إليه مختارة تريد أن يطهرها بإقامة الحد عليها ، وهو القتل بالرجم - قد جادت لله بأفضل ما تملك وهو نفسها . ولقد كان يسعها أن تستر نفسها . وأن تتوب إلى الله في سرها ، وتقضى بقية حياتها صائمة قائمة ، ولن يرد الله لها توبة ولا يرفض لها استغفاراً لأن حد الزنا بالنسبة لها حق من حقوق الله ، والله غفور رحيم .

● سادساً : في ختام غزوة حنين بين المسلمين وهوازن ، وعندما سيقن غنائم المشركين إلى المسلمين .. جاء وفد هوازن إلى النبي ﷺ - وقد أسلمت هوازن - يتوسلون إليه أن يمن عليهم ، فخيرهم بين نسائهم وأبنائهم وبين أموالهم ، فاختاروا النساء والأبناء على الأموال ؟

وقد عرف - في التاريخ العسكرى القديم والحديث - نظام الفدية بالنسبة للأسرى ، إذ يقدم أهلهم المال لآسريهم فداء لرجالهم .

وهو نظام شبيه بنظام الدية في القتل الخطأ وشبه العمد فلو كانت النفس أهون من المال لما كانت دية ولا فداء . !

● سابعاً : يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب - (وهو قائد عسكري عراقي معاصر) : «إن نفس الإنسان هي أعلى ما يملكه . ولذلك من المستحيل أن يضحي الإنسان بها إلا إذا كانت له عقيدة

راسخة وأهداف سامية» .

ويقول الدكتور محمد البهي في كتابه (الإيمان من توجيه القرآن) : إنَّ الإيمان رسالة وهدف . وليس وسيلة وطريقاً إلى غاية أخرى . ورسالته رسالة شاقة .. لأنها تقوم على التنازل عن (المال) الذي تسعى النفوس عادة إلى جمعه واكتنازه ، كما تقوم على إثارة الموت على (الحياة) نفسها وهي أعز ما يحرص عليه الإنسان ، وأكثر ما يحنى بسببه .

هذا ما أحببت التعقيب به على دعوى أفضلية (المال) على النفس والولد ..

وقد خطرت لى بعد ذلك خواطر وتأملات ، وأنا أقرأ القرآن وبعض الحديث النبوى . فأحببت أن أضيفها هنا ليكتمل البحث ، وربما خطرت بعد ذلك خواطر وتأملات أخرى .

● زيادة على ما سبق ، فى التعقيب الأول عن فطرة الإنسان التى فطر عليها فى حب المال . نجد فى القرآن الكريم هذه الآية : ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾^(١) وهذه الآية الأخرى : ﴿وتحبون المال حباً جمّاً﴾^(٢) والخير فى الآية الأولى هو (المال) .

ثم نجد القرآن يصور الحرص على الحياة والمحافظة على النفس أبلغ تصوير فى قوله عز وجل : ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾^(٣) ثم يهونُ على المؤمنين الصادقين الموت فى سبيل الدين وجهاد الكافرين بقوله سبحانه فى نفس الآية : ﴿وعسى أن تكرهوا

(١) سورة العاديات ٨ . (٢) سورة الفجر ٢٠ .

(٣) سورة البقرة ٢١٦ .

شيئاً وهو خير لكم ﴿ لأن جزاء الاستشهاد في سبيل الله الجنة . ونعمت الدار وما أسعده من قرار . ثم يؤكد التهوين من عظم الفادحة بالإصابة في النفس في سبيل الله ، لأنها أعز وأغلى ، فيقول عز وجل : ﴿ وَلئن قُتِلْتُمْ في سبيل الله أو مُتُّم لمَغْفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ﴾ (١) .

و «مما يجمعون» هو المال . فالنفس كما تقرر الآية خير من المال ، وجزاء التضحية بها في سبيل الله خير من جزاء جمع المال وإنفاقه . ● ونجد في القرآن أيضاً أن عقوبة القتل الخطأ : الدية وتحرير رقبة مؤمنة ، لأن القاتل لم يقصد القتل قصداً في حين نجد عقاب القاتل المتعمد : هو القتل أى القصاص ... أى لا يكفىء إزهاق النفس إلا إزهاق نفس القاتل ، ولا يكفى في ذلك المال أى الدية ، إلا أن يكون خطأ أو شبه عمد كما أسلفنا . ومع ذلك الوعيد الشديد للقاتل العمد : ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً ﴾ (٢) ، أى مع القصاص : غضب الله ولعنته والخلود في عذاب جهنم ..

أما سارق المال فجزاؤه قطع يده نكالا من الله والله عزيز حكيم . وهو فرق واضح مبين بين سارق المال وسارق النفس ، يؤكد أهمية النفس على المال ..

● ثم نقرأ في حديث الرسول ﷺ «لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه التى بين جنبيه» ولم يقل أحب إليه من ماله

(١) سورة آل عمران ١٥٧ .

(٢) سورة النساء ٩٣ .

الذى فى يديه بل أضاف أنفساً عزيزة أخرى - فى رواية ثانية ..
(حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده والناس أجمعين) أو كما قال
عليه الصلاة والسلام .

● وكما قلنا سابقاً : إن اليهود هم الذين تهون عندهم الأعراض
والأنفس فى سبيل الحصول على المال ..

.. نضيف هنا أن اليهود - كما يروى تاريخهم الأسود - كانوا
يسترقون مدينهم إذا عجزوا عن أداء ديونهم ، بينما توصى شريعة
الاسلام السحرة بإنظار المدين المعسر إلى ميسرة كما يقول الله عز
وجل فى القرآن الكريم : ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ .
وفى الحديث النبوى : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال
لرسول الله ﷺ : «إنك أحب إليّ من كل شيء إلا نفسى . فقال :
لا يا عمر حتى أكون أحبّ إليك من نفسك .. فقال : إنك
لأحب إليّ من نفسى يا رسول الله .. فقال رسول الله ﷺ (الآن
يا عمر ..) أى الآن كمل إيمانك .

ومعنا هنا أيضاً - فى موضوع المقارنة بين النفس والمال - بيت
الشاعر الذى يقول فيه عن ممدوحة الذى يجود بأقصى الجود :
يجود بالنفس إن ضن البخيل بها

والجود بالنفس أقصى غاية الجود
وحق ما يقول : الجود بالنفس أقصى غاية الجود .

وبعد .. فعلنا - خلال هذا البحث - قد أوضحنا بما لا يدع
مجالاً للشك ، أو مثاراً للجدل : حقيقة أفضلية (النفس) على
المال .. مقدمين الدليل من القرآن نفسه ، وحديث الرسول ﷺ ،

ثم من واقع الفطرة البشرية ومشاهد سلوكها في الحياة .

«القرآن» هل هو معجزة أدبية

قبل كل شيء ؟!

في إحدى الندوات الأدبية أدلى أديب عربى معروف باهتمامه البالغ بشئون الأدب ، ورعايته السابعة للأسلوب العربى الفصيح الصحيح - وأكاد أقول : أنه المدرس المختص للأدب العربى فى إحدى الكليات^(١) .

.. أدلى هذا الأديب العربى الكبير برأى فى إعجاز القرآن ، فقال : «إن القرآن معجزة أدبية قبل كل شيء !» وعلقت عليه برأى وسط يجعل الاعجاز الأدبى وجهاً واحداً من وجوه إعجاز القرآن المتعددة .

ولكنه أصر - فى تعقيبه على - على رأيه الذى يجعل إعجاز القرآن هو امتيازاه فى فصاحته اللغوية وبيانه الأدبى .

ولم يفسد الخلاف فى رأى بيننا وداً ، ولا وضع لصداقتنا حداً . فهازلنا أخوين صديقين ، ولكنى رأيت أن أجمع أشتات رأى ، وأطراف قولى ... عن اعجاز القرآن فى مقالة برأسها ، لأنى مازلت عند رأى الأول .

المسألة المطروحة هى : هل القرآن معجزة أدبية قبل كل شيء ! والجواب - فى نظرى - أن القرآن ليس معجزة أدبية قبل

(١) هو الأستاذ محمد فوزى البشيشى - من مصر - وكان مدرساً فى كلية الشريعة بمكة المكرمة .

كل شيء .. هكذا بهذا الاطلاق والتعميم والحسم . وإن كان القرآن قد جمع إلى إعجازاته المتعددة إعجازاً أدبياً إلا أن القول بأن (القرآن معجزة أدبية قبل كل شيء) يجرد القرآن عن أبلغ إعجازاته التي دلت عليها مقاصد الرسالة والنبوة .. وعن إعجازات التشريع الحكيم الصالح لكل زمان ومكان - والأخبار الصادق - والغيوب العجيبة عن الماضي والمستقبل .

والقول - كذلك - بأن القرآن معجزة أدبية قبل كل شيء يجعل القرآن كتاب أدب ولغة وبلاغة في حين أنه كتاب تشريع وتعليم وتنظيم ، ومن الطبيعي والبديهي أن يكون - وهو كلام خالق البشر وآدابهم ولغاتهم وبلاغاتهم - معجزاً في أسلوبه وصياغة تراكيبه وتعابيره ، وفوق كل التعابير والتراكيب .

وهذا من يظن أن تحدّى القرآن للمشركين أن يأتوا بسورة أو عشر سور من مثله ، وأن قول الله تبارك وتعالى : ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾^(١) . يعينان الإعجاز أو التعجيز بالأسلوب وحده دون المعاني والأحكام والأنباء والغيوب الماضية والآتية .

وهذا الظن بعيد وغريب ، والذين يذهبون إليه إنما يشغلهم الغلاف عن اللباب ، والاطار عن الصورة ، فالقرآن قد أعجز ولا يزال بمعانيه قبل ألفاظه ، معانيه التي جاءت مناسبة لفطرة الناس فيما

(١) سورة الإسراء ٨٨ .

حدّثهم به من عقيدة سهلة ، وشرعة سمحاء ، وفيما استوفته من حقائق الوجود ورب الوجود ، كما يقول تبارك وتعالى :

● ﴿ما قَرَطْنَا في الكتاب من شيء﴾ .

● ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ .

● ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ .

.. الأمر الذي لم يسبق القرآن فيه كتابُ رسولٍ ، ولا صحفٌ

نبيّ فضلاً عن مواظظ الحكماء من غير الرسل والأنبياء ،

إن اللغة والبلاغة في القرآن غلاف جميل للباب أجمل ،

وإطار جليل لصورة أجل ! وذرونا نتأمل الآية التي ذكرناها آنفاً :

﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ . ثم نتساءل : ما معنى

أنه تبيانٌ لكل شيء ! وتترك الإجابة لبعض الصحابة والتابعين ،

وتتبعها بآراء بعض المفكرين العصريين .

يقول مجاهد : إنه تبيان لكل حرام وحلال . ويقول ابن

مسعود : قد بين لنا القرآن كل علم وكل شيء . وعقّب عليهما ابن

كثير بقوله : إن قول ابن مسعود أعم وأشمل . فإن القرآن اشتمل

على كل علم نافع .. من خبر ما سبق ، وعلم ما سيأتي في كل حرام

وحلال ، وما الناس محتاجون إليه في أمر دنياهم ، ومعاشهم

ومعادهم .

وابن مسعود رضي الله عنه - كما هو معروف - أحد الأربعة

الذين أمر الرسول ﷺ بأن يؤخذ القرآن منهم ، والثلاثة الآخرون

هم : سالم مولى أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب .

ولذلك كما يرى الدكتور محمد أحمد الغمراوي - « يغلب على

الظن أن هذا الفهم لابن مسعود لمعنى الآية قد أخذه عن الرسول عليه الصلاة والسلام . وعلى الباحث أن ينظر أولاً كيف كان القرآن تبياناً لكل شيء في الدين ، ليتخذ من ذلك معياراً ومقياساً لكون القرآن تبياناً لكل شيء في الفطرة .

وهناك آيات في القرآن يتكرر معناها ويتغير بعض ألفاظها ، وهي تتضمن المنّ على الرسول عليه الصلاة والسلام بما اشتمل عليه القرآن : من الغيوب الماضية عن أهل الكتاب وأنبيائهم ومواقفهم تجاه رسالات الله إليهم :

● كقوله تبارك وتعالى : ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾^(١) - أى من قبل القرآن وفى ذلك اعجاز مبين ! .

● وقوله عز وجلّ : ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ، وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾^(٢) .

● وقوله سبحانه : ﴿وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر ، وما كنت من الشاهدين - ولكننا أنشأنا قروناً فتناول عليهم العمر - وما كنت ثاوياً فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكننا كنا مرسلين - وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ، ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون﴾^(٣) .

فهذا هو الإعجاز (بالغيوب) الماضية التى بُهِتَ لها أهل

(١) سورة هود ٤٩ . (٢) سورة آل عمران ٤٤

(٣) سورة القصص ٤٤ ، ٤٦ .

الكتاب ، وغيرهم من الأعراب .
ومن اعجاز القرآن ما تكشف على مدى الأجيال المتعاقبة
تصديقاً للآية القرآنية :

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ
الْحَقُّ ، أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١)
ونكتفي - هنا - بالإشارة إلى ما توصل إليه العلم الحديث من
أسرار تحريم القرآن لأكل لحم الخنزير ، والميتة والدم ، وشرب
الخمر ، وغير ذلك مما دل دلالة معجزة على حكمة التشريع القرآني
الخالد الرشيد .

كما ثبت - هنا - كشفاً علمياً جديداً من كتاب : «حياتي في
الحكمة» للمحامى الأمريكى لويس نيزر يقول فيه : «إن المحامى عادة
يلجأ إلى عنصرى الملاحظة والذاكرة من أجل الحصول على
الحقيقة» ثم يذكر أنه بعد تجارب عديدة واختبارات أجريت على
طلبة جامعة هارفارد تبين له : أن العاطفة والتحيز قد يحولان (ما
نراه بالفعل) إلى (ما نحب أن نراه) وأن الملاحظة ركيزة واهية حين
يكون الملاحظ تحت تأثير انفعال عاطفي .

ويعلق الدكتور سعيد رمضان - في مجلة المسلمون - على ما قاله
لويس نيزر بإيراد الآية القرآنية : ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ
رِجَالِكُمْ ، فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ .. فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ، مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ
الشَّهَدَاءِ .. أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾^(٢) ويرى

(١) سورة فصلت ٥٣ .

(٢) سورة البقرة ٢٨٢ .

أن ضلال الشهادة في الآية معناه اختلاط الأمور واضطراب
الوعي . وإن أخطر مزالق الانحراف في الشهادة هو غلبة العاطفة في
الأمر المشهود به ، والمرأة كما هو معروف ومقرر في طبيعتها . ذات
عاطفة عنيفة غالبة .

وفي بحث قيم للشيخ محمد الخضر حسين - من شيوخ الأزهر -
يرد فيه على من ينكر تعرض النسيان للنساء بأكثر من الرجال
ويستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ أن تفضل احدهما فتذكر
احدهما الأخرى ﴾ يقول رحمه الله : « إن علماء أوروبا قرروا أن في
ذاكرة المرأة ضعفاً وأنها لا تستحضر الماضي كما يستحضره الرجل » .
واستشهد بكلام للدكتور «فينجر» الطبيب الفيلسوف النمساوي
بأن التذكر هو التغلب على ما مضى من الزمن واستحضاره في
الذهن ، ولا يمكن للمرأة لأسباب عضوية ونفسية السيطرة على
هذه الموهبة لأن حياتها متقطعة .. أما الرجل فيمكنه متابعة سلسلة
حياته حلقة حلقة ، ولا يغيب عنه جوهرها في أى وقت من
الأوقات ، ثم قال (فينجر) : إن المرأة لا يمكنها التفرقة بين حياتها
الوجدانية والعقلية ..

● قلت : ومن هنا كان طلب التشريع القرآني للشهادة رجلين
لإحداث التركيز والترابط والتذكير - ثم طلبه ، ان لم يكونا رجلين -
رجلاً وامرأتين للغرض نفسه مع مقاومة التأثير العاطفي عند المرأة ،
وصدق الله العظيم : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى
يتبين لهم أنه الحق .. ﴾ .

ويقول الأستاذ محمد أحمد الغمراوي - رحمه الله - في بحث

قيم له نشرته مجلة (الوعي الإسلامى) الكويتية : (أن الخبر القرآنى إذا تحقق ووقع الغيب اكتسب الخبر إعجازاً آخر هو اعجاز المعنى إلى جانب التعبير . وهو إعجاز دائم لأن الخبر القرآنى محفوظ باق يتلى ، وتحققه الماضى ثابت تاريخياً لا شك فيه ، وتحققه فى المستقبل إذا كان لا يزال ينتظر التحقيق هو تجديد للإعجاز .. هو معجزة جديدة تظهر فى العصر الذى يتحقق فيه الخبر ، وكذلك كل قصص قرآنى وصفه الله بأنه من انباء الغيب) .

ويقول الأستاذ أحمد حسين - المحامى المصرى المعروف - رحمه الله - (ما من رسول إلا وقد أرسل إلى قومه - مزوداً بمعجزة خارقة تصدع عقولهم ، وتحملهم بالتجربة والمشاهدة والعيان على التصديق والإيمان .. إلا سيدنا محمد ﷺ فقد جاءت معجزته الكبرى «القرآن» معجزة عقلية تخاطب العقول بالدليل والبرهان ، ولذلك نرى أنه بينما أصبحت معجزات الرسل تروى وتحكى نرى معجزة الإسلام باقية خالدة خلود العقل الإسلامى) .

ويقول الأستاذ إبراهيم الكتانى : (سيجد كل جيل فى القرآن أشياء جديدة لم تكن معروفة من قبل ، ولن يستطيع جيل واحد مهما أوتى من علم ومهما بذل من جهد أن يحيط بجميع عجائب القرآن ، لأن الله لم ينزله لجيل واحد وإنما أنزله لجميع الأجيال البشرية المتعاقبة) .

● قلت : وهؤلاء العلماء الغربيون من أوروبيين وأمريكيين وغيرهم ما الذى اجتذبهم نحو الإسلام غير الإعجاز العلمى والتشريعى فى القرآن .. ولقد قرأوه مترجماً - لا فى العربية البليغة - ومع ذلك

اعترفوا في مقالاتهم ومؤلفاتهم عن الإسلام : بأن روائع القرآن العلمية والتشريعية هي التي أغرتهم باعتناق الاسلام - أو على الأقل دفعتهم إلى الاعتراف بعبقرية التشريع القرآني ، وإن لم يعتنقوا الاسلام ديناً .

ويعد : فحسبنا بياناً لتعدد وجوه الاعجاز القرآني ، وأن الأسلوب ليس أولها ولا أفضلها - قول القرآن نفسه : ﴿ مَا قَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ . وقول رسوله الذي أنزل عليه وأمر ببيانه « فيه نبأ من قبلكم ، وخبر من بعدكم ، وحكم ما بينكم » ^(١) .

هل الإنفاق في مستوى الإيمان !

قرأت - في مجلة (القافلة) عدد ذى القعدة سنة (١٤٠٠هـ) دراسة قيمة للدكتور أحمد جمال العمرى بعنوان « تأملات في منهج القرآن العظيم » تناول فيها عدداً من الموضوعات القرآنية .

ووجدتني عندما عدت إلى مجلة القافلة اليوم معلقاً على موضوع اهتمام القرآن (بالإنفاق في سبيل الله) كما تناوله الكاتب الفاضل فأحببت أن أسجل هذا الهامس ضمن دراساتي القرآنية .

يرى الدكتور العمرى : أن القرآن يضع الإنفاق في سبيل الله في مستوى الإيمان به حتى أنه لم يطلق عنوان (العقبة) التي تحول بين الإنسان وسعادته على شيء سوى اطعام الفقير والمسكين ، وذلك في قوله عز وجل : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ - وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ - فَكْ

(١) رواه الترمذى .

رقبة ، أو طعام في يوم ذي مسغبة .. يتيماً ذا مقربة . أو مسكيناً ذا متربة - ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة - أولئك أصحاب الميمنة ﴿٦٠﴾

وقد أورد الكاتب الفاضل كدليل على رأيه هذه الآية : ﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر . وأنفقوا مما رزقهم الله .﴾ كما أورد أيضاً بعض آيات من سورة الماعون : ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي يدع اليتيم - ولا يحض على طعام المسكين﴾ كدليل على أن القرآن لم يجعل علامة على التكذيب بيوم الدين أى يوم البعث والجزاء ، وعلى عدم الصدق فى الصلاة .. سوى عدم اطعام المسكين ورد اليتيم .

ثم يضيف الدكتور العمري : إن الصلاة على مكاتها في الدين ، وكونها الركن الذي يلي الإيمان ، وكذلك الصوم والحج لا نجد لها في ترغيب القرآن وترهيبه مثل ما وجدناه للإنفاق في سبيل الله .

● قلت : (أولاً) إن القرآن الكريم لم يركز على أمر واجب بعد الإيمان بالله - كما ركز على إقامة الصلاة وما أكثر عدد الآيات - خلال سور القرآن القصار والطوال - التي تطلب المؤمنين بإقامة الصلاة ثم إيتاء الزكاة أو تصفهم بأنهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة .

(ثانياً) قد ترد بعض الآيات فيها طلب الانفاق في سبيل الله على ذكر الصلاة - ولكن هذا لا يعني أهمية الانفاق على الصلاة ، (فوار) العطف في مثل هذه الآيات ليست للترتيب ، ولا يعني

التقديم والتأخير في معطوفاتها تفضيل المقدم على المؤخر - كآية (البقرة) التي أوردها الكاتب الفاضل : ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ...﴾ .

فإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ركنان من أركان الإسلام ، وما سبق ذكرهما في هذه الآية من الانفاق على ذوى القربى واليتام والمساكين وأبناء السبيل والسائلين . والمالليك لفك رقابهم : فروع أو «مجالات» للفريضة الأصلية التي هي (الزكاة) التي جاء ذكرها في الآية أخيراً بعد الصلاة .

(ثالثاً) أن الآيات القرآنية التي استدلل بها الكاتب الفاضل على (أهمية) الانفاق في سبيل الله على الصلاة والزكاة والصوم والحج - جاءت في مواضع أو موضوعات أو مواقف خاصة ببخل الذين تحدثت عنهم الآيات وشحهم ، وعدم حبهم للإنفاق في سبيل الله .. من المنافقين والكفار .

(رابعاً) إذا كان هناك تركيز - كما يرى الدكتور العمري - في هذه الآيات التي أوردها وفي غيرها على الانفاق في سبيل الله ، فهو إنما حدث معالجة وتربية وترويضاً لما أكدده القرآن أيضاً وركز عليه في آيات وسور أخرى : من طبيعة (الشح) الغالبة في الإنسان كقوله عز وجل في سورة المعارج : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلْقٌ هَلُوعاً﴾ - إذا مسه الشر جزوعاً - وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين ﴿﴾ .

ونلاحظ هنا استثناء القرآن (المصلين) من هؤلاء الأشحاء البخلاء مناعى الخير ، الجازعين من الشر .

وكقوله تبارك وتعالى - في سورة العاديات : ﴿وانه لحب الخير لشديد﴾ وقوله : ﴿وتحبون المال حباً جماً - وتأكلون التراث أكلاً لما﴾ وقبل ذلك وفي السورة نفسها - سورة الفجر - يقول : ﴿كلا بل لا تكرمون اليتم ولا تحاضون على طعام المسكين﴾ .
وكقوله - في سورة الاسراء - ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكنكم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً﴾ وقوله : في سورة التغابن ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ .
وفي التوجيه النبوي الذي يرويه مسلم : (اتقوا الشح .. فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) .

● فليس ما جاء من تركيز - في هذه الآيات المحدودة المحدودة على الانفاق في سبيل الله .. دليلاً .. على أهميته فوق الصلاة والزكاة والصوم والحج ، وليس هو كذلك برهاناً على أن القرآن جعله في مستوى الإيمان - كما قال الدكتور العمري .

النفس الإنسانية !!

في حديث القرآن

نتناول في دراستنا هذه (النفس) الإنسانية - في ضوء القرآن الكريم - تعقياً على ما جاء في كتاب صدر حديثاً بعنوان : (النفس الإنسانية في القرآن الكريم) للأستاذ إبراهيم محمد سرسق ..
وقد تناول المؤلف الفاضل في كتابه : مفهوم النفس الإنسانية - ونماذجها في القرآن .. الأمانة بالسوء - واللومة - والمطمئنة -

وأهداف القرآن في النفس البشرية الخ .
وكنت قد قرأت الكتاب خلال رحلتى إلى نيجيريا في شوال سنة ١٤٠١ هـ وعدت إليه الآن : فوجدت بعض الهوامش بقلمى على بعض صفحاته .. فأحببت أن أحاور حولها الصديق العزيز الأستاذ إبراهيم . الذى أقدر له جهاده الصحفى الإسلامى حق قدره ، وأسأل الله له مزيداً من التوفيق .

* * *

● فى ص ٤٩ - وجدته ينقل عن الإمام الشوكانى رحمه الله من كتابه (فتح القدير) عن الآية القرآنية : ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النِّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ .. «قوله : إن كان ذلك من كلام يوسف فهو من باب الهضم للنفس ، وعدم التركىة لها .. مع أنه قد علم هو وغيره من الناس أنه برىء ، وظهر ذلك ظهور الشمس - وإن كان من كلام امرأة العزيز فهو واقعٌ على الحقيقة ، لأنها قد أقرّت بالذنب ، واعترفت بالمرودة والافتراء على يوسف ..» .

قلت : عجبت كثيراً أثناء مطالعائى لكتب التفسير من ذهاب كثير من المفسرين إلى أن هذه الآية : ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي .. إن النفس لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ من كلام سيدنا يوسف عليه السلام ، مع أن سياق الآيات قبلها ، وواقع القصة يمنعان ذلك ، ويؤكدان أنه تنمة لكلام امرأة العزيز الذى بدأته بقولها بين يدى الملك وفى حضور النسوة الأخريات : ﴿قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق .. انا راودته عن نفسه ، وانه لمن الصادقين -

ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ، وأن الله لا يهْدِي كيد الخائنين -
وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ، إن ربي
غفور رحيم .. ﴿١﴾

هذا هو سياق الآيات الثلاث المتتابة وكلها من حديث امرأة
العزیز جواباً على مسألة الملك عندما امتنع يوسف عن الخروج من
السجن والحضور إلى الملك : ﴿وقال الملك ائتوني به فلما جاءه
الرسول قال ارجع إلى ربك فأسأله ما بال النسوة اللاتي قَطَّعنَ
أيديهن ! إن ربي بكيدهن عليم - قال : ما خطبكن إذ روادتن
يوسف عن نفسه ! قلن حاش لله : ما علمنا عليه من سوء - قالت
امرأة العزیز .. ﴿٢﴾ الخ (٣)

إن يوسف عليه السلام رفض أن يحضر من السجن عندما طلبه
الملك وبعد أن استمع إلى تفسيره لرؤياه كما نقله إليه الفتى الذى كان
سجيناً مع يوسف ، وعرف صدقه وقدرته على تأويل الأحلام -
أجل لقد رفض الحضور إلى الملك حتى تعلن براءته من النسوة ومن
امرأة العزیز .. فلما سمع الملك جواب النسوة أولاً ثم الاجابة المهمة
والمطلوبة بالدرجة الأولى .. وهى إجابة امرأة العزیز طلبه للمرة
الثانية ﴿وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسى فلما كلمه قال إنك
اليوم لدينا مكين أمين .. ﴿٣﴾

فالسباق والسباق خلال آيات هذا المقطع من قصة يوسف
عليه السلام .. ابتداء من تعبيره لرؤيا الملك - وهو فى السجن - ثم
طلب الملك إياه أن يحضر لديه ، وامتناع يوسف عن الحضور حتى

(١) سورة يوسف ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ .

(٢) سورة يوسف ٥٠ ، ٥١ . (٣) سورة يوسف ٥٤ .

يسمع الملك جواب امرأة العزيز والنسوة الأخريات عن ما اتهم به -
ثم حضور هؤلاء النسوة وامرأة العزيز وإعلانهن جميعاً براءة
يوسف .

.. أقول : ان سباق الآيات وسياقها يؤكدان أن هذه الآية
﴿وما أبرئ نفسي .. إن النفس لأماراة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾
من كلام امرأة العزيز لأنها اعترفت بخطيئتها وبراءة يوسف ، ولذلك
عقبت على اعترافها بأنها لا تبرئ نفسها من الخطأ .. فالنفس
البشرية أماراة بالسوء ..

أما يوسف فقد كان غائباً - في السجن - عن مجلس الحوار بين
الملك والنسوة وامرأة العزيز ... ثم هو برىء فعلاً ، وليس في مقام
اتهام واعتراف بالذنب كما هو مقام امرأة العزيز .
ولذلك فأنا أرى أنه لا محل لتردد الامام الشوكاني بين نسبة
الكلام في الآية ليوسف أو للمرأة العزيز .

* * *

● وفي ص ٥٢ - يقول الأستاذ إبراهيم سرسيق : إن الله سبحانه
أورد الناس - في الآية موضوع البحث - في صيغة الاستغراق
المفيد لعموم الجنس .. ونظيرها قوله تعالى : ﴿إن الإنسان لفي
خسر﴾ من سورة العصر .

- قلت : إن (ال) التعريف في النفس : ﴿إن النفس لأماراة
بالسوء﴾ وفي الإنسان : ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ هي للعهد
وليست للجنس .

فليس جنس النفس عموماً أماراة بالسوء - وليس جنس

الإنسان عموماً في خسر. وإنما المقصود : النفس المعهودة بالأمر بالسوء ، والإنسان المعهود بالكفر والجحود .
ولذلك جاء الإستثناء مُنقطعاً بعد هذا التعريف للعهد - لا للجنس - بقوله : ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ وفي الثانية : ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾
ولا أطيل بسرد الآيات القرآنية التي تثبت تكريم الخالق العظيم للإنسان ، وإنشائه في أحسن تقويم ، وتفضيله على كثير من المخلوقات .

* * *

● وفي ص ٦٦ - يقول المؤلف الفاضل عن الآية الكريمة من سورة الشمس : ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ : إن تقديم الفجور على التقوى سببه - والله أعلم - أن دواعي الفجور في النفس أقوى ، ولذلك ورد الخبر بأن الجنة حُفَّتْ بالمكارة كما حُفَّتْ الجنة بالشهوات .

- قلت : إن التقديم هنا - في رأينا - لمراعاة الفاصلة وهو كثير في آيات القرآن الكريم كقوله عز وجل : ﴿إِن لَّنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ وقوله : ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ .
ثم ان الحديث في الآية ليس عن دواعي الفجور ودواعي التقوى ، ولكنه حديث عن بيان الله عز وجل للإنسان طريق الخير وطريق الشر ، كما قال تبارك وتعالى - في سورة البلد - : ﴿وَهْدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ وفي سورة الإنسان : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ ..

ونلاحظ هنا في الآية الأخيرة أنه قدّم الشاكر على الكافر مع أن الشاكرين المؤمنين من الخلق قليلون : ﴿وقليل من عبادى الشكور﴾ ولكن تأخر «الكفور» مراعاة للفاصلة أيضاً .
وقد امتاز القرآن كما نعلم جميعاً - ببلاغته اللفظية والموضوعية ، ولا غرابة في ذلك فهو كلام العليم الحكيم ، وهو أحسن الحديث ، وأصدق الكلام .

* * *

ويقول المؤلف في صفحة ٦٢ - ٦٥ : (هناك رأى يقول : «إن النفس اللوامة صفة ذم لا مدح ، وينسب هذا الرأى إلى قتادة وابن عباس رضى الله عنهم - اجمعين وقد توسط الإمام ابن القيم رحمه الله في الأمر ، فلم يعتبر النفس اللوامة ممدوحة على الدوام ، أو مذمومة على الدوام ، وإنما نظر إليها من ناحية ما تلوم عليه فإن لامت على الخير فهي مذمومة ، وإن لامت على الشر فهي ممدوحة» .

ثم أضاف المؤلف الفاضل قوله : (واذن فهي نفس مترددة بين الخير والشر ، أو هي في منزلة وسطى بين النفس الأمارة بالسوء ، التي اختارت السير على طريق الشوك ، والتخبط في الظلام ، والتردى في الإلته .. وبين النفس المطمئنة التي هي أعلى مراتب النفس وعندها السكون والطمأنينة) ..

- قلت : إن الله عز وجل يقسم بالنفس اللوامة ، وهو لا يقسم إلا بعظيم أو طيب من مخلوقاته ، واذن فالنفس اللوامة هي النفس الطيبة التي تلوم صاحبها إذا ارتكب خطأ أو اجترح إثماً ،

وقد ذكر القرآن الكريم نموذجاً لهذه النفس اللوامة - في سورة آل عمران - في قوله تبارك وتعالى : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ . أُولَئِكَ جِزَاءُ مَا غَفَرَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَجَنَاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (١) .

وفي الحديث النبوى : (كل بنى آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون) .

والمؤلف الفاضل نفسه يذكر في (ص ٦٥) إن الله لا يقسم إلا بأعلى الأشياء وأكرمها وأعظمها - واذن فلا حاجة إلى سرد الأقوال والآراء المتناقضة أو المتعارضة عن (النفس اللوامة) فهي النفس الطيبة التى تلوم صاحبها على ما تخطئ فيه ، أو تظلم ، أو تأثم ، وآيات آل عمران تكفى للدلالة على ذلك وتأكيده .

* * *

● وفى (ص ٧٠) يقول الأستاذ إبراهيم عن قوله عز وجل (لا أقسم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة ..) : لقد وردت الآيتان في مطلع سورة القيامة متضمنتين صورة القسم دون تحقيقه وإمضائه - ويبدو أن التلويح بالقسم دون تحقيقه وإمضائه جاء لحكمة جلية ، وهى التدليل على أن القسم عليه أمر لا يحتاج في وضوحه وثبوته وتيقنه إلى قسم .

(١) سورة آل عمران ١٣٥ - ١٣٦ .

- قلت : إن الله عز وجل عندما يقسم على أمر لابد من إيراد القسم عليه ظاهراً والا لم يكن للقسم الآلهى داع أو حاجة أو مبرر ، والمقسم عليه هنا فى أوائل سورة القيامة موجود وظاهر ، والحاجة إليه داعية ، وهو قوله عز وجل : ﴿بلى قادرين على أن نسوى بنانه﴾ وإن كانت قد وقعت بينه وبين القسم جملة معترضة هى قوله تبارك وتعالى : ﴿أحسب الإنسان أن نجمع عظامه﴾ فهى جملة مهمة وضرورية لأنها هى موضوع القسم . وهى سببه ، والداعية إليه ..

ذلك أن موضوع القضية الذى أقسم بسببه هو : إنكار الكفار للبعث والنشور يوم القيامة ، واستكثارهم أو استعظامهم أن يحيى الله العظام وهى رميم .. كما جاء ذلك فى أواخر سورة (يس) ﴿وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال : من يحيى العظام وهى رميم - قل يحيىها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ وهنا فى سورة القيامة جاء قوله : ﴿أحسب الإنسان أن نجمع عظامه﴾ فكان التعقيب وهو المقسم عليه : ﴿بلى قادرين على أن نسوى بنانه﴾ وهى عظام أصابع اليدين وهى أصغر العظام فى جسم الإنسان وأدقها . والقادر على جمع الصغار قادر على جمع الكبار .. تبارك وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وقد أوردت كتب التفسير روايات متعددة عن أسباب نزول سورتي القيامة و(يس) وسمت الأشخاص المستنكرين والمستكثرين للبعث والنشور ..

* * *

● وفى (ص ٩٠) يشير المؤلف الفاضل إلى ما يقرره علماء النفس العصريون من وجود (الذات العليا) أو (الأنا العليا) وضرب الأستاذ إبراهيم مثلاً لما يقرره هؤلاء : نفسية الرسول عليه الصلاة والسلام .. وهو فى غار ثور عند هجرته من مكة الى المدينة ، عندما قال له أبوبكر رضى الله عنه : يا رسول الله لو نظر أحدهم - أى المشركون الذين كانوا يطاردون الرسول - تحت قدميه لرآنا!

يقول الأستاذ إبراهيم (..) وهنا تجلت النفس المطمئنة بأروع مظهر ، وأبدع مخبر ، وربط الله على قلب نبيه محمد ﷺ فرداً على أبى بكر : ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟

- قلت : إن نفوس الأنبياء لا يقاس عليها ، فإنهم صلوات الله وسلامه عليهم ينفردون بالوحى الإلهى دون سائر البشر ، وإنما نستطيع أن نضرب المثل للنفس المطمئنة أو (الذات العليا) كما يسميها علماء النفس العصريون - بنفس (بلال بن رباح) رضى الله عنه عندما كان يعذبه المشركون فى مكة بأشد أنواع العذاب ، فيقول : (أحد .. أحد) حتى أنقذه أبوبكر رضى الله عنه فاشتراه من سيده أمية بن خلف ثم اعتقه ، وقال عنه عمر بن الخطاب رضى الله عنه : (أبوبكر سيدنا وأعتق سيدنا)؟؟

ومثله (خبیب الأنصارى) الذى أسره المشركون فى مكة وسجنوه ، ثم خيره بين الموت والارتداد إلى الشرك ، والإيمان بالللات والعزى - فكان رده : والله لن أرجع عن الإسلام ، وإن قتلى فى الله قليل .

* * *

● وفي ص (٩٣) يقول المؤلف الفاضل : من المعلوم أن صاحب النفس الأمارة يجاهد نفسه ، ويغالب هواها .. لكف شرها ، والحد من طغيانها - ثم يورد نقلاً عن ابن القيم أنه قال : « في الزمن الذي يشتغل هذا بنفسه ، ومحاربة هواه وطبعه يكون صاحب النفس المطمئنة قد قطع مراحل من سيره ، وفاز بقرب صاحب المنازعة والمحاربة ! »

- قلت : هذا الوصف الذي جاء في كلام الأستاذ إبراهيم سرسيق ، وفي مقالة ابن القيم .. ينطبق على (النفس اللوامة) أما النفس الأمارة بالسوء فهي التي تنقاد لهواها دون مجاهدة ولا مغالبة ولا مكيدة . فتشرب الخمر - مثلاً - أو تأكل الحرام ، أو تزني ، وهي ملتذذة بما تقترف من منكر ، سعيدة بما تمارس من حرام !

النفس الإنسانية : واحدة !

وكتب الدكتور محمد النقيب العطاس في جريدة المدينة يوم ١٤٠١/٢/٤ هـ مقالاً عن (طبيعة المعرفة .. وتحديد أهداف التعليم) ابتداء بالحديث عن (الإنسان) فقال : للإنسان نفسان على قياس طبيعته الثنائية .. فالنفس الأعلى هي النفس الناطقة والنفس الأدنى هي النفس الحيوانية .. (والصواب أن يقول : العليا والدنيا) وعلى النفس الناطقة أن تعلو على النفس الحيوانية .. الخ .

● والحقيقة العلمية والدينية : أن للإنسان نفساً واحدة وأن الله عز وجل خلق الإنسان إنساناً ولم يخلق بعضه انساناً وبعضه حيواناً والقرآن الكريم صريح وفصيح بأن الله كرم بني آدم وفضلهم على

كثير من المخلوقات الأخرى .. وبأن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم .. وأنه صور الناس فأحسن صورهم ومنحهم عقولاً واسماعاً وأبصاراً ليتفكروا ويتدبروا ثم يعملوا على بينة وعلى بصيرة : ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ .

وإذا وقع من النفس الإنسانية خطأ أو انحراف عن الصراط المستقيم فهو صادر من النفس ذاتها لجهل أو سفه أو ضلال وقد تعود النفس إلى الصواب فتبتدى أو تبقى في الضلال فتشقى .
والقرآن الكريم عندما يصف النفس مرة بأنها لوامة ، وأخرى بأنها أمارة بالسوء ، وثالثة بأنها مطمئنة ، فهى أوصاف للنفس واحدة .. تتعدد أهواؤها ، وتتكبر أخطاؤها ، وتختلف مجالات تقديرها وتدبيرها .

* * *

وذهب الدكتور العطاس في مقاله إلى أن الاسلام لا يقبل نظرية العقد الاجتماعى الذى وضعه الإنسان فلا الدولة ولا المجتمع حقيقة فى نظره الخ .

وقد أسلفت القول مفصلاً فى كتابى (محاضرات فى الثقافة الاسلامية)^(١) عن نظرية العقد الاجتماعى التى قال بها أولاً (وأيدها (جان جاك روسو) وتوسع فيها وقد عرف بها - وقلت : إن الإسلام سبق إلى إقرار هذه النظرية وأوردت كتاب الرسول عليه الصلاة والسلام لعمر بن حزم حين بعثه والياً على اليمن حيث بدأ

(١) ص ٢١٥ النطعة السادسة .

هذا الكتاب بالآية القرآنية : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ﴾ فهو بهذا يؤكد أن الحكم أو الحكومة إنما تقوم بين الحاكم والشعب على أساس التعاقد والاتفاق والرضا حيث لا تجب الطاعة للحاكم إلا إذا حكم بما أنزل الله : (ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) .. الخ .

● وفي أول خطبة لأبي بكر وهو أول خليفة بعد الرسول ﷺ قال : (اطيعوني ما أطعت الله فيكم - فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم) .

● فالحكومة الإسلامية - بلا ريب - عقدٌ إجتماعي بين الحاكم والمحكوم أو بين الحكومة والمواطنين لكل منهما حقوق على الطرف الآخر يجب أن تؤدَّى كاملة دون اختلال أو مطال^(١) .

الراسخون في العلم

في كتابي : (مأدبة الله في الأرض) الذي صدر سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م دراسة مفصلة للآية القرآنية : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَآخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ . وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ .. يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٢) وإنما أكتب هذا الفصل هنا تعقياً وتأيداً للدكتور محمد عالم كبير خان - الطبيب الباكستاني - لما بحثه في كتابه (الإسلام والطب

(١) أى ماطلة وتسويق .

(٢) سورة آل عمران ٧ .

الحديث) حيث قال فى مقدمته : (إن الإسلام دين الفطرة الإنسانية ، وهو مع كونه مصدراً للروحانية فهو فى الوقت نفسه أفضل وأكمل نظام للحياة المادية ، وإن الذى يسير فى نطاق أحكامه لا ينال الكمال فى حياته المادية والاقتصادية والسياسية فحسب - بل ينال أيضاً القوة والصحة والعافية فى نفسه وجسده) .

ثم أشار الدكتور خان إلى الآية الكريمة فقال : إن الآيات المحكمات هى الأسس الراسخة فى بناء الأحكام القرآنية ، وهى قضية .. مفهومها واضح ومقاصدها ظاهرة .. لا تحتاج إلى تأويل ، ولا مجال فيها للاختلاف . أما آيات - الأخرى التى سهاها الله عز وجل «بالمتشابهات» فهى الآيات التى مازالت حتى يومنا هذا عزيزة على إدراكنا ، ولا يستطيع المرء فهمها بعلمه وحواسه ، ولا يعرف معناها الحقيقى إلا الله ، ويؤمن بها الراسخون فى العلم الذين هم المتضلعون فى علومهم ، أو ما نسميهم فى أيامنا هذه (بالأخصائيين) .

وأضاف الدكتور خان : إن نطاق العلم واسع جداً وهو آخذ بالاتساع يوماً بعد يوم . وإن كل علم فى الحياة من العلوم الدينية .. إلى علوم الطب والهندسة والزراعة والصناعة وغيرها ، يدخل فى نطاق العلم الذى أشار إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿والراسخون فى العلم﴾ وما يؤكد إعجاز القرآن أنه لم يترك حكماً من أحكامه ولا أصلاً من أصوله ناقصاً .. كما أشار إلى ذلك فى قول

الله عز وجل : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (١) .
 فالآية تدل على أن الله قد فضّل كل شيء بوضوح في القرآن
 الكريم ، وإن ما نحتاج إليه هو أن نؤمن به إيماناً كاملاً ثم نبحث عما
 نريد ، وسنجد مزيداً من التفصيل للآيات المتشابهات في أحاديث
 نبي الإسلام ﷺ .. كما يشير إلى ذلك قوله تبارك وتعالى ﴿وَأَنزَلْنَا
 إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ . وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢) .
 ● قلت : يبدو من كلام الدكتور خان هذا أنه يميل إلى الرأى
 القائل بإمكانية وصول الراسخين في العلم إلى تأويل الآيات
 المتشابهات .

وذلك لأن العلماء اختلفوا في تفسير الآية فقال فريق منهم
 بوجوب الوقف على نهاية هذا المقطع من الآية : ﴿وما يعلم تأويله
 إلا الله﴾ ثم الابتداء بقوله : ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به
 كل من عند ربنا﴾ أى أن الراسخين في العلم ليسوا معطوفين على
 لفظ الجلالة ، وإنما هي جملة مستأنفة مكونة من مبتدأ وخبر .
 ومعنى ذلك أن الآيات المتشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله وحده عز
 وجل ..

أما الفريق الثانى فيرى أن جملة ﴿والراسخون في العلم﴾
 معطوفة على لفظ الجلالة ، وإن جملة ﴿يقولون آمنا به كل من عند
 ربنا﴾ هى حال وليست خبراً .. أى يعلمون تأويل هذه الآيات
 المتشابهات ، مع إيمانهم الكامل بها وبالحكمات أنها جميعاً من عند
 الله تبارك وتعالى .

(١) سورة النحل ٨٩ .

(٢) سورة النحل ٤٤ .

ويستدل الدكتور خان على ذلك بدليلين (الأول) من القرآن نفسه ، من قوله عز وجل : ﴿وَنُزِّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ ، وقوله أيضاً : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ - فالآيات المتشابهات لا بد أن تكون معلومة .. ولكن ليس لكل الناس وإنما للراسخين في العلم منهم ، وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل الذين مهمتهم تبيان أحكام الكتب وتفسير ما أجمل منها .

والدليل الثاني : تفسيره (للمراسخين في العلم) بما نسميه في عصرنا الحاضر بالأخصائيين - أى ذوى التخصص في علوم الطب والهندسة والزراعة والصناعة فهؤلاء العلماء المتخصصون في علومهم ، المتعمقون في أبحاثهم ودراساتهم وتأملاتهم .. كل في مجال علمه وتخصصه يستطيعون - بل استطاعوا فعلاً - أن يصلوا إلى حقائق القرآن العلمية .. التي لم تعرف من قبل للأجيال السابقة بحكم افتقاد هذه التخصصات العلمية .. في عصورهم الغابرة .

واستطيع أنا أن أضيف إلى استدالات الدكتور خان ما يزيد هذا الأمر وضوحاً وتأكيذاً لصحة مذهبه في فهم الآية القرآنية .. فالله تبارك وتعالى يقول : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ ^(١) .

وقد تحقق مفهوم هذا التحدى الإلهي في الكثير من تطورات العلوم خلال العصور الحديثة . فمن الآيات المتشابهات قوله عز وجل : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تَنْبِت الْأَرْضُ وَمِنَ

(١) سورة فصلت ٥٣ .

أنفسهم ومما لا يعلمون ﴿وقوله تعالى : ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ وقوله تعالى : ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾ .

فهذه الآيات كانت في عصر نزول القرآن وما بعده مما لا يعلم تأويله الا الله ، والراسخون في العلم فيما يأتي من الزمان .. فقد ثبت علمياً في العصر الحاضر أن نظام (الزوجية) شاملٌ للجناد أيضاً .. مع الانسان والحيوان والنبات ، أى في جميع المخلوقات بما في ذلك الذرة التي هي أصغرها ولا ترى بالعين المجردة .

وكذلك الأمر في مجال النقل والانتقال تحقق إعجاز القرآن الكريم كما وقع التحدى الإلهي بإظهار القدرة الإلهية وإثبات صدق القرآن وصدق الرسول .. فعلم الله تبارك وتعالى الإنسان ما لم يعلم .. من اختراع السيارة فالطائرة فالمراكب الفضائية .. والبقية آتية لا ريب فيها .

وإذن فالراسخون في العلم يعلمون تأويل المتشابهات من آيات القرآن الكريم ، مع إيمانهم الكامل بأنها من عند الله كآيات المحكمات تماماً .. والفرق بينهم وبين الذين في قلوبهم زيغ أن هؤلاء يفسرون المتشابه من آيات القرآن عن جهل وسفه وهوى ليتخذوا منه حجة لمذاهبهم الضالة وزعمون أنهم إنما يتبعون القرآن ، وهم - في واقع الأمر - يتبعون الشيطان .

ونضرب - مثلاً - من هؤلاء الذين في قلوبهم زيغ يوضح كيف اتخذوا من المتشابه حجة على ضلالهم المبين . وهذا مثلهم تبع الذين المسيحي الذين حرفوا عقيدة (التوحيد) عما جاءت به في التوراة

والانجيل ، كما جاء به موسى وعيسى عليهما السلام - حرّفوه إلى الشرك الوثنية بزعمهم : أن الله ثالث ثلاثة ، وأن المسيح عليه السلام ابن الله .

لقد احتجوا على سلامة عقيدة التثليث التي لم تكن أصلاً من أصول كتبهم المقدسة ، وعلى أن المسيح عليه السلام ابن الله تبارك وتعالى عما يقولون علواً كبيراً - بما جاء في كتبهم أولاً وبما أيّده القرآن أخيراً .. من أن الله عزّ وجلّ خلق المسيح من أمّ بلا أب ، وأنه - أى المسيح - روحٌ منه .. أى من الله .

وقد تكرر الحديث في القرآن الكريم عن كيفية خلق المسيح ، ونكتفي بما جاء في سورة مريم وما جاء في سورة التحريم - وهو قوله عزّ وجلّ : ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ وقوله تعالى ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ..﴾ - وكيفية نفخ الروح في مريم الذي كان وسيلةً أو سبباً أو علامةً لخلق المسيح في رحم مريم - هذه الكيفية من سنن - الذي يفوض علمه إلى الله ، وليس في هذه الآية أو الآيات التي تحدثت عن خلق المسيح وحمل مريم له ما يفهم منه أن المسيح هو ابن الله ، وأن جبريل عليه السلام الذي كان رسولاً إلى مريم يبشرها بميلاد المسيح ، وواسطة لنفخ الروح بطريق مباشر أو غير مباشر - أصبح - أى جبريل - شريكاً في الألوهية (الأب ، والابن ، وروح القدس) .

ولكن هؤلاء الذين في قلوبهم زيغ يحتجون بأن الله عزّ وجلّ قال : إنه أى المسيح (روحٌ منه) وأنه نفخ مريم من روحه ، فهو

إذن بزعمهم - ابن الله !!

هذا مثل واحد من أمثلة كثيرة على مرضى القلوب الذين ينحرفون بتأويل المتشابه من آيات القرآن الكريم إلى تأييد معتقداتهم الضالة ابتغاء الفتنة كما قرر القرآن نفسه ذلك .

أما الراسخون في العلم فقد يدركون تأويل هذا المتشابه مع إيمانهم بالله وبالقرآن وبالرسول جميعاً ويكون تأويلهم متفقاً مع هذا الإيمان .. لا منحرفاً أو منصرفاً إلى ما يخالف عقيدة التوحيد وشريعة الاسلام ، وقد جاء وصف هؤلاء الراسخين في العلم في آية أخرى من القرآن بما يؤكد التزامهم (بالإيمان) قبل كل شيء وهي قوله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(١) .

(١) سورة فاطر ٥ .

الفصل الثاني

قضايا قرآنية

- القرآن صريح في اثبات السحر والحسد .
- القرآن والعلم الحديث !
- حوار مع الدكتور مصطفى محمود .
- حوار مع الشيخ علي الطنطاوى .
- هل كان الرسول يعلم الغيب ؟
- مصادر القرآن كما يقررها القرآن .
- اليهودية بدأت مع موسى .
- خطاب القرآن لأهل الكتاب خطاب لنا .
- المسألة الجنسية وامرأتا نوح ولوط وبناته .
- معرفة الجنين ، والأرحام الصناعية ، ومفاتيح الغيب .
- القرآن هل حرم تعدد الزوجات !
- هل نملك نحن تحريم التعدد !

القرآن صريح باثبات :

السحر والحسد

نشرت مجلة (المسلمون) - خلال سنة ١٤٠٥ - تحقيقات مطولة عن (السحر) متتابعة اسبوعياً وهي تحقيقات مهمة للقارئ المسلم . وفي ندوة تليفزيونية - منذ أكثر من عشر سنوات - دار حوار طويل بين الأساتذة «على الطنطاوى ، وضياء الدين رجب رحمه الله ، والدكتور مجاهد الصواف» - حول حقيقة السحر والحسد . وكان من بين الأساتذة الطنطاوى : أنه لا حقيقة للسحر كما أنه لا حقيقة للحسد . وأن حديث عائشة «رضى الله عنها» عن سحر الرسول ﷺ هو حديث آحاد - ولو أنه مروى في صحيح البخارى - لأن اعتقاد سحر الرسول ينافي عصمته الخ ..^(١) ومن قبل حاورت الدكتور محمد محمد أبوشهبة - في مجلة الحج سنة ١٣٨٨هـ - حول قوله : أن آية ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ في سورة الفلق تعنى الكيادات من النساء تشبيهاً للكيد بالسحر والنفث في العقد ، أو اللاتي يفتن الرجال الخ ..

وفي كتاب الأستاذ محمد توفيق بركات عن العالم الشهيد «سيد قطب» رحمه الله - قال : إنَّ الأستاذ سيد .. كان ينفي سحر النبي ﷺ ، لأنه يراه منافياً للعصمة ، متأثراً في هذا الرأي بأفكار

(١) كرر الأستاذ الطنطاوى في حديثه يوم الجمعة ١٤٠٥/٧/١ بالتلفاز السعودي - كرر رأيه في أن السحر مجرد تخيل لا حقيقة له ، وكرر أيضاً تحديه للمشاهدين بأن يأتوا بساحر يسحره .. فيمنعه من التحدث إليهم - وكرره أيضاً للمرة الثالثة في حديثه يوم الجمعة ١٤٠٦/٣/١٨

الشيخ محمد عبده .. التي تحرر منها قليلاً قليلاً الخ ..

* * *

ونبدأ في حوارنا للعلماء الأجلاء باثبات «حقيقة» السحر من آيات القرآن الكريم ، ثم الحديث النبوي ، وتبعها بآراء الفقهاء والعلماء قدامى ومحدثين . وبعد ذلك نتحدث عن حقيقة «الحسد» بالأسلوب نفسه والمنهج ذاته .. والله وحده هو الموفق والمستعان . فأما (السحر) فقد أثبتته القرآن الكريم في مواضع كثيرة منه - منها :

أولاً : في سورة البقرة - في قوله عز وجلّ عن اليهود الذين اتهموا نبي الله سليمان بأنه كان ساحراً : ﴿واتبعوا ما تلتوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه فلا تكفروا فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾ . ثانياً : في المعوذة الأولى سورة (الفلق) : ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ .

ثالثاً : في عدة سور من القرآن عن سحرة فرعون . وبخاصة قوله تعالى ﴿وجاء بسحر عظيم﴾ . رابعاً : تكرر ذكر القرآن لقول كل أمة لنبيها عند تكذيبها إياه : انه ساحر ، أو أن ما جاء به : سحر .

خامساً : ان نبي الله موسى عليه السلام قد تأثر بفعل السحرة الذين جمعهم فرعون لمواجهة معجزة العصا التي احتج بها موسى على دعواه النبوة .. وهذا صريح في قوله عز وجل : ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾

وفي الآية الأولى يذكر القرآن أن أساليب السحر جاءت إلى الأرض لأول مرة - في بابل - نزل بها الملكان هاروت وماروت .. جاء في صورة بشرين ، وأن الله أراد بنزول هذه الأسرار فتنة الناس وامتحانهم : وفي ذلك اعتراف صريح بحقيقة السحر ، وتحقيق عن كيفية نزوله ، وتاريخه ومكانه .

كما أنه صريح في تقرير أثره في التفريق بين امرء وزوجه ، وإن كان ذلك لا يحدث إلا بإذن الله ومشئته : ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ويلاحظ في هذا الاستثناء إثبات لضرر السحر أيضاً .

كما أن في آية سورة الفلق : ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ اثباتاً لحقيقة الشر الذي يسببه السحر ، ولهذا جاءت السورة تعلمنا الاستعاذ من شر السحر .

وفي الآية : ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ إثبات لخوف موسى مما رأى من فعل السحرة ، ولم يزل عنه خوفه حتى طمأنه الله عز وجل بقوله ﴿قُلْنَا : لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ .

حقيقة السحر وأنواعه

.. وقد تعرضت كتب التفسير كلها لقضية السحر ، عند

الحديث عن آية البقرة المذكورة آنفاً ، وسورة الفلق : وأوردت ما جاء من أحاديث وأخبار وآثار ، ووقائع حدثت لبعض الصحابة والتابعين . ونكتفي من أقوالهم بما جاء في تفسير امام المفسرين (الطبرى) وما جاء في تفسير (القرطبي) الجامع لأحكام القرآن :

● ان امام المفسرين الطبرى - رحمه الله - يتحدث بأسهاب^(١) في تفسير قوله تعالى : ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر . وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾ فيذكر : ان الله بهذه الآية برأ سليمان من اتهام اليهود له بالسحر ، وأنه كان يستعبد به الانس والجن ، ويسخرهما لخدمته - وأن الشياطين هم الذين علموا الناس السحر - وأن السحر موجود قبل سليمان - أى فى عهد فرعون وموسى ، ومن قبله عهد نوح إذ قال له قومه : انه ساحر - هناك اختلاف بين الفقهاء فى القول بأن : العلم بالسحر لا اثم فيه وإنما الاثم فى العمل به - وأورد حديث سحريهود بنى زريق للنبي ﷺ ، وفسر قوله تعالى : ﴿ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ أى بالسحر ، وقوله : ﴿ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم﴾ أى السحر أيضاً ، وقوله : ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق﴾ أى اشترى السحر كذلك .

ويقول الطبرى^(٢) عند تفسيره : ﴿ومن شر النفاثات فى العقد﴾ : أى من شر السواحر اللاتي ينفثن فى العقد حين يرقين

(١) ج ٢ ص ٣٥٦ .

(٢) ج ٣ ص ٢٢٧ .

عليها . ونحو ذلك قال أهل التأويل - يعنى - ابن عباس والحسن وقتادة الخ ..

* * *

● ويقول القرطبى فى تفسيره^(١) ما خلاصته : ان السحر حق ، وله حقيقة يخلق الله عنده ما شاء ، ومن السحر ما يكون بخفة اليد كالشعوذة ، ومنه ما هو كلام يحفظ ، ورق من أسماء الله تعالى ، وقد يكون من عهود الشياطين ، ويكون أدوية وأدخنة وغير ذلك - وبين السحر ما يكون كفرأً من فاعله مثل ما يدعون من تغيير صور الناس ، واخراجهم فى هيئة بهيمة ، وقطع مسافة شهر ، والطيران فى الهواء ، الخ ..

● وقد ذهب أهل السنة - كما يقول القرطبى - إلى أن السحر ثابت وله حقيقة وذهب عامة المعتزلة إلى أن السحر لا حقيقة له ، وإنما هو تمويه وتخيل ، ولا حجة لهم . فقد ثبتت أمور جوزها العقل وورد بها السمع . فمن ذلك ما جاء فى القرآن الكريم : ﴿ يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ ، فلو لم يكن له حقيقة لم يكن تعليمه ، ولا اخبر سبحانه أنهم يعلمون الناس ، فدل على أن له حقيقة .

● ومن ذلك - كما يقول القرطبى - سورة الفلق مع اتفاق المفسرين على أن سبب نزولها ما كان من سحر لبيد بن الأعصم - الحديث ، وفيه أن الرسول ﷺ قال لما حُلَّ عنه السحر (إن الله شفانى)

(١) ج ٢ ص ٤٤ .

والشفاء إنما يكون برفع العلة وزوال المرض فدل على أن له حقاً وحقيقة فهو مقطوع به باخبار الله ورسوله على وجوده ووقوعه ، وعلى هذا أهل الحل والعقد الذين ينعتقد بهم الاجماع ، ولا عبرة مع اتفاقهم بحثالة المعتزلة ومخالفتهم للحق .

ثم فصل القرطبي آراء الفقهاء واختلافهم في حكم الساحر من تكفيره وقتله ، أو قبول توبته وطلب حل السحر منه عن المسحور الخ .. مما يدل دلالة واضحة على كون السحر حقيقة واقعة ، وانه قضية مسلمة .

النفاثات في العقد هن السواحر .

أما آية : ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ فقد أسلفنا قول الإمام الطبري من أنهم (السواحر) اللاتي ينفثن في العقد حين يرقين عليها ، ونضيف هنا : أن القرطبي - في تفسيره ^(١) - يرى الرأي نفسه . ولا ندرى موجباً لتأويل (النفاثات) بالكيادات كما يذهب الدكتور أبوشهبة - رحمه الله - لأن ألفاظ الآية صريحة فصيحة ، وليست مشتركة المعاني ، ولا ضرورة لصرفها عن مفهومها الحقيقي إلى ذلك المعنى الرذول وهو كيد النساء وفتنتهن .. التي لا مجال لها في موضوع السورة ومقاصدها وسياقها .

وإذا عرفنا أن نزول السورة مسبب بما ثبت في الأحاديث الصحيحة - التي يرى الدكتور نفسه أنها مفسرة القرآن في الدرجة

(١) ج ٢٠ ص ٢٥٧ .

الأولى - من أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد سحر فعلاً ، وأنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء وهو لم يفعله وأن جبريل عليه السلام نزل بالمعوذتين ، فكلمنا قرأ آية انحلت عقدة الخ - كان تأويل ﴿الفئات في العقد﴾ بالكائدات أو الفائنات أشد سخفاً وأكثر تفاهة .. ولو قال به بعض أئمة التفسير الأقدمين كما يذكر الدكتور دون أن يعين أسماءهم ، والاحتجاج برأى المجهول مردود .

ونفرض جدلاً - والجدل غير التسليم - أن نزول السورة غير مسبب بسحر الرسول ﷺ مع أن الحديث الصحيح يثبت ذلك - فالله عز وجل يعلم في هذه السورة رسوله عليه الصلاة والسلام : أن يستعيز من شر السحر ممثلاً في النفث في العقد - كما يستعيز من شر ما خلق ، ومن شر الليل إذا أضى أو اشتد ظلامه ، ومن شر الحسد والحاسدين . فكل هذه الأمور ، أو هذه الشرور : (حقائق) وليست أوهاماً ولا تخيلات ولا تمويهات ، وإلا لما أرشد الله رسوله - وهو المعصوم - إلى الاستعاذة بالله منها .

كما أن (باب السحر) أحد الأبواب التي تدرس لطلبة المدارس في كتب التوحيد .. كما تدرس لهم الرقى والتقايم ما يحل منها وما يحرم . ولفضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والدعوة والافتاء والارشاد فتوى في مجلة الجامعة الإسلامية أرشد فيها المستفتي إلى قراءة بعض الآيات القرآنية لفك السحر عنه .

حقيقة السحر في الحديث النبوى :

أما ما جاء في الحديث النبوى - عن حقيقة السحر ، فهو :
 أولاً : حديث البخارى ومسلم الذى ترويه عائشة «رضى الله

عنها» قالت : كان رسول الله ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ، ولا يأتين - قال سفيان أحد رواة الحديث : وهذا أشد ما يكون السحر - فقال يا عائشة : علمت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه ! أتاني رجلان فقعدهما أحدهما عند رأسي ، والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للآخر : ما بال الرجل ! قال مطبوب (أى مسحور) قال : من طبه ! .. قال : لبيد بن الأعصم - رجل من بني زريق حليف اليهود ، كان منافقاً - قال : وفيه ! قال : في مشط ومشاطة . قال : وأين ، قال : في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان - قالت عائشة : فأني البئر حتى استخرجه فقال : هذه البئر التي أريتها وكأن ماؤها نقاعة الحناء ، وكأن نخلها رؤوس الشياطين ، فقلت - أى عائشة : : أفلا تنشرت ! فقال : أما والله فقد شفاني واكره أن أثير على أحد من الناس شراً .

قال شراح الحديث : ولم تنفرد عائشة بهذا الحديث .. بل رواه زيد بن الأرقم ، وابن عباس ، وأنس بن مالك وقد صحح الحاكم حديث زيد بن الأرقم - وأما من زعم أن هذا يقدر في شأن النبوة فحاشا أن يكون ذلك .

فالوحي محفوظ لا يثلمه عمل من أراد النيل منه ، والنبوة محفوظة رعاها رب السماء ، وسحر لبيد لم يكن يتعلق بشيء من ذلك ، ولم يكن الرجل معروفاً إلا بربط الرجال عن النساء وعقدهم منهن ، وكان سحره في هذا فقط ، وذلك هو الذي عمله مع الرسول ، والرسول يشريق عليه ما يقع على البشر ولا يقدر ما يقدر على الرسل من الأحداث في رسالتهم قطعاً ، فهم يمرضون

ويصابون بالعلل والأسقام ، ويؤذون من قبل مخنّبيهم وتحل بساحتهم الكوارث والبلايا فيصبرون ولا ينقص ذلك كله من مقام نبوتهم شيئاً ، ألم يكن محمد عليه الصلاة والسلام رموه بالطائف بالحجارة حتى أدمت قدميه ، أو لم يكن هشموا على رأسه الخوذة وكسروا رباعيته . ونفّوه في حفرة يوم أحد ، أو لم تكن اليهودية سمّت له الشاة فهل كل ذلك قدح في شأن نبوته ! كلا! لا يقدح ذلك في نبوته البتة . فكانت حادثة سحر ابن الأعصم آية وقعت عليه كما تقع على الآدميين ولم تقدح في شأن نبوته أصلاً ، لأن سحر هذا الرجل كان في شيء يتعلق بمقتضى الغرائز البشرية ، ولا علاقة له أصلاً بالنبوة ولا بالوحي ولا بالقرآن ولا بالشرعة^(١) .

ثانياً : يروى البخارى ومسلم أيضاً قول النبي ﷺ (اجتنبوا السبع الموبقات قالوا : يا رسول الله : وما هي ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) .

فلو كان السحر لا حقيقة له ، وأنه وهم فكيف يجعله الرسول من السبع الموبقات ، ويضعه مع (حقائق) ست لا شك في أنها وقائع مادية محسوسة .. وقائع وحقائق شريرة ولذلك رتب الشارع عليها عقوبة صارمة جازمة ..

ثالثاً : في حديث يرويه الترمذى : (حد الساحر ضربة بالسيف)

(١) عن مقال للأستاذ أبى تراب الظاهرى - بجريدة الرياض ١٣٩١ هـ .

وفي حديث مرسل : (من تعلم شيئاً من السحر قليلاً كان أم كثيراً كان آخر عهده من الله) .

* * *

وهذه بعض آراء الفقهاء والعلماء والمحدثين :

● قال الامام النووي : والصحيح أن للسحر حقيقة ، وبه قطع الجمهور ، وعليه عامة العلماء ، ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة .

● وقال الحافظ ابن حجر في الفتح : الجمهور على أن للسحر تأثيراً يغير المزاج ، فيكون نوعاً من الأمراض .

● وقال المارزى : جمهور العلماء على اثبات السحر ، وأن له حقيقة ، وقول من نفي السحر مردود لورود النقل باثبات السحر .

ولأن العقل لا ينكر أن الله قد يخرق العادة عن نطق السحر بكلام ملفق ، أو تركيب أجسام ، أو مزج بين قوى على ترتيب مخصوص .

● وقال العيني في (العمدة) : السحر ثابت محقق ، ولهذا أكثر البخارى في الاستدلال عليه بالآيات الدالة عليه والأحاديث الصحيحة ، وأكثر الأئمة من العرب والروم والهند والعجم تشهد بأنه ثابت وحقيقة موجودة ، وله تأثير ولا استحالة في العقل في أن الله يخرق العادة .

وجاء في (الكافي) لأبي محمد المقدسى : أن السحر عزائم ورقى وعقد ، وأنه يؤثر في القلوب والأبدان ، فيمرض ويقتل ، ويفرق بين نساء وزوجه ، واستدل بآيات البقرة والفلق وحديث عائشة في البخارى ، ثم ذكر خلافاً للفقهاء حول تكفير الساحر وقتله

الخ ..

وينتقد الامام الاسكندري في (الانتصاف) القدرية لانكارهم حقيقة السحر وخبط الشياطين ومعظم أحوال الجن . ثم يقول : «احذرهم قاتلهم الله» .

وهكذا يتضح لنا أن السحر حقيقة واقعية مادية محسوسة بما قدمنا من براهين قرآنية ونبوية وعلمية ، وليس تخيلاً أو توهيماً كما يذهب الفريق المخالف من العلماء .

تعاون السحرة مع الجن كما يؤكد القرآن :

أحد مشاهدي التلفاز السعودي هتف إلى ظهر يوم الجمعة يسألني عن ما طرحه الشيخ على الطنطاوى : من أن السحر خيال أو مجرد إيهام من الساحر . وتوهم من المسحور ، وليس حقيقة أو واقعاً - واستدلال العالم المتحدث في التلفاز على قوله : بأن الله عز وجل إنما خص نبيه سليمان بتسخير الجن له دون غيره من الأنبياء وكافة البشر ، فما يقال من استخدام السحرة لبعض الجن في عمليات السحر ليس صحيحاً .. الخ ..

● قلت للسائل : إن هذه المسألة قديمة طرحها الشيخ الطنطاوى قبل أكثر من عشر سنوات منكرًا للسحر كحقيقة ، ومنكرًا للحسد وأثره على نفس المسحود أيضاً - وقد عقت عليه بدراسة مطولة مفصلة نشرتها في بعض مجلاتنا المحلية يومذاك .

● ثم سئلت السؤال نفسه - عن حقيقة السحر - وأجبت عليه باستدلال جديد في باب (يسألونك) بمجلة (المسلمون) خلال عام

(١٤٠٢هـ) وهو أن نبي الله موسى عليه السلام قد تأثر بفعل السحرة الذين جمعهم فرعون ، لمواجهة معجزة (العصا) التي احتج بها موسى على دعواه النبوة . وهذا صريح في قول الله عز وجل : ﴿فَخِيلَ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةٌ مُوسَى ، قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (١) .

فالآية تثبت أن موسى خاف فعلاً مما رأى من فعل السحرة ، ولم يزل عنه خوفه حتى طمأنه الله عز وجل بقوله : ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (٢) .

● وكون السحر أساسه تخيل أو إيهام لا يمنع أن يكون أثره مادياً واقعياً على نفس المسحور وجسده ، شأنه في ذلك شأن الأمراض العضوية التي يكون سببها إحساساً نفسياً ، فالعبرة بالأثر المادى الحقيقى على نفس المريض وجسده .. والمسحور كذلك .

* * *

أما قضية استخدام السحرة لمردة الجن وهم (الشياطين) الكفرة الفجرة - فهي أيضاً حقيقة واقعة .. لا يمنع منها كون سيدنا سليمان ابن داود عليه السلام قد اختصه الله عز وجل بتسخير الجن له - كما جاء ذلك مفصلاً في آيات وسور متعددة من القرآن الكريم - يعملون له ما يشاء من محارب وثمانيل وجفان كالجوابى وقدور راسيات الخ .

فالله عز وجل قد سخر لسليمان كافة الجن ، كما سخر له الطير

(١) سورة طه ٦٧ ، ٦٨ .

(٢) سورة طه ٦٨ .

والريح كمعجزات خاصة به .. يأمرها وينهاها ويستعين بها على تحقيق دعوته ورسالته .

أما استخدام السحرة لمردة الجن - والعكس - فهو محدود في مجال التعاون بينهما على الإثم والعدوان وقد أكَّد القرآن الكريم ذلك في قوله تبارك وتعالى : ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا .. يعلمون الناس السحر ، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا : إنما نحن فتنة فلا تكفر . فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه . وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم﴾^(١) .

وهنا في الآية نلاحظ قول الله عزَّ وجلَّ في تقرير أثر السحر المادى الحقيقى : ﴿فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ وقوله : ﴿ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم﴾ والناس بالتجربة يعرفون أثر السحر في التفريق بين الزوجين عن طريق (الربط) أو بتصور الزوج أن وجه زوجته مخيف ذميم ، والعكس ، أو يجد راحتها متتة ، والعكس .. فينفر منها أو تنفر منه .

والقرآن نفسه يؤكِّد أيضاً تعاون مردة الجن (الشياطين) مع فساق الانس وكفارهم على الإثم والعدوان ومعصية الأنبياء والرسل - من ذلك قوله عزَّ وجلَّ ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن ، يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾^(٢) وقوله أيضاً ﴿ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد

(١) سورة البقرة ١٠٢ .

(٢) سورة الأنعام ١١٢ .

استخدم من الإنس . وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض .

● فالإيحاء في الآية الأولى و (الاستمتاع) في الآية الثانية هو حقيقة تبادل الاستخدام بين الفريقين فالسحرة يستخدمون مردة الجن فعلاً بأسماء وقراءات خاصة ، ويستجيب مردة الجن لهم بشروط قاسية تؤدّي بالسحرة إلى الكفر ، وهناك الصالحون من الإنس يستخدمون الصالحين من الجن لمقاومة المردة منهم فيما أحدثوه من أذى للمسحورين والمسحورات .

والجن - كما يقص القرآن علينا - منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ، أو منهم المسلمون ومنهم القاسطون (أى الظالمون) وهم - كلا الفريقين - يروننا ولا نراهم ويمتازون علينا بسرعة الانتقال والاتصال ، وبالتأثير الخفى فى سلوكنا وأحوالنا ، ولذلك أمرنا بالاستعاذة من شياطينهم ﴿وقل رب أعوذ بك من هزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ وجاء فى الحديث النبوى : (إن الشيطان يحرق من ابن آدم مجرى الدم)^(١)

وهناك دليل آخر على حقيقة استخدام الإنس للجن فى صحيح الإمام البخارى رحمه الله ج/١٠ كتاب الطب باب الكهانة - عن عائشة رضى الله عنها قال : سأل ناس رسول الله ﷺ عن الكهان فقال : (ليس بشيء - فقالوا يا رسول الله إنهم يحدثونا أحياناً بشيء فيكون حقاً - فقال رسول الله ﷺ : تلك الكلمة من الحق

(١) سورة الأنعام ١٢٨ .

(٢) رواه البخارى .

يُخطفها الجنى فيقرأها في أذن وليّه فيخلطون معها مائة كذبة^(١)

وجاء في شرح الحديث للحافظ ابن حجر قوله : والأصل فيه استراق الجنى السمع من كلام الملائكة فيلقبه في أذن الكاهن .. كما نقل ابن حجر عن الخطابي قوله . الكهنة قوم لهم أذهان ، حادة ونفوس شريرة ، وطباع نارية فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في هذه الأمور ومساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه .. وأضاف ابن حجر أنه لما جاء الإسلام حرست السماء من استراق الجنى السمع من الملائكة ... وأرسلت عليهم الشهب فبقى من استراقهم ما يتخطفه الأعلى فيلقبه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب وإلى ذلك يشير قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ خُطِفَ الْخُطْفَةُ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ .

فما رأى الشيخ الطنطاوى في اعتراف الرسول عليه الصلاة والسلام بهذه العلاقة القائمة بين الجنى والكاهن واستخدام الثانى للأول في استراق أخبار السماء قبل الإسلام وبعده !



بعد الفراغ من كتابة التعقيب السابق حضرنى دليل واقعى معروف لكثير من الناس .. غير ما اسلفت من أدلة القرآن والحديث النبوى ..

● هذا الدليل هو ما أطلق عليه في عرف مستخدمى الجن اسم (المندل) وهو اسلوب يتخذه هؤلاء : باختيار شخص آخر تعصب عيناه ويقرأ الشيخ عليه بعض التلاوات الخاصة ، وفيها شئ من آيات القرآن الكريم ، فيرى هذا الشخص جماعة من الجن تحضر بين

(١) رواه البخارى .

يديه ، ويوجّه الشيخ عن طريقه إلى رئيس هذه الجماعة الأسئلة المطلوبة لمعرفة حادث سرقة ، أو قتل ، أو اختفاء طفل أو امرأة ، ، فيجيب الرئيس ويدل على السارق أو القاتل أو المختفى شخصيته ومكانه .

وقد ذكر لى (الشيخ أ . ج . ح) كمثال وحجة على حقيقة (المندل وحجة على حقيقة (المندل) واستخدامه فى اكتشاف الأحداث الغامضة - أنه فى سنة (١٣٤٩هـ) اغتصب ثلاثة رجال شاباً وأدّت عملية الاغتصاب إلى خنقه وقلته ، فاضطروا إلى أن يحفروا فى الدار التى كانوا مجتمعين بها حفرة عميقة ، ويدفنون ضحيّتهم فيها ويغطوا جثته بأكياس من الملح لثلا تتصاعد رائحة الجثة ، ثم غطوا الحفرة بالتراب .. وعادت الغرفة كما كانت كأن شيئاً لم يكن !!

وأبلغ والد الشاب القتل مديرية الأمن العام باختفاء ابنه .. وبدأ البحث والتحقيق مع أصدقائه وزملائه ، ولم يهتد مدير الأمن العام إلى الحقيقة .. وكان يشغل هذا المنصب يومذاك «مهدي بك المصلح» فاضطر إلى الاستعانة (بشيخ ..)^(١) معروف يجيد اكتشاف أمثال هذه الحوادث عن طريق (المندل) وفعلاً تم العثور على المكان الذى دفنت به جثة الشاب القتل ، وأخرجت من مدفنها بالدار ، وهى دار معروفة إلى الآن بحى (الشامية) واعترف القتلة ، وصدر الحكم الشرعى عليهم بالقصاص ، وعُلقت جثتهم

(١) هو السيد محبوب شيخ - من عائلة «شيخ» المعروفة فى مكة المكرمة .

الثلاث أمام باب (الحميدية) التي كانت مقر مديرية الأمن العام تجاه أحد أبواب المسجد الحرام ..

وقد أصبحت الآن داخل حدوده بعد توسعته سنة ١٩٧٥ هـ .

ونضيف إلى ما سبق حول استخدام الانس للجن ،
والعكس ، ما قرأناه لفضيلة الشيخ عبد الحميد كشك العالم
المصري المعروف حيث يقول - في مجلة اللواء الاسلامي يوم
٢٧/٨/١٤٠٣ هـ .

«إنما ينشأ السحر عن اتصال ممقوت بين الانس الشرير
والشياطين المردة ..

قال جل شأنه : ﴿ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد
استكثرتم من الانس- وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع
بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا- قال النار مثواكم
خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم وكذلك نولي بعض
الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾ .

ومعنى قوله جل شأنه ﴿ربنا استمتع بعضنا ببعض﴾ أى انتفع
بعضنا من بعض . فالشيطان لا يخدم الشرير من الانس إلا إذا
كفر ، فترى بعضهم يتخذ صنماً فيسجد له أو يستهين بالمصحف
إلى غير ذلك من مظاهر السوء والفحشاء عندئذ يقوم الشيطان بما
يشير عليه الانس ، وبما يأمره به من فعل السوء وهذا هو انتفاع
الانس بالشيطان .

والحسد : حقيقة أيضاً !

أما «الحسد» الذى ينكره صاحبنا^(١) فالقرآن الكريم يحدثنا - اثباتاً لحقيقته - فى عدة مواضع منه :

الأول : فى قصة يوسف مع أبيه يعقوب عليهما السلام - ثم مع اخوته ، فعندما قص يوسف على أبيه رؤياه : ﴿يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً ، والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين﴾ خشى عليه كيدهم له نتيجة حسدهم إياه ، فقال : ﴿يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً﴾ ..

الثانى : عندما اصطحب اخوة يوسف شقيقه بنيامين ، فى عودتهم إلى مصر بطلب يوسف - على اعتبار أنه العزيز ظاهراً - أوصى يعقوب بنيه ، خوفاً عليهم من أعين الحاسدين بقوله : ﴿يا بني لا تدخلوا من باب واحد ، وادخلوا من أبواب متفرقة ..﴾ .
الثالث : فى قصة ابني آدم قابيل وهابيل : ﴿إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر .. قال لأقتلك قال : إنما يتقبل الله من المتقين﴾ فإنما كان قتل قابيل لهابيل - حسداً له - لأنه كان أسعد حظاً منه بقبول قربانه .

الرابع : فى مجال الذكر المطلق لهذه الحقيقة النفسية الفطرية : «الحسد» وذلك فى قوله عز وجل : ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله . فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة . وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾ .

(١) الأستاذ على طنطاوى ينكر أثر الحسد على المحسود تماماً كما ينكر أثر السحر على المسحور .. وقد تحدى المشاهدين أن يحسدوه كما تحداهم أن يسحروه !!

الخامس : وهو المهم - لأن فيه اثباتاً لأثر الحسد السيء في المحسود - أى شر الحسد - حسب تعبير القرآن نفسه ، وذلك في المعوذة الأولى من سورة الفلق : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ من شر ما خلق * ومن شر غاسق إذا وقب * ومن شر النفاثات في العقد * ومن شر حاسد إذا حسد .

ففى قوله : ﴿ ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ اثبات لشر الحسد أى أثره السيء فى المحسود .. ولو كان الحسد وهماً ، أو لا ضرر منه على المحسود ، ما أمرنا القرآن أن نستعيذ بالله منه .

* * *

ثم ما ورد من أحاديث وآثار يؤكد كون «الحسد» حقيقة نفسية ذات أثر سيء فى المحسود منها :

- «لا يجتمع فى جوف عبد : إيمان وحسد» .
- «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» .
- «دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء وهى الخالقة تخلق الدين» .
- ثلاث لا يخلو منهن أحد : الحسد ، والظن ، والطيرة ، أفلا أنبئكم بالخروج من ذلك ! إذا حسدت فلا تبغ وإذا ظننت فلا تحقق ، وإذا تطيرت فامض» .
- «استعينوا على أموركم بالكمآن «فإن كل ذى نعمة محسود» .
- «إن العين لتدخل القبر «كما تدخل الجمل القدر» .

أمثلة من ضحايا الحسد :

بعد ذلك نجد كتب التفسير ملأى بالتعليقات المؤيدة لحقيقة أثر العين على المحسود ، من ذلك ما ذكره القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن»^(١) ، تعقياً على قول يعقوب لبنيه - كما حكاه القرآن : ﴿وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة...﴾ .. قال رحمه الله :

«لما عزموا الخروج خشى عليهم العين ، فأمرهم ألا يدخلوا مصر من باب واحد وكانت مصر لها أربعة أبواب ، وإنما خاف عليهم العين لكونهم أحد عشر رجلاً ، لرجل واحد ، وكانوا أهل جهال وكمال وبسطة .. قال ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم .. وفي ذلك دليل على التحرز من العين ، والعين حق ، وقد قال رسول الله ﷺ : «إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر» وفي تعوذه عليه السلام : «أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة» ما يدل على ذلك ..» .

ثم نقل قصة سهل بن حنيف ، حسده عامر بن ربيعة حين رآه وهو يغتسل بالخرار ، فقال عامر : ما رأيت كالיום ولا جلد عذراء .. فوعك سهل مكانه ، واشتد وعكه فأتى سهل النبي ﷺ فأخبره بالذي كان من شأن عامر ، فقال عليه الصلاة والسلام : «علام يقتل أحدكم أخاه ! ألا بركت إن العين حق» أى قلت ما شاء الله تبارك الله ثم أمره بالوضوء له - وفي رواية : اغتسل عامر

(١) ج ٩ ص ٢٢٦ .

فغسل لسهل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجله .. فراح سهل ليس به بأس الخ ..

ثم نقل القرطبي قصة حسد امرأة لعمر بن العاص ، حيث سقط في منزله من أثر عينها وعلم بذلك فأرسل لها فغسلت له كما فعل عامر بسهل .

ويقول القرطبي بعد ذلك ، ففي هذين الحديثين : أن العين حق ، وأنها تقتل كما قال ﷺ ، وهذا قول علماء الأمة ، ومذهب أهل السنة ، وقد انكرته طوائف من المبتدعة ، وهم محجوجون بالسنة واجماع علماء هذه الأمة ، وبما يشاهد من ذلك في الوجود ، فكم من رجل أدخلته العين القبر ، وكم من جمل ظهر أدخلته القدر . لكن ذلك بمشيئة الله تعالى .

وروى القرطبي أيضاً قول الأصمعي : رأيت رجلاً عيوناً - بفتح العين وضم الياء - سمع بقرة تحلب ، فأعجبه شخبها ، فقال : أيتها هذه ؟ فقالوا : الفلانية لبقرة أخرى يورون عنها فهلكت الاثنان .

ونقل حديث (لو سبق شيء القدر سبقتة العين) وقال إنه منقطع ولكنه محفوظ لأسماء بنت عيسى عن النبي ﷺ من وجوه ثابتة متصلة صحاح .

ومن تعليقاته الأخرى نوجز ما يأتي :

● العين أسرع إلى الصغار منها إلى الكبار - إنها تؤثر في الإنسان وتضعفه وتنحله ، وذلك بقضاء الله وقدره - و «أن الرقي مما يستدفع به البلاء ومنها العين - وأن واجب كل مسلم اعجبه شيء :

أن يبرك ، فإن الدعاء بالبركة يبطل تأثير العين» - و «أن العائن إذا أصاب بعينه ولم يبرك فإنه يؤمر بالاعتسال ويجبر على ذلك إن أباه ، ويغسل المحسود بغسلاته - إن من عرف - بالاصابة بالعين منع من مداخلة الناس دفعاً لضرره» .

يقول الدكتور محمد البهى - فى مجلة الفكر الإسلامى - : إذا قرأنا فى احدى السور القصار قول الله جل شأنه : ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ وجب علينا أن نؤمن بالحسد ، وبأنه مصدر شر وأذى للإنسان . أما كيف يوجد الحسد ؟ أو كيف يصل شره من الحاسد إلى المحسود ، فهذا أمر لم يستطع الإنسان حتى الآن أن يكشف عن المادة فى بساطتها وفى تركيبها فى معمل أو مختبر ، ويكاد يكون أثر الحسد فى المحسود يشبه فعل الميكروب إذا تمكن من جسم ضعيف .. والوقاية من الحسد فى التعوذ من شره» .

وبعد : فهكذا نرى القرآن صريحاً فى اثبات «حقيقة» السحر والحسد وكذلك أحاديث الرسول ﷺ وآراء الفقهاء والعلماء . فهل لا يزال ذلك العالم الفاضل على موقفه ، فيكرر قوله : تعالوا اسحرونى - تعالوا احسدونى ..

القرآن والعلم الحديث

عرض ونقد

خلال الصفحات التالية سوف احاول بإذن الله وعونه تقديم خلاصات أو إشارات عن دراسات الطبيب الفرنسى (موريس بوكاي) للقرآن العظيم مقارناً بالتوراة والانجيل - مع تعليقات سريعة

عليها .

يقول الدكتور (بوكاى) فى المقدمة :

إن ما ورد فى التوراة والانجيل عن الظواهر الطبيعية والبشرية - على قلته - يناقض العلم كل المناقضة ، فهو إذن لا يثبت أمام الدراسة النقدية التى كرس لها المؤلف كتابه و «الكتاب المقدس» محشوء بمعلومات علمية خاطئة .

وإن القرآن الكريم ليس فيه مسألة واحدة تناقض العلم الحديث ، بل إن كل ما ورد فيه من آيات وإشارات فى علم الفلك ، وعلوم الحيوان والنبات ، وعن التناسب البشرى .. يوافق تمام الموافقة معطيات المعارف العصرية التى كانت مجهولة فى عصر النزول . ويجعل المؤلف من هذه النتيجة حجة أخرى على أن القرآن الكريم أوحى به الله ، وأنه كتاب تقصر عقول البشر عن صنعه . وكانت حجة المؤلف الأولى هى أن القرآن العظيم بقى كما نزل على محمد ﷺ لم تمسه يد بتغيير ، حفظ فى الصدور وقت نزوله ، ودونه كتبه الوحي ، وضمه المصحف الشريف .

إن بوكاى أتقن العربية ودرس القرآن العظيم فى أصله وفى مختلف ترجماته الفرنسية ، كما راجع تفاسير القدامى والمحدثين من علماء المسلمين وأتيح له أن يجتمع فى المملكة العربية السعودية الشقيقة بالملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله ، وبعدد من علمائها ورجالها - وقد رتب بوكاى كتابه وقسمه إلى الفصول الرئيسية الآتية :

- كتاب العهد الجديد .

- الأناجيل (الأربعة)
- القرآن الكريم ، والعلم الحديث .
- الأقوال القرآنية ، وأقوال الكتاب المقدس (التوراة والانجيل) .
- القرآن العظيم والأحاديث النبوية ، والعلم الحديث .. وعدد صفحات الكتاب (٢٥٤)

فحص المؤلف في الفصل الأول من الكتاب أسفار العهد القديم - التوراة - مشيراً إلى اختلاف النصوص المتداولة ، وإلى ضياع نصوصه الأصلية الثلاثة التي كانت تقرأ في القرن الثالث قبل الميلاد ، كما ذكر المحاولة التي تجرى الآن لاستخلاص نص تأليف موحد للتوراة على يد هيئة من الخبراء الكاثوليكين والبروتستانتين (المجتمع المسكوني) .

وأبرز المؤلف ما أصاب التوراة من تحريف وتغيير خلال مدة ألقى عام وما داخلها من تصويب وتصحيح مع اختلاف الروايات والترجمات مؤكداً أن أسفار العهد الجديد قوامها الذاكرة انتقلت بالإنشاد والرواية من جيل إلى جيل .

و بمقارنة بعض الإشارات الواردة في أسفار العهد القديم - التوراة - بمعطيات العلم الحديث استخلص المؤلف أن هذه الإشارات تتنافى كلياً مع المعارف العصرية ، وقد تناول على الخصوص المسائل المتعلقة بخلق العالم وبالطوفان .

ومحّص المؤلف في الفصل الثاني من الكتاب (الأناجيل) مبرزاً التناقض الموجود بين الأناجيل الأربعة التي تتباين رواياتها في موضوع معين ، وألقى نظرة على تاريخ الأناجيل الأربعة ومصادرها المتعددة ،

ثم قارن أقوال الأنجيل بالمعارف العلمية العصرية مبيناً تناقض تلك الأقوال وتعارضها مع معطيات العلم ، وانتهى إلى النتيجة الآتية : «إن ما يوجد في الأنجيل من تناقض واضح ، وأقوال يستحيل تصديقها ، وتعارض مع معطيات العلم الحديث ، وما طرأ على نصوصها من تغييرات متعاقبة كل ذلك يجعل من الأنجيل كتباً تتضمن فصولاً ومقاطع من صنع خيال الإنسان ، إلا أن هذه العيوب ليس من شأنها أن تُشكك في وجود رسالة عيسى عليه السلام : وإنما يخلق الشك حول مراحل سير هذه الرسالة» .

* * *

وفي الفصل الثالث من الكتاب - تحدث المؤلف عن ثبوت صحة القرآن العظيم . مبيناً مراحل نزوله منجماً وتدوينه ، ومستخلصاً من ذلك أن القرآن الكريم وحى منزل من عند الله ، وأن يد البشر لم تعبث به ولم تنطرق إلى نصه بزيادة أو نقصان . وتناول بالدرس والتحليل مسائل النزول والجمع والتدوين المتعلقة بالمصحف الشريف مستنداً في ذلك على أصح الروايات التاريخية ومستشهداً بعدد من الآيات الكريمة التي تثبت أن القرآن الكريم كلام الله المنزل .

وأجرى المؤلف بعد ذلك مقارنة علمية بين أقوال القرآن العظيم وأقوال التوراة والإنجيل مبيناً ما يوجد بينها من اتفاق أو اختلاف حول مواضيع معينة وردت في الكتب السماوية الثلاثة ، وأثبت بالمقارنة والحوجة أن ما تحدث به القرآن عن مسائل تتصل بخلق العوالم والطوفان - مثلاً - يختلف عما ورد في التوراة والإنجيل ، وإن كل ما

ورد في القرآن الكريم يتفق كليةً مع معطيات العلم الحديث بخلاف ما ورد عن نفس المواضيع في أسفار العهد القديم والعهد الجديد .

* * *

إن الصلة بين الدين والعلم لم تكن متشابهة في كل مكان وعصر . والواقع أن كتب الديانات التوحيدية تخلو كلها مما قد يحمل على أنه إدانة للعلم . غير أننا - من الوجهة العلمية - نرى أن رجال العلم كانوا يخاصمون السلطات الروحية لبعض الديانات ، وإن السلطات المسيحية المسئولة لم تنف من تطور العلم موقف المنازعة ، وذلك طوال قرون عديدة ومن غير أن يكون لها سند من نصوص الكتب السماوية الصحيحة ، وقد اتخذت هذه السلطات في حق رجال العلم الذين كانوا يسعون في سبيل التقدم التدابير التي نعرفها ، فكانت تفهيم من الأرض أو تحرقهم بالنار إذا لم يقبلوا دفع غرامة مع الرجوع في مواقفهم والتماس الغفران ، وكثيراً ما تذكر في هذا المقام محاكمة غاليليو الذي اضطهد بسبب أخذه بمكتشفات كوبرنيك في مسألة دوران الأرض ، وقد صدر عليه الحكم استناداً إلى تأويلات خاطئة للتوراة والانجيل .

أما الاسلام ، فإن موقفه من العلم كان ، بصفة عامة ، مغايراً لما سبق ذكره ولا أدل على ذلك من هذا الحديث النبوي المشهور : «طلب العلم فريضة على كل مسلم»^(١) .

ومن الحقائق الرئيسية أن القرآن الكريم ، الذي يدعو دائماً إلى

(١) رواه ابن ماجة في سننه .

التزود بالعلم يزخر بالعديد من التأملات حول الظواهر الطبيعية ،
المشفوعة بتفاصيل توضيحية توافق تمام الموافقة معطيات العلم
الحديث ، ولا شبيه لذلك في التوراة والانجيل .

* * *

ثم يتصدى الدكتور (بوكاي) لأخطاء بعض مفسرى القرآن
الكريم - فيرى أن بعض مفسرى القرآن الكريم (بما فيهم أولئك
الذين عاصروا عهود الحضارة الاسلامية الزاهرة) قد وقعوا ، عبر
العصور فى أخطاء حين تفسيرهم لبعض الآيات التى لم يكن فى
وسعهم أن يدركوا معناها الدقيق ، ولم يعط لهذه الآيات تفسيرها
الصحيح إلا فى عهود متأخرة قريبة من عصرنا هذا .

وينترب على هذا أن المعارف اللغوية لا تكفى وحدها لفهم تلك
الآيات القرآنية ، بل لا بدّ للمفسر من أن يكون محيطاً بمعارف
علمية متنوعة جداً ، إذ أن هذا النوع من الدراسة يكتسب طابعاً
موسوعياً شاملاً ، وكلها مضيئاً قدماً فى مطالعة المسائل التى يعرضها
القرآن الكريم يتضح لنا جلياً أنه لا بدّ من الإحاطة بكثير من
المعارف القرآنية لاستيعاب معنى بعض آيات الكتاب .

إن القرآن العظيم لا يهدف - كما هو معلوم - إلى إثبات بعض
النواميس التى تتحكم فى الكون ، ذلك أن مقاصده الجوهرية
دينية ، وهو إذ يتحدث عن القدرة الإلهية فإنه يدعو الناس إلى
التدبّر فى ملكوته وفيما أبدعه الله من أكوان ، وتخلل هذه الدعوة
الإلهية اشارات إلى وقائع يمكن أن يدركها البشر بالملاحظة ، أو
قوانين سنّها بقدرته الإلهية وجعل نظام العالم خاضعاً لها ، وذلك فى

مجال علوم الطبيعة وفيما يتصل بالإنسان نفسه . وبعض هذه الإشارات لا يعسر فهمها ، إلا أن البعض الآخر لا يمكن إدراك معناه إلا إذا توافرت المعارف العلمية الضرورية لذلك ، وهذا يعنى أن إنسان القرون الماضية لم يكن فى مقدوره أن يفقه من تلك الإشارات إلا معناها الظاهرى ، وذلك ما جعله فى بعض الأحوال يستخلص نتائج غير صحيحة بسبب نقصان علمه فى عصره .

* * *

ثم يقول بوكاى :

وقد محّصت القرآن الكريم باحثاً عما إذا كانت فيه إشارات إلى ظواهر لا تعسر على الفهم البشرى حتى ولو لم يكن العلم الحديث أثبتّها ، وأعتقد أننى من هذه الناحية قد وجدت فى القرآن الكريم إشارات إلى وجود كواكب فى الكون تشبه الكوكب الأرضى ، ويجب القول إن عدداً من العلماء يعتبرون ذلك محتملاً جداً ولو أن المعطيات الحديثة لا تستطيع أن تقطع فيه باليقين ، وقد رأيت من واجبي أن أعرض لذلك ذلك مع التحفظ الذى يقتضيه الحال . «ولما كنت قد شرعت فى هذه الدراسة منذ نحو ثلاثين عاماً ، فقد كان ينبغى أن أضيف إلى ما سبق ذكره فى علم الفلك : مسألة أخرى أشار إليها القرآن العظيم ، وأعنى بذلك غزو الفضاء ، وقد كان الناس يرون - وقت شروعى فى هذه الدراسة وعقب إجراء أولى تجارب إرسال الصواريخ الفضائية - أن الإنسان قد يتاح له من الإمكانات المادية ما قد يجعله يرتاد فى يوم الفضاء بعيداً عن محيط الكرة الأرضية ، وكانوا يعلمون إذ ذاك - بوجود آية

قرآنية جلية تقول بأن الإنسان سوف يحقق يوماً هذا الغزو الفضائي ، وها قد تم اليوم تحقيق ذلك .

● قلت : نختلف مع (بوكاي) في فهمه لآيات سورة الرحمن حول اختراق الفضاء ، فالآيات المشار إليها لا تعني ذلك . وقد أوضحنا وجهة نظرنا مفصلة في كتابنا (القرآن كتاب أحكمت آياته) الجزء ٣/ صفحة ٥٦ .

* * *

«إن هذه المقابلة بين الكتاب المتزل والعمل تأخذ في الحسبان المفاهيم المرتبطة بالحقيقة العلمية ، وذلك سواء تعلق الأمر بالتوراة والانجيل أو بالقرآن العظيم . ولكي تكون المقابلة صالحة يجب أن تكون الحجة العلمية التي تستند عليها تامة الثبوت وغير قابلة للمناقشة . وإن أولئك الذين يفضيهم تدخل العمل في تمحيص الكتب المقدسة ينكرون على العلم قدرته على أن يكون عاملاً صالحاً من عوامل المقارنة ، سواء تعلق الأمر بالتوراة والانجيل للذين لا يصمدان أمام هذه المقارنة ، أو بالقرآن الكريم الذي ليس له أن يتخوف منها ، وهؤلاء يزعمون أن العلم يتغير مع الزمن ، وأن مسألة بذاتها قد تكون اليوم مقبولة وقد ترفض فيما بعد .

«وهذه الملاحظة تستوجب الإيضاح التالي : يجب التمييز بين النظرية العلمية وفعل الملاحظة القائم على صحة النظر - إن القصد من النظرية هو تفسير ظاهرة أو مجموعة من الظواهر التي يصعب فهمها ، فالنظرية إذن متغيرة في كثير من الأحوال وهي محمولة على أن تبدل أو تعرض بنظرية أخرى حينما يتيح التقدم العلمي تحليل

الوقائع بشكل أفضل ، وتصوّر تفسير أصح وأنسب . وعلى العكس من ذلك فإن فعل الملاحظة الثابت بالتجربة لا يمكن تغييره : نعم يمكن تحديد صفاته بشكل أفضل ، إلا أن الفعل يبقى هو هو . وإذ ثبت - مثلاً - أن الأرض تدور حول الشمس وأن القمر يدور حول الأرض فإن هذه المسألة لن تكون محل إعادة النظر ، بيد أنه في الإمكان أن يقع في المستقبل تحديد مسار كلا الكوكبين بشكل أدق ، وذلك على أحسن تقدير ..

علم الفلك في القرآن

وهنا يبدأ الدكتور (بوكاي) في دراسة الآيات القرآنية ذات العلاقة بالعلم الحديث في المجالات المختلفة . فهو يتحدث عن علم الفلك في القرآن العظيم ويقول ما خلاصته :

(يزخر القرآن الكريم بتأملات في السموات ، ويذكر تعددها وهو يشير إلى (ما بين السموات) ، وهذه مسألة أثبت العمل الحديث صحتها .

«وفضلاً عن الآيات التي تتحدث عن الخلق نجد نحو أربعين آية تعطي بيانات إضافية دقيقة حين معطيات علم الفلك ، ويدخل بعض هذه الآيات في باب تمجيد قدرة الخالق الساهر على نظام النجوم والكواكب المنتظمة حسب مواقع التوازن الذي شرحه العالم الانجليزي (نيوتن) في نظريته عن جاذبية الأجرام فيما بينها .

«وإذا كان القصد الجوهري من الآيات القرآنية التي سنوردها

هو تنبيه الناس إلى القدرة الإلهية المطلقة فقد رأينا مع ذلك ضرورة ذكرها هنا لاعطاء صورة حقيقية عن المعلومات التي قدّمها القرآن الكريم ، منذ قرابة أربعة عشر قرناً ، عن تنظيم الكون .
«والإشارات القرآنية الجليّة في هذا الموضوع تعد حدثاً جديداً في الوحي الالهي من حيث أن التوراة والإنجيل لم يتطرقا إلى مسائل تنظيم العالم باستثناء بعض الأفكار التي ثبت عدم صحتها جملة . أما القرآن العظيم فإنه قد تعرض لهذا الموضوع بإسهاب ، والذي ذكره القرآن الكريم جدير بالاهتمام وما سكت عنه كذلك ، فهو لم يذكر بالفعل نظريات كانت سائدة في ذلك العهد عن تنظيم عالم السموات ، وهي نظريات برهن العلم على بطلانها .
يقول الله عزّ وجلّ :

- ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها .. وما لها من فروج﴾^(١) .
- ﴿خلق السموات بغير عمد ترونها﴾^(٢) .
- ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش ، وسخر الشمس والقمر﴾^(٣) .
- ﴿والسما رفعها ووضع الميزان﴾
- ﴿ويعمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه﴾^(٤)

(١) سورة (ق) ٦ . (٢) سورة لقمان ١٠ . (٣) سورة الرعد ٢ .
(٤) سورة الرحمن ٧ . (٥) سورة الحج ٦٥ .

«ومعلوم أن بُعد الأجرام السماوية بمسافات كبيرة ومتناسبة مع حجم الأجرام نفسها يشكل أساس توازنها وكلما كانت الأجرام متباعدة عن بعضها كانت قوى جاذبيتها أضعف ، وكلما كانت متقاربة زاد انعكاس تأثير بعضها في بعض . هذا هو الشأن بالنسبة إلى القمر القريب من الأرض (في مفهوم علم الفلك) والذي يؤثر ، بحكم قانون الجاذبية في موقع الماء بالبحار فتنشأ عن ذلك ظاهرة المد و الجزر ، وإذا اقترب جرم سماوى من الآخر أكثر من اللازم فإن التصادم واقع لا محالة ، وخضوع هذه الأجرام للإذن الإلهى شرط لا بد منه لتجنب كل اضطراب لهذا فإن القرآن الكريم كثيراً ما يذكر بخضوع السموات لأوامر الله :

● يقول الله عز وجل :

● قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ﴿١﴾

والمقصود بالسموات السبع ، كما رأينا من قبل السموات العديدة ، فلفظ (السبع) هنا يفيد الكثرة لا الحصر في عدد معين . وتعرض المؤلف لهذه المسألة في مكان آخر من الكتاب مبيناً أن (السبع) لا يعنى العدد بل التعدد . كما بين المؤلف بحجج استقفاها من القرآن الكريم مدة (اليوم) الوارد ذكره في معرض الكلام عن خلق السموات والأرض ، وهو الذى يعادل في حساب الله تعالى عز وجل ألف سنة من حسابنا أو خمسين ألف سنة ، وفي معرض الحديث عن خلق السموات والأرض في ستة أيام إنما يعنى (اليوم)

(١) سورة المؤمنون ٨٦ .

حقبة زمنية .

— قلت : إن مفهوم بوكاى عن (السبع) كعدد للساعات غير سليم فهي سبع فعلاً وحقيقة لأن هذا الوصف تكرر في القرآن معروفاً أو مضافاً وهو يفيد الحقيقة .. والقياس على تقدير أيام الله غير صحيح .. فقد يكون اليوم في حساب الله كآلف سنة من حساب البشر فعلاً .

* * *

وعن الشمس والقمر : يقول تبارك وتعالى :

- ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾^(١) .
 - ﴿وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً . ذلك تقدير العزيز العليم﴾^(٢)
 - ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار﴾^(٣)
- يقول بوكاى :

نلاحظ وجود تكامل بين الآيات الثلاث الأخيرة ، حيث يترتب عن (الحسبان) و (التقدير) الاجرام السماوية ، وذلك ما عبر عنه القرآن بلفظ (دائبين) ودائب اسم فاعل لفعل معناه الأصلي عمل شيء بجد ومواظبة ، وقد أعطيناه هنا معنى يدل على الإجتهد في عمل شيء بعناية واستمرار وعدم تغير وفقاً لعادة ثابتة .
ويقول عز وجل :

(١) سورة الرحمن ٥ . (٢) سورة الأنعام ٩٦ .

(٣) سورة إبراهيم ٣٣ .

● ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾^(١)
وهذه إشارة إلى إعوجاج عنق النخلة الذى يتخذ شكل الهلال
حينما يحف عوده .

● ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر . والنجوم
مسخرات بأمره . إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾^(٢)
● ﴿وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر
والبحر . قد فصلنا الآيات لقوم يعقلون﴾^(٣)
● ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾^(٤)

● ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا . وقدره منازل
لتعلموا عدد السنين والحساب . ما خلق الله ذلك إلا بالحق .
يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾^(٥)

يقول بركى :

نلاحظ أن القرآن العظيم يشفع كلامه عن هذا التنظيم السماوى
وتأثير فعله العملى بالتأكيد على منفعة للإنسان فى تنقله براً وبحراً ،
واهتدائه ومعرفته عدد السنين والحساب ، وإذا كان الكتاب
المقدس اليهودى المسيحى قد اقتصر على وصف الشمس والقمر
بالنيرين : (النير الكبير) و (النير الصغير) فإن القرآن الكريم قد
أضاف إليهما فوارق أخرى غير فوارق الحجم .

فقد ورد فى القرآن العظيم أن الله سبحانه وتعالى (جعل الشمس
ضياء .. والقمر نورا) وبين فى آيات أخرى الفوارق بين الشمس

(١) سورة يس ٣٩ . (٢) سورة النحل ١٢ . (٣) سورة الأنعام ٩٧ .

(٤) سورة النحل ١٦ . (٥) سورة يونس ٥ .

والقمر كما سئى :

● ﴿تبارك الذى جعل فى السماء بروجا . وجعل فيها سراجا وقمراً منيراً﴾^(١)

● ﴿الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا . وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً﴾^(٢)

● ﴿وبيننا فوقكم سبعاً شداداً . وجعلنا سراجاً وهاجاً﴾^(٣) .

فقد وصف الله جل وعلا القمر ، بأنه منير والشمس بأنها سراج وهاج ، ومعلوم أن الشمس نجم ينتج بفعل احتراقه الداخلى حرارة شديدة وضوءاً ، وأن القمر الذى لا يضىء بنفسه يعكس الضوء الذى يتلقاه من الشمس ، وأنه كوكب جامد (على الأقل فى طبقاته الخارجية) . وليس فى القرآن الكريم شىء يناقض ما نعرفه فى عصرنا حول هذين الجرمين السماويين .

* * *

ويقول بوكاى :

«نحن نعرف أن النجوم ، كالشمس ، اجرام سماوية تكمن فيها ظواهر فيزيائية شتى ، نلاحظ من بينها دون عناء ، ظاهرة إنتاج الضوء ، فهى بذلك اجرام مضيئة بذاتها ، ويتكرر فى القرآن الكريم لفظ (نجم) وجمعه (نجوم) ثلاثين مرة ، وأصل الكلمة من فعل (نجم) بمعنى طلع وظهر ، ويدل لفظ النجم على جرم سماوى مرئى من غير تعيين لطبيعته ، وليبان أن المقصود فى القرآن الكريم هو ما

(١) سورة الفرقان ٦١ . (٢) سورة نوح ١٥ . ١٦ .

(٣) سورة النبأ ١٢ . ١٣ .

نسميه بالنجم نرى القرآن الكريم يضيف إليه نعتاً كما في هذه الآيات :

● ﴿والسمااء والطارق ، وما أدراك ما الطارق ؟ النجم الثاقب﴾^(١)

وصف القرآن العظيم نجم السمااء بالثاقب ومعناه الذى ينفذ من خلال شىء (والشىء هنا ظلام الليل) ويتكرر نفس اللفظ فى هذه الآية ﴿الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾^(٢) والمقصود هنا النيزك أو النجم السيار الذى ينتج عن الاحتراق .

كما نعرف أن الكواكب لا تضىء بنفسها ، وهى تدور حول الشمس ، والأرض التى نعيش عليها من هذه الكواكب التى تنتمى كما نعلم إلى المنظومة الشمسية أو النظام الشمسى - وليس فى مقدورنا أن نقطع بوجود كواكب أخرى خارج هذه المنظومة . وأحسن تعريف فى القرآن الكريم كسرة (الكوكب) هو ما ورد فى آية مشهورة تنطوى على معانى روحية عميقة ، وهى آية كثر حولها جدل المفسرين : ﴿الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاج كإنها كوكب درى﴾^(٣)

والمقصود قذف نور على جسم يعكسه (والجسم هنا هو الزجاج) فيجعله ساطعاً كالدرّ شأنه فى ذلك شأن الكوكب المنير بضوء الشمس .

وعن مسار كل من الشمس والقمر تجد هاتين الآيتين

(١) سورة الطارق ١ . ٢ . ٣ . (٢) سورة الصافات ١٠ .

(٣) سورة النور ٣٥ .

الجليتين :

● ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(١)

● ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ، وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ، وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٢)

يشير القرآن الكريم هنا إلى واقعين جوهريين هما : وجود مسار لكل من الشمس والقمر ، وتحرك هذا الجرمين في الفضاء كلٌّ بحركة خاصة به .

يقول بوكاى :

لقد رأينا أن القرآن الكريم أبرز في آية سبقت الإشارة إليها منفعة القمر في تقدير المنازل ومعرفة (عدد السنين والحساب) وقد وجهت انتقادات إلى هذا النظام الحسابي الذى وصفه ناقده بأنه عتيق وغير عملى ، ومضاد للعلم بالقياس إلى نظامنا القائم على دوران الأرض حول الشمس الذى يعبر عنه فى عصرنا بالنظام اليولياني ، وأن هذا الانتقاد يدعونا إلى الإتيان بالملاحظتين التاليتين :

١ - كان القرآن الكريم يخاطب ، منذ أربعة عشر قرناً ، سكان الجزيرة العربية الذين اعتادوا استعمال التوقيت القمري ، وأهل الصحراء يألّفون كما نعلم مراقبة السماء والاهتداء بالنجوم ، ورصد القمر فى أطواره (منازله) المختلفة لضبط الزمن .

(ب) إذا استثنينا بعض ذوى الاختصاص نرى أن عامة الناس

(١) سورة الأنبياء ٣٣ .

(٢) سورة يس ٤٠ .

يجهلون التطابق التام الموجود بين التوقيت (الشمسى) والتوقيت القمرى - إن ٢٣٥ شهراً قريبا توافق تمام الموافقة تسعة عشر عاماً من التوقيت الشمسى ذى الـ ٣٦٥ يوماً وربع يوم ، وإن مدة ٣٦٥ يوماً فى سنواتنا ليست كاملة ، بل إنها فى حاجة إلى تصحيح كل أربعة أعوام (السنة الكبيسة) وتكرر نفس الظواهر فى التوقيت القمرى كل (١٩) سنة بوليانية . وهذا ما يعرف بدورة (ميلتون) الفلكى الاغريقى الذى اكتشف فى القرن الخامس قبل الميلاد هذا التطابق الدقيق بين الزمن الشمسى والزمن القمرى .

* * *

ويذكر الدكتور (بوكاى) الآيات القرآنية التالية - ثم يعلق عليها :

يقول الله تبارك وتعالى :

- ﴿يَغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾^(١)
 - ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مَظْلُمُونَ﴾^(٢)
 - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ، وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾^(٣)
 - ﴿يَكُورُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ ، وَيَكُورُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾^(٤)
- إن الآية الأولى فى غنى عن كل تعليق ، وتعطينا الآية الثانية صورة عامة عن المسألة . أما الآيتان الثالثة والرابعة .. فإنهما تستحقان أن نوليها كامل الاهتمام بسبب ما تذكرانه عن (الولوج) وعن تكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل .

(١) سورة الأعراف ٥٤ . (٢) سورة يس ٣٧ .

(٣) سورة لقمان ٢٩ . (٤) سورة الزمر ٣٩ .

فإذا يحدث حقيقة في الفضاء ! إن الصور التي التقطها رجال الفضاء الأمريكيون من مراكزهم الفضائية على مسافة بعيدة جداً عن الأرض - من سطح القمر مثلاً - تبين أن الشمس تضيء على الدوام (إلا في حالة الخسوف) نصف الكرة الأرضية المقابل لها ... بينما يبقى النصف الآخر مظلماً . ولما كانت الأرض تدور حول نفسها في حين أن الاضاءة تبقى ثابتة . فإن منطقة مضاءة على شكل نصف كرة تتم دورتها حول الأرض في مدة أربع وعشرين ساعة بينما يقطع نصف الكرة الآخر الذي يبقى في الظلام نفس الشوط في نفس المدة ، والقرآن الكريم يصف وصفاً دقيقاً هذا الطواف الدائب للنهار والليل ، إنها مسألة لا يعسر فهمها على البشر في هذا العصر ، فنحن نقول بثبوت الشمس (نسبياً) وبدوران الأرض ، وأن (التكوّن) الدائم و(الولوج) المستمر لقطاع في آخر لما أعرب عنه القرآن العظيم .

ثم يتحدث عن أصل الحياة - فيقول : يتناول القرآن الكريم من وجهة نظر عامة أصل الحياة باقتضاب متناه في آية تتحدث أيضاً عن تكوين العوالم إذ تقول : ﴿أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففلقناهما . وجعلنا من الماء كل شيء حي . أفلا يؤمنون﴾ (١)

تدل هذه الآية على أن كل شيء حي صنع من مادة جوهرية هي (الماء) أو أن كل شيء أصله الماء ، وكلا المدلولين يطابق المعارف العلمية تمام المطابقة . والواقع هو أن للحياة أصلاً مائياً ،

(١) سورة الأنبياء ٣٠ .

وأن الماء هو العنصر الأول في كل خلية ، ولا إمكان لحياة بدون ماء ، وهم حينها يناقشون إمكان وجود حياة في أحد الكواكب فإنهم يلقون على الفور هذا السؤال : هل يحتوى هذا الكوكب على كمية كافية من الماء ! .

والماء في الآية القرآنية المذكورة يدل على ماء السماء او مياه المحيطات أو أى سائل آخر ، والماء حسب المدلول الأول : عنصر جوهري في كل حياة نباتية - يقول القرآن العظيم :

- ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾^(١) ونلاحظ هنا أيضاً إشارة إلى (الأزواج) في عالم النبات :
- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾^(٢)

إن لفظ الماء هنا يمكن أن ينطبق أيضاً على السائل المنوي . وسواء تعلق الأمر بأصل الحياة عامة أو بالعنصر الذى يخرج النبات من الأرض أو (مبدأ) الكائن الحى فإن كل ما نطق به القرآن الكريم عن أصل الحياة يوافق المعطيات العلمية الحديثة ، وأنه لم يتسرب إلى القرآن العظيم أسطورة من الأساطير التى كانت تتردد عن أصل الحياة .

* * *

وهناك بعض الملاحظات نختم بها حديثنا عن كتاب الدكتور (بوكاى) وهى :

أولاً : ذكر قوله تبارك وتعالى : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ

(١) سورة طه ٥٣ .

(٢) سورة النور ٤٥ .

اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر وما يعرشون . ثم كلّى من كل الثمرات .. فاسلكى سبل ربك ذللاً^(١) ففسر (ذللاً) بأنها تعنى خضوع النحل وتواضعه وذله .

والصحيح : أن المراد (بكلمة .. ذللاً) هو : سهلة ميسرة .. أى أن الله عزّ وجلّ يسترّ للنحل هذه الطرق والوسائل لتسلّكها فى حياتها ومعيشتها وإنتاجها للعسل .. هذا الشراب الذى وصفه الله عزّ وجلّ بأنه شفاء للناس .

ثانياً : ذكر قوله جلّ جلاله : ﴿أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن .. ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير﴾^(٢)

وفهم من قوله ﴿ما يمسكهن إلا الرحمن﴾ خضوع الطير لقدرة الخالق سبحانه ، ومع أن الطير - بل كل المخلوقات من إنسان وحيوان ونبات وغيرها - خاضعة لقدرة الله عزّ وجلّ - إلا أن معنى الإمساك هنا هو رعاية الله وقدرته اللتان جعلت الطير يحلّق فى السماء ، ولا يقع على الأرض .. أى أن أجنحة الطير ليست هى التى تمسك الطير وإنما المُمسك والحافظ الحقيقى هو الله تبارك وتعالى ..

* * *

هذا .. وقد أتاحت لى فرصة الاجتماع بالدكتور موريس بوكاى فى الرياض خلال الندوة العالمية للشباب الاسلامى فى ربيع الآخر

(١) سورة النحل ٦٨ .

(٢) سورة الملك ١٩ .

سنة ١٣٩٩هـ كما سعدت بالاشتراك معه في ندوة تلفازية في الفترة
نفسه، وكان صاحب الفضل في عقدها معالي الدكتور معروف
الدواليبي الذي ساهم فيها أيضاً .

كما أن رابطة العالم الاسلامي أحالت إليّ ملاحظات على
الكتاب أبدأها أحد المتصلين بها أو الموظفين فيها لأعقب عليها بما
أعرفه عن الكتاب وآراء المؤلف .. فكتبت التعقيب التالي :

ملاحظات على موريس بوكاي

بعض الأخوة الأعزاء الذين قرأوا كتاب : (التوراة والانجيل
والقرآن والعلم الحديث) للمفكر الفرنسي (موريس بوكاي) أساء
الظن بالكاتب والكتاب .. لأن بعض عباراته غمضت على فهمه .
وعسرت على إدراكه ، فكتبت الرابطة إليّ بهذه الملاحظات لأقول
فيها برأيي : هل ما ذهب إليه صحيح أم خطأ ! .

● الملاحظة الأولى - صفحة ٨٣ - يرى أن هنا في هذه الصفحة
كلاماً يبلبل الأفكار لأن المؤلف يذكر أن كثيراً مما جاء في الأناجيل
هو معجزات ولا يمكن أن يفسر تفسيراً علمياً ، وهو بذلك يثبت
كثيراً من المعجزات التي جاءت في الأناجيل ويؤكد صدقها .
- يبدو أن القارئ العزيز يريد من موريس بوكاي ألا يصدق ما
جاء في الأناجيل عن معجزات عيسى عليه السلام - لأن الأناجيل
في اعتبارنا نحن المسلمين محرفة بالزيادة والنقص .

- ونقول للأخ المعترض ١ - إن القرآن الكريم ذكر عدداً من
معجزات المسيح عليه السلام كإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه

والأبرص ، وخلق هيئة الطير ثم النفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله .
٢ - إن كلام بوكاي عن كون المعجزات المذكورة في الأناجيل لا تخضع لتفسير علمي صحيح .. لأن معجزات الأنبياء جميعاً ليس لها تفسير علمي ، لأنها خارقة للعادة والقوانين العلمية ، وهي لا تكون معجزات إلا بهذه الصفة ، فاعتراض الأخ القارىء غير سليم .

● الملاحظة الثانية - ص ٨٤ - ذكر المؤلف في الهامش وجود اخوة لعيسى عليه السلام وهذا غير صحيح لأن عيسى هو الوليد الوحيد لأمه !

- نقول للأخ : إن المؤلف ينقل ذلك عن الأناجيل ، كما أن الشيخ حسن خالد مفتي لبنان قد علق على ذلك بأنه لعل الترجمة تعني الأقرباء .. وقد نرى المؤلف فيما بعد أن لعيسى إخوة .
أما قول المعارض : إن المؤلف بما ذكره من إمكانية نمو البويضة دون تدخل مادة التناسل في الجنين ، وإن ذلك فيه تشكيك في خلق عيسى كمعجزة إلهية - فليس الأمر كذلك .

فالمؤلف قال بعبارة صريحة : إن عيسى تطورت نشأته بعيداً عن التأثير بقوانين الطبيعة التي تخضع لها كل الكائنات البشرية ثم أضاف : وقد كانت مريم عذراء حافظت على عذريتها ، ولم يكن لها من ولد غير المسيح ذى الخلق المعجز الخارق للطبيعة .

فكيف يقال : أن في كلامه تشكيكاً في كون ولادة عيسى من غير أب معجزة ! بل إن عبارته الثانية تنفي ما نقله عن الأناجيل في هامش الصفحة ، نفسها من وجود إخوة .

● الملاحظة الثالثة - ص ٨٥ و ٨٦ - يقول القارىء الفاضل :
 إن المؤلف تحدث عن نسب عيسى من جهة أمه .. وفي ذلك :
 أخلاط وأخطاء ثم ماذا يريد بذكر نسب المسيح بهذا التفصيل المبني
 على كثير من الخطأ أن المسيح ولد من غير أب وكفى - كما أنه يذكر
 أن يوسف كان خطيباً لمريم التي ولدت عيسى ، وفي ذلك تعريض
 بطهارة مريم !!

- نقول للأخ القارىء : إن الشيخ حسن خالد عقّب على
 النقطة الأولى بما يصحح الخطأ فيها - في هامش الصفحة - أما
 قوله : إن يوسف خطيب مريم .. فليس فيه تعريض بطهارة مريم إذ
 يجوز أن يكون قد خطبها قبل اعتزالها وحملها بعيسى .. ونحن
 المسلمين كما أمرنا الرسول عليه الصلاة والسلام : لا نكذب أهل
 الكتاب ، ولا نصدقهم .. فقد يكون ما يقولونه صحيحاً وقد لا
 يكون ..

والمؤلف نفسه (موريس بوكاي) يشير إلى الأخطاء في هذه
 الأنساب المنقولة عن الأناجيل ، ويقول : إنها مستندة إلى الهوى .
 ● الملاحظة الرابعة - ص ١٠٧ - يقول القارىء المعترض : إن
 المؤلف هنا يتحدث عن الأديان ومنها المسيحية واليهودية ، ويقول :
 إنها لم تعد منظومة على نفسها وإنها تحاول أن تحقق إدراكاً مشتركاً
 وتفكيراً موحداً - مع أن الاسلام لا يعترف بأى دين آخر حيث
 يقول عز وجل : (إن الدين عند الله الإسلام) وفي كلامه تصريح
 غير مباشر بأن اليهودية دين والنصرانية دين كل منهما فيه صواب !
 - أقول للأخ العزيز : إن كلام المؤلف عن الأديان بأنها لم تعد

منطوية على نفسها ، وأنها تسعى لتحقيق إدراك مشترك وتفكير موحد - صحيح وواقع .. فهو يذكر بعد ذلك ما انعقد من مؤتمرات وندوات باسم التقارب بين الاسلام والمسيحية ، وهو كلام لا يعنى الاعتراف بصحة المسيحية أو اليهودية .. وبهذا يبدو أن ما تصوره أخونا الفاضل غير واضح وغير صحيح .

● الملاحظة الخامسة - ص ١٠٨ - يقول القارىء العزيز : إن المؤلف يروى عن رجال الفاتيكان أنهم يقولون : إنهم هم والمسلمين يعبدون إلهاً واحداً ... مع أن القرآن يروى أنهم يعبدون المسيح وأمه : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ .. يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ .. وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ كما يدعى المؤلف بأن الله هو بالنسبة إلى المسلمين نفس إله موسى وعيسى وهو لا يطابق واقعهم ... حيث يقول عز وجل في القرآن : ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ - فَعَالَىٰ فَعَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ إلخ

- أقول للأخ المعارض : ١ - إن المؤلف ينقل عن الفاتيكان ما يروونه هم عن أنفسهم .. وهو زعم ليس بعيداً عن الصواب لأن المسلمين والنصارى يعبدون الله عز وجل فعلاً والفرق بين الطائفتين هو أن النصارى يشركون مع الله غيره . فهو في عقيدتهم ثالث ثلاثة ، أو بعبارة أخرى يجعلون المسيح ابنه - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - كما يجعلون روح القدس شريكاً ثالثاً .

٢ - ما نقله المؤلف أيضاً من أن إله المسلمين هو إله موسى وعيسى - ليس غريباً ولا خطأ فالله عز وجل إله الجميع كما أسلفنا ..

وإنما الخلاف واقع بين هؤلاء وهؤلاء في إتجاه المسلمين إلى التوحيد ، وإتجاه الآخرين إلى الشرك والوثنية .

٣ - التبس الأمر على المترجمين - كما التبس على المعترض - فعقبوا بأن تعبير المؤلف غير دقيق . واستدلوا بآيات من القرآن كما فعل المعترض لا حجة فيها لهم على المؤلف .

● الملاحظة السادسة : ص ١٠٩ - يذكر القارئ أن موريس بوكاي أشار إلى أن المسلمين كانوا أحياناً يرتكبون المجازر البشيرة وهذا إفتراء على المسلمين !!

- أقول للأخ : ١ - إن هذا ليس من كلام المؤلف أو تقريره ، وإنما هو نقل عن الوثائق الفاتيكانية ، والفقرة المنقولة في الكتاب طويلة .. وهى ثناء على المسلمين وجهادهم في سبيل نشر دينهم (الاسلام) .

٢ - نص العبارة هو : ولم يكن المسلمون أيام الصليبيين هم الذين يرتكبون دوماً أكبر المجازر فهو يدافع عن المسلمين فيما اتهموا به من أنهم حاربوا الصليبيين وسفكوا دماءهم ، وتهم الصليبيين بأنهم اشتركوا في إسالة الدماء ، وهذا شيء طبعى لطائفتين تتقاتلان .

● الملاحظة السابعة - ص ١١٠ - يرى القارئ الفاضل : أن موريس بوكاي يزعم أن الأديان كلها تدعو إلى العلم وتمجده .. وهو بهذا يسوئ بين الإسلام وغيره في القيم والمبادئ الخ .

- أقول للأخ المعترض : إن المؤلف هنا يؤكد أن موقف الاسلام من العلم يختلف عن غيره - ثم يورد الحديث النبوى :

(طلب العلم فريضة على كل مسلم) وينتق أن الوحي اليهودى والمسيحى يتفق مع الاتجاه الإسلامى .

● الملاحظة الثامنة - ص ١١١ - يذكر الأخ العزيز أن المؤلف هنا يقول : (إنَّ البحث العلمى كان ملجماً .. ولكن العيب ليس فى الوحي المسيحى أو بسببه ، وإنما كان بسبب الذين يدعون أنهم خدمته) وفى هذا إشادة بالدين المسيحى ، وما فيه من تعاليم ! أى أن الدين المسيحى سليم ، والعيب فى رجال الدين الذين انحرفوا عن تعاليمه !

- أقول للأخ المعترض : فى هذه الصفحة ١١١ ثناء عاطر على المكتبات الإسلامية فى ذلك العهد ، وعلى سفر الوفود إلى بغداد لطلب العلم ، وعلى العلماء ، والمخطوطات وما نقله الأدياء العرب من ثقافة إلى البلدان المفتوحة ، وأن أوروبا مدينة للعرب فى الرياضيات والجبر والفلك والطبيعة الخ .

أما قول المؤلف - بعد ذلك - أن البحث العلمى فى أوروبا كان ملجماً وأن سبب ذلك لم يكن من الوحي اليهودى أو المسيحى .. فهو صحيح - أى أن أصل الديانتين المسيحية واليهودية ليستا ضد العلم والعلماء - فلماذا نعترض على ذلك ! وبأى حجة نتهم نحن المسلمين أصل الديانتين قبل التحريف بمعاداة العلم ، واضطهاد العلماء ! .

ثم إن كلام المؤلف - كما يرويه القارىء ولم أجده فى الصفحة - عن سلامة الدين المسيحى - وكون العيب إنما هو فى رجاله .. الذين انحرفوا عن تعاليمه - صحيح .. وهذا ما يقرره القرآن الكريم

أيضاً ، ولذلك أمرنا في القرآن أن نقول : ﴿ آمنا بالذي أنزل إلينا
وأُنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحدٌ ونحن له مسلمون ﴾ .
ولعل ثورة مارتن لوتر أوضح برهان على احتكار رجال الدين
المسيحي للسلطة السياسية والعلمية يومذاك - الأمر الذي أدّى إلى
الانقلاب المسيحي على كل شيء بحيث اتجهت العقائد والأفكار
والمساعي إلى (المادية) وحدها نتيجةً للضغط الديني الذي كان
يمارسه القساوسة والرهبان .

● الملاحظة التاسعة - ص ١١٧ - ما يذكره القارئ من أن
المؤلف يرى أن الأحاديث النبوية بالنسبة لمحمد هي الأناجيل بالنسبة
لعيسى .. وأن فيها ما يتعارض مع العلم الحديث الخ .
- هذا في نظرنا صحيح ... لأن الأحاديث النبوية تخضع
لعملية الجرح والتعديل وليس كل ما يروى عن الرسول عليه الصلاة
والسلام صحيحاً سنداً ومتناً .. والمؤلف هنا يثبت الفرق الكبير بين
القرآن والإنجيل ، لأن القرآن وحى إلهي محفوظ لا خلاف عليه .
أما الإنجيل فقد كتبه تلامذة المسيح عليه السلام واتباعه من بعده ،
ورواياتهم له مختلفة .

● الملاحظة العاشرة - ص ٦١ و ٦٢ - يذكر القارئ الفاضل أن
المؤلف يصف هنا المسيح بأنه ابن الله الخ وهذا غير صحيح في
ديننا !

- أقول للأخ العزيز : إن المؤلف لم يقل : إن المسيح ابن الله -
وإنما هو ينقل عن كتاب ومؤلفين آخرين عبارات وآراء لهم في
الأناجيل واختلاف نصوصها وأحكامها ، وقد عقب المترجمون

عليها في الهامش ببعض الآيات القرآنية .
 ونحن المسلمين عندما نقرأ لمؤلفين أو كتاب نصارى ينبغي ألا
 نتنظر منهم أن ينسلخوا عن عقائدهم فيما يكتبون عن الاسلام ..
 وحسبنا أن نقرأ لهم ما يكتبون من ثناء أو اعتراف ، أو تقرير حقائق
 صحيحة عن الاسلام والتاريخ الإسلامى والحضارة الاسلامية .
 وبعد فاعل القارئ الفاضل يقتنع بما احبته به على ملاحظاته
 على كتاب (التوراة والانجيل والقرآن والعلم الحديث) للمستشرق
 الفرنسى موريس بوكاى .

حوار مع الدكتور مصطفى محمود حول مفهومات قرآنية

في صيف ذاهب اجتمعت بالدكتور مصطفى محمود في دار
 صديق عزيز بجدة خلال أمسية عامرة بنخبة من الأصدقاء الأدباء ،
 الذين عمروا ذلك اللقاء الفكرى والاجتماعى بالأفكار الحية
 والأسفار الممتعة .. (١)

ودار بينى وبين الدكتور مصطفى محمود - ليلة ذاك - حوار حول
 بعض موضوعات القرآن الكريم .. منها قوله عز وجل حكاية عن
 الكفار : ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا اثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ ، فاعترفنا بذنوبنا -
 فهل إلى خروج من سبيل﴾ وسألنى الدكتور ما هى الموتان
 والحياتان !

(١) كان هذا اللقاء في دار الصديق على زين العابدين - في جدة - سنة ١٣٩١ هـ .

● قلت له : إن هناك آية أخرى تفسر هذا الجمل وهي قوله تبارك وتعالى : ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ، ثم يميتكم ثم يحييكم ؟﴾^(١) والقرآن يفسر بعضه بعضاً ..

● ثم قلت له : إن الموتة الأولى هي (العدم) قبل الخلق وقبل الإيجاد ، فالعدم موت ، والموت عدم .. حقيقة أو مجازاً بلا جدال . فريم - أم عيسى عليه السلام - تمت أن تكون قد ماتت قبل حملها بالمسيح وقالت ﴿يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً﴾ والكافر يتمنى يوم القيامة من شدة ما يرى من هول الحساب وغول العذاب أن يكون تراباً : ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً﴾ .

فريم عبرت عن العدم «بالموت» والكافر عبّر عن الموت بالعدم .. أن يكون تراباً - وكلاهما يعنى معنى واحداً هو الفناء الذى لا يكون معه إحساسٌ بالحياة وآلامها .

- قال الدكتور مصطفى : أنا أرى أن الموتة الأولى هي بعد أخذ الميثاق على ذرية آدم في قوله تعالى : ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ! قالوا : بلى ..﴾ فبعد الميثاق أماتهم ثم أوجدتهم أى أحياهم ، ثم يميتهم ثم يحييهم .

● قلت : إن إخبار القرآن الكريم عن أخذ الميثاق من بنى آدم ، لا يعنى إيجاداً لهم ، وحديثاً معهم ، وتصديقاً منهم بالقول وإنما

(١) سورة البقرة ٢٨ .

هو- أى الاخبار- تصوير لحقيقة الفطرة الدينية فى النفس البشرية : ﴿فطرة الله التى فطر الناس عليها﴾ . وقد تعدّد هذا الأسلوب التصويرى فى القرآن الكريم كقوله إخباراً عن القدرة الإلهية فى خلق السموات والأرض ، وعن طاعة المخلوقات وخضوعها للخالق القادر سبحانه .. ﴿فقال اتبنا طوعاً أو كرهاً قالنا أتينا طائعين﴾ على أنه يجب علينا التسليم بالخبر ، وعدم البحث عن الكيفية ، فالله على كل شىء قدير ، ولا يسأل عما يفعل - كما يرى ذلك علماء السلف وأيدهم فى ذلك الأستاذ سيد قطب رحمه الله فى تفسيره (الظلال) .

ووقف الحوار بينى وبين الدكتور مصطفى محمود ، عند هذا الحد من الحديث الممتع .. فقد حان افتراق الأصحاب كل إلى بيته ، بعد أمسيةٍ لذةٍ للساهرين .

الإيمان بالغيب : علم !

واطلعت - بعد ذلك - على كتابه الجديد (رحلتى من الشك إلى اليقين) فوجدت الدكتور مصطفى محمود يتحدث فيه بأسلوب العصر ، ويعرض أفكاره بأسلوب صحفى خفيف لطيف ، يسهل على قراء هذا الزمان السريع ..

فى هذا الكتاب يعرض المؤلف الكريم لبدائته التى كانت شكاً فى الله تبارك وتعالى ، وفى خلقه ، وقدرته ، ثم تحولت بعد الدراسة والتأمل إلى يقين عجيب يفيض اعترافاً وحديثاً ودعوةً إلى الإيمان والتوحيد .

ومن روائع الدكتور مصطفى محمود فى كتابه : (رحلتى من الشك إلى اليقين) رده على الشبهة القائلة : بأن الإيمان بالغيب ليس من «العلم». فالعلم - فى نظر الذين لا يؤمنون بالغيب - مجال المحسوس ، وينتهى إلى المحسوس !!

● يقول الدكتور مصطفى هؤلاء الذين لا يؤمنون بوجود الله تبارك وتعالى - لأنه غيب : - إن نصف العلم قد أصبح الآن غيباً ، فقد لاحظ الناس أن صعود الجبل أشق من التزول منه ، وأن رفع حجر أصعب من رفع عصا ، وأن الطير إذا مات وقع على الأرض ، وأن التفاحة تقع هى الأخرى من شجرتها إلى الأرض ، وأن القمر يدور معلقاً فى السماء .

● ولم يعرفوا لذلك سراً إلا عندما اكتشف اسحاق نيوتن نظرية الجاذبية ، ومع ذلك فهذه الجاذبية «غيب» لا يعرف أحد كنهها . ولم ير أحد الأعمدة التى ترفع السماء بما فيها من نجوم وكواكب ، ونيوتن نفسه يقول : إنه أمر غير مفهوم أن نجد مادة لا حياة فيها ولا إحساس تؤثر على مادة أخرى وتجذبها ، مع أنه لا توجد بينهما أية علاقة .

فها هى نظرية علمية نتداولها ونؤمن بها ونعتبرها «علماً» وهى غيب فى غيب !

والإلكترون - والموجة اللاسلكية - والذرة - والنيوترون مواد علمية لم نرم منها شيئاً ، ومع ذلك تؤمن بوجودها ، اكتفاءً بآثارها ، ونقيم لها علوماً متخصصة ، ونبنى لها المعامل والمختبرات .. وهى غيب فى غيب بالنسبة لحواستنا !!

قلت : وهناك الحجة الأقوى والدليل الأسطع في قضية أن الإيمان بالغيب من العلم الحق .. وهى (الروح) التى يعيش بها الإنسان ويتحرك ويلمس آثارها فى حياته وهو لا يعلم حقيقتها والقرآن يؤكد أن الروح من الغيب الذى استأثر الله بعلمه : ﴿يسألونك عن الروح قل الروح من أمرى ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾^(١)

الاحتميات حقيقة

وقد بدت لى على بعض فصول الكتاب (ملاحظات) خفيفة لا تؤثر على مجموعه القيم .

أولاً : أن الدكتور مصطفى محمود ينكر (الاحتميات) فى المجال الإنسانى .. «أمثال حتمية الصراع الطبقي ، والجبرية التاريخية ، لأن الإنسان حر ، وليس مسهاراً أو ترساً فى ماكينة ، وكما لا يمكن التنبؤ بما يأتى به الغد فى حياة الفرد ، فإنه يستحيل القول بالجبر والحتم فى مجال المجتمعات والتاريخ» ص - ٤٠ .

والدكتور مصطفى معذور فى إنكاره (للحتميات) لأنها اشتهرت على ألسنة أصحاب المذاهب المادية الألحادية .

ولكن هناك فرقاً بين أن يتخذ الملحدون من شعار الحتميات الاجتماعية والتاريخية مستنداً لماديتهم وإلحادهم .. وبين أن تكون هذه (الاحتميات) واقعاً اجتماعياً وتاريخياً ، ودليلاً على (العدل الأزل) الذى تحدث عه الدكتور مصطفى فى بعض فصوله .

(١) سورة الإسراء ٣ .

إن الدكتور مصطفى محمود نفسه يرد على قولته الأولى بنى (الاحتميات) في ص ٥٣ من كتابه حين يقول : (إن كل ما نرى في دنيانا البشرية من خداع وغش وحروب ومظالم وفوضى .. كان نتيجة الحرية التي أسأنا استعمالها . إن الله أعطانا الحرية ، وعرض علينا الأمانة وقبلناها ، فالفوضى هي فعلنا نحن ، وهي النتيجة المترتبة على حريتنا) .

وهذه هي حقيقة الصراع الطبقي ، أو الجبرية التاريخية التي أنكرها الدكتور مصطفى آنفأ .

وقد تحدث عنها القرآن الكريم مراراً ، وأكدها كثيراً ، وسماها : (سنة الله التي قد خلت من قبل) أو (سنة الله التي قد خلت في عبادته ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً) وهذا هو معنى الحتمية الاجتماعية ، أو الجبرية التاريخية .

ولذلك حث القرآن الكريم المسلمين - في مواضع كثيرة منه - على أن يسبوا في الأرض وينظروا كيف عاقبة الذين من قبلهم .. كيف عاشوا ، وكيف أنعم الله عليهم بالخير الكثير ، وأمدهم بالأنعام والبنين ، وبالجنات والعيون ، وبالنخل التي طلعتها هضيم ، ولكنهم بدلوا نعمة الله كفراً فأحلوا قومهم دار البوار . هلك قوم منهم بالخشف ، وقوم بالعرق ، وقوم بالطوفان ﴿وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ .

فالاحتمية الاجتماعية ، أو الجبرية التاريخية التي هي (سنة الله) في الصالحين عدلاً وبراً ونصراً ، وفي الظالمين هلاكاً وتدميراً أو صراعاً طبقياً ، وهواناً سياسياً ، واختلافاً اجتماعياً : حقيقة واقعة أكدها

القرآن الكريم وأيدها حديث الرسول ﷺ عن هلاك الأمم السابقة بسبب اختلافها على أنبيائها ، وعصيانها لأوامرهم ، وفشور المنكرات بينهم .. من رباً أو زناً أو تطفيف للكيل والميزان الخ ..

حقيقة المسيح الدجال :

وفى ص ١٠٥ - يقول الدكتور مصطفى محمود «المسيح الدجال قد ظهر فعلاً كما يقول الكاتب البولندي ليوبولد فايس - وقد أسلم هذا الكاتب وعاش في مكة ودفن فيها - وهذا المسيح الثالث ذو العين الواحدة كما يقول ليوبولد فايس هو التقدم المادى والقوة المادية والترف المادى - معبودات هذا الزمان» .

واستمر المؤلف الفاضل - بعد ذلك - يؤكد أن مدينة العصر الحاضر وما امتازت به من تقدم علمى وتطور تكنولوجى .. هى «المسيح» الذى افتتن به الناس وعبدوه ، وفقد الشريون بسببه ثقتهم بأنفسهم ، ونظروا باحتقار إلى تراثهم ودينهم !

فأما ليوبولد فايس ، الأستاذ محمد أسد حالياً - فهو مازال حياً يرزق ، ولعله الآن فى جنيف أو فرنسا ، وهو لم يعيش فى مكة ، وبالتالى لم يميت ولم يدفن بها .. أمد الله فى حياته ونفع بمؤلفاته .^(٤) وأما رأيه فى المسيح الدجال الذى أخذ به الدكتور مصطفى محمود ، فهو غير مُسلّم به ، وهو من اجتهاداته التى يقتدى فيها بالشيخ محمد عبده - غفر الله له .

(١) اجتمعت بالأستاذ محمد أسد فى الندوة العالمية للإسلاميات بجامعة البنجاب فى لاهور بباكستان سنة ١٣٧٧هـ .

● ففي صحيح البخارى ومسلم عن عبدالله بن عمر : «أن النبي ﷺ قام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر الدجال ، فأطنب فى ذكره وقال : ما بعث الله من نبي إلا أنذرته أمته ، وأنه يخرج فيكم ، فما خفى عليكم من شأنه ، فلا يخفى عليكم أن ريكم ليس بأعور ، وإنه أعور العين اليمنى كأنها عنة طافية .» (١)

يقول الأستاذ سيد سابق - فى كتابه العقائد الاسلامية : من علامات الساعة وأماراتها الكبرى : أن يخرج «المسيح الدجال ، ويدعى الألوهية ، ويحاول أن يفتن الناس عن دينهم بما يحدثهم من خوارق العادات ، وبما يظهر عليه من عجائب فيفتن به بعض الناس ، ويثبت الله الذين آمنوا ، فلا يخذعون بأضاليله ثم ينجلي أمره ، ويُقضى على فتنته ، ويُقتل بأيدي المسلمين .. وقائدهم حينئذ عيسى عليه السلام» .

ويستدل السيد رشيد رضا بالأحاديث الواردة عن المسيح الدجال على أن «النبي ﷺ قد كشف له وتمثل له ظهور دجال فى آخر الزمان ، يظهر للناس خوارق كثيرة وغرائب ويفتن بها خلق كثير ، وأنه من اليهود ، وأن المسلمين يقاتلونه ويقاتلون اليهود فى هذه البلاد المقدسة ، ويتصرون عليهم» .

● قلت : إن الإيمان بالمسيح الدجال من العقائد الغيبية فى الاسلام ، وكما تؤمن بالله واليوم الآخر ، واللجنة والنار تؤمن كذلك بعلامات الساعة الكبرى التى منها خروج المسيح الدجال ، وطلوع

(١) فتح البارى ج ١٣ ص ٨٩ كتاب الفتن .

الشمس من مغربها الخ ..

وهناك ملاحظة أخيرة .. وهى اطلاق الدكتور مصطفى محمود وصف (المخرج الأعظم للدراما الوجود) على الذات الالهية وأحسب أن الدكتور يعلم أن من مستلزمات الإيمان بالله عز وجل أن لا نطلق عليه إسماً أو وصفاً إلا ما سمي به نفسه أو وصفها به تبارك وتعالى عن طريق القرآن الكريم أو السنة الصحيحة ..

حول بيت العنكبوت :

وكتب الدكتور مصطفى محمود سلسلة مقالات بعنوان «حوار مع صديق الملاح» تحدث فيها عن القرآن ولماذا لا يكون من تأليف محمد ﷺ ؟ وجعل يستدل على آلهية القرآن بإعجازه اللغوي والبلاغي والعلمي . ولا شك أن الدكتور أحسن في ذلك كثيراً .. إلا أنه فهم أو فسر بعض المعاني على غير حقيقتها - من ذلك ذكره لهذه الآية ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت .. لو كانوا يعلمون﴾ ومحاولته أن يجعل ألفاظها ومعانيها إعجازاً علمياً ولكنه أبعد وأغرب .

فقد قال : لم يقل الله : خيط العنكبوت ، بل قال : بيت العنكبوت . وخيط العنكبوت - كما هو معلوم - أقوى من مثله من الصلب أربع مرات ، إنما الوهن في البيت لا في الخيط .. حيث يكون البيت أسوأ ملجأ لمن يحتوى فيه ، فهو مصيدة لمن يقع فيه من الزوار الغرباء ، وهو مقتل حتى لأهله ، فالعنكبوت الأنثى تأكل

زوجها بعد التلقيح ، وتأكل أولادها عند الفقس ، والأولاد يأكل بعضهم بعضاً - إن بيت العنكبوت هو أبلغ مثال يضرب عن سوء الملجأ وسوء المصير ، وهكذا حال من يلجأ إلى غير الله سبحانه وتعالى .. وهنا بلاغة الآية .^(١)

● قلت : إن بيت العنكبوت في الآية لم يضرب لسوء الملجأ ولا لسوء المصير .. حتى نحتاج إلى التكلف والتعسف في التفسير العلمي لحيط العنكبوت ونقول إنه أقوى أربع مرات من مثيله من خيط الصلب ، ونقول إن الوهن في البيت لا في الحيط ، لأن العنكبوت تأكل زوجها وتأكل أولادها فيه .. فهو لهذا بثس الملجأ وبثس المصير !!

ولا ندرى كيف يكون البيت واهناً إذا كان مصنوعاً من خيوط هي أقوى من مثيلها من خيوط الصلب ؟

إن بيت العنكبوت - كما هو صريح لفظ الآية ومعناها - قد ضرب للوهن والضعف والانهيار وعدم الاحتمال ، وكذلك هو شأن الأصنام والآلهة والأولياء الذين يدعون من دون الله ، فهم لا يملكون لأنفسهم ولا لمن يدعونهم ضرراً ولا نفعاً ولذلك يكون اعتمادهم على هؤلاء الأولياء الضعفة العجزة كالاعتماد على بيت العنكبوت الواهن الضعيف ..

ولو كان المقصود هو سوء الملجأ وسوء المصير لجاء التعبير في الآية «بئس البيوت» «لا» «بأوهن البيوت» والفرق واضح بين اللفظين

(١) مجلة (صباح الخير) في ١٩/٨/١٩٧٤ - والأعداد التالية .

ومعناها .

وأذكر- بهذه المناسبة - أن الدكتور يوسف مروة : أورد في كتابه «علوم القرآن» طائفة من أقوال العلماء الفيزيائيين تعليقاً على ألفاظ ومعاني القرآن التي تحمل إشارات أو لفتات علمية .. ومن ذلك قول أحدهم إن أربعة آلاف خيط من خيوط العنكبوت تساوى شعره من شعر لحيته أو رأسه .. وهذا هو متهى الضعف والوهن في بيت العنكبوت الذى تُنشئهُ من خيوطها الواهنة الضعيفة ! .

والواقع - وهو المفهوم الصحيح والصريح والبلغ للآية - أن الآية تنبئ أن يكون عذاب الله للمذنبين والكافرين وإيثاقه لهم بالسلاسل والأغلال .. كعذاب الناس في الدنيا وإيثاقهم بعضهم لبعض .. بل هو أشد عذاباً وأشد وثاقاً لا مثيل لعذابه ولا شبيه لوثاقه . والضمير في كلمتي «عذاب ووثاق» يعود إلى الذات الالهية لا إلى المذنب أو الكافر : أى لا يعذب عذاب الله أحد من .. لأن القرآن الكريم - كما جاء عن السلف وكما هو فى الواقع - «يفسر بعضه بعضاً» ..

فيومئذ لا يعذب عذابه أحد :

.. ويورد الدكتور مصطفى محمود فى المجلة نفسها - هذه الآية «فيومئذ لا يعذب عذابه أحد . ولا يوثق وثاقه أحد» ويقول : هناك من سيكون حسيباً على نفسه يعذبها بالندم ويشد وثاقه بالحسرة ، وهو الذى لا يوثق وثاقه أحد ..

● قلت : ظن الدكتور - كما ظن صديقه الملحد - أن معنى الآية

أن المذنب أو المجرم يتولى هو نفسه عذاب نفسه ووثاقها
ونجد تأكيداً وتأيداً لهذا المعنى في آية أخرى هي قوله تعالى
﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى في الله جعل فتنة الناس
كعذاب الله﴾ أى أن عذاب الله شديد ليست فتنة الناس بعضهم
لبعض كعذاب الله شدة وحدة .

ونعود فنكرر ما أسلفناه في تعليقاتنا السابقة على كتاب الدكتور
مصطفى محمود : «القرآن الكريم : محاولة لفهم عصرى» وهو أنه لا
بد لفهم القرآن الكريم وتفسيره من النظر والتأمل في مجموع آياته
النبي الوارد في الآية هو نبي مطلق لتعذيب غيره له .

حول معرفة الجنين :

.. وسأله صديقه الملحد : ما رأيك في كلام القرآن الكريم عن
العلم الآلهى : ﴿إن الله عنده علم الساعة - وينزل الغيث - ويعلم ما
في الأرحام - وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً - وما تدرى نفس
بأى أرض تموت - إن الله عليم خبير﴾ فما بالك الآن بالطبيب الذى
يستطيع أن يعلم ما بالأرحام أذكر هو أم أنثى ! .

فأجابه الدكتور مصطفى محمود : بأن علم الله لما في الأرحام علم
كلى محيط ، وليس علماً بجنس الجنين فقط هل هو ذكر أم أنثى ،
وإنما هو علم بمن يكون ذلك المولود وما شأنه ؟ وماذا سيفعل في
الدنيا ؟ وما تاريخه من يوم ولد إلى يوم يموت ، وهو أمر لا يستطيع

أن يعلمه الطبيب !!

● قلت : لقد أبعد الدكتور مصطفى وأغرب . فلو كان ما تعنيه الآية هو هذا العلم الواسع بتاريخ المولود داخل الرحم وخارجه إلى يوم يموت .. لجاءت عبارة القرآن الكريم على غير هذا الأسلوب ، وبغير التخصيص على (الأرحام) وتخصيص «العلم بما في الأرحام» . فإن التخصيص والتخصيص بهذا الأسلوب القرآني يعينان تحدياً إلهياً للبشر بأن هذه (الغيوب) الخمسة لا يعلمها إلا الله وحده . أما العلم بما سوف يفعل المولود في الدنيا ! وكيف تكون سيرته خلال حياته إلى يوم وفاته .. فقد تحدثت فقرة أخرى من الآية عن اختصاص الله عزّ وجلّ أيضاً بهذا «الغيب» في قوله : ﴿وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً﴾ .. ويدهى أن الطبيب لا علاقة له ولا اختصاص عنده بهذا العلم التاريخي لأى إنسان آخر ..

وقد جاء هذا التحدّى الإلهي لطائفة الكهان والعرافين الذين يزعمون أنهم يعلمون الغيوب الماضية والمستقبلية للناس . كما جاء ذلك التحدّى الإلهي للأطباء خاصة لعلاقاتهم بشئون التمريض والتوليد .

هذه واحدة ..

أما الثانية فإن الأطباء - فعلاً - عاجزون اليوم وسوف يظلون عاجزين إلى يوم القيامة عن معرفة جنس الجنين أهو ذكر أم أنثى . وأكتفى بذكر الآية القرآنية الأخرى التي تؤكد مجتمعة انفراد الله عزّ وجلّ بعلم ﴿ما في الأرحام﴾ .

- ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد

وكل شيء عنده بمقدار» .

- ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ

ثَلَاثٍ...﴾

- ﴿هُوَ الَّذِي يَصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ...﴾

ونضيف إليها الحديث النبوي الذي أخرجه البخاري ومسلم :
«مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمها إلا الله تعالى : لا يعلم أحد ما يكون في غد - ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام - ولا تعلم نفس ما تكسب غداً - وما تدري نفس بأي أرض تموت - وما يدرى أحد متى يجيء المطر» .

وفي تفسير الامام الألوسي : أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة أنه قال : «خمس من الغيب استأثر الله بهن - حتى قال : ويعلم ما في الأرحام ، فلا يعلم أحد ما في الأرحام أذكر أم أنثى ؟ أحمر أم أسود» .

وفي مجلة التضامن الاسلامي - جمادى الآخرة عام ١٣٩٤هـ - بحث قيم للأستاذ عوض إبراهيم عن (اكتشاف الجنين بين الحقيقة والادعاء) ذكر فيه أنه سأل صديقه الطبيب - وهو مختص بشئون الولادة وأمراض النساء - هل يمكن للأشعة أن تخرق الرحم وتكشف عن الجنين أذكر أم أنثى ؟ فأجابه صديقه الطبيب الخبير : بأن وضع الجنين في الرحم يحول دون وصول الأشعة إلى ما يكشف ذكوره أو أنوثته - ويضيف الأستاذ عوض إلى ما سبق ما قرأه للأستاذ عبدالرزاق نوفل في كتابه «العلم والدين» عن الظلمات الثلاث التي تحيط بالجنين فتمنع اكتشافه بالأشعة وأن ذكر هذه

« الظلمات الثلاث » في القرآن الكريم كان معجزة قرآنية دهش لها الأطباء الأجانب وسلموا للقرآن الكريم بصدق أخباره وعلومه ..

حوار مع الشيخ على الطنطاوى حول مفهومات قرآنية

كتاب « تعريف بالإسلام » للشيخ على الطنطاوى قرأته قبل اثنتي عشرة سنة تقريباً .. وعندما كنت أبحث في مكتبتى عن بعض المراجع وجدته بين يدي ، فقلبت بعض صفحاته ، فإذا بى أجد « هوامش » على بعض موضوعاته القرآنية ، فقلت : لا بد من طرحها على القراء وعلى فضيلة المؤلف الكبير :

● فى ص/ ٥ من الكتاب يقول المؤلف الفاضل عن أسباب تأليفه للكتاب : إنه ينظر فلا يجد كتاباً فى الإسلام جامعاً : وإنما يجد كتباً فى الفقه فروعاً وأصوله ، وكتباً فى التوحيد والتفسير تنقضى الأعمار دون الوصول إلى نهايتها ، مكتوبة بأسلوب لا يستطيع الطالب أن يقرأها .. إلخ .

- قلت : الكتب المؤلفة بأقلام علماء عصرين فى الشريعة الإسلامية أحكاماً وعقيدة وأخلاقاً كثيرة وفيرة ، منهم الأساتذة محمد الغزالي ، ومصطفى السباعي ، ومحمد أديب الصالح ، ومحمد القاسمي ، ومحمد على الصابوني ومحضرنى الآن اسم كتاب للشيخ أنى بكر الجزائرى المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وهو : (منهاج المسلم) يتحدث فيه بأسلوب سهل عن الإسلام عقيدة وشرعة وأخلاقاً .

● ويقول فضيلته في (ص ٤٦) من كتابه «تعريف بالاسلام» :
«لقد أراني الله معنى لسورة الناس فيه رد على من يقر بوجود الله
وربوبيته وملكوته ، ولكنه لا يوحد توحيد الألوهية ... معنى لم أجد
من المفسرين من ذكره ، وأرجو أن يكون صواباً - يقول الله عزَّ
وجلَّ : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ النَّاسِ ۝﴾
﴿فلماذا كرر لفظ (الناس) وعمد إلى الإظهار بدلاً من الإضمار؟
فلم يقول مثلاً «رب الناس ، وملكوهم ، وإلههم» ؟ الذي ظهر لي
والله أعلم كأن ربنا يقول لهم : هذه ثلاث قضايا متماثلة متكاملة ،
كل قضية مستقلة بنفسها مع ارتباطها بأختها : فهو (رب الناس)
أى خالقهم وحافظهم ، وهو (ملك الناس) أى مالكوهم المتصرف
فيهم ، وهو (إله الناس) أى المستحق وحده لعبادتهم لا يجوز أن
يكون له شريك فيها ، ومقتضى ذلك أن تصدقوا بالقضايا الثلاث ،
أو تنكروا القضايا الثلاث - فما بالكم تصدقون بالأولى والثانية
وترفضون الثالثة ؟ كيف تفرقون بين المتماثلات .. ؟» .

وملاحظتنا على كلام المؤلف الفاضل : أن هذا الذى ذهب
إليه فى فهم تكرار كلمة (الناس) سبقه إليه مفسرون قدامى ومحدثون
من أمثال ابن كثير والقرطبي والنسفي والزمخشري والألوسي وسيد
قطب - إلا أنهم لم يجعلوا من التكرار أو الإظهار دون الإضمار قضية
مستقلة لكل صفة من صفات الرب تبارك وتعالى .

وإذا كان معنى (رب الناس) كما فسرها الشيخ الطنطاوى
وفسرها المفسرون قبله : خالقهم وحافظهم ومربيهم - ومعنى (ملك
الناس) كما فسرها هو والمفسرون السابقون : أى مالكوهم وحاكمهم

والمتصرف فيهم بما يشاء - فهو إذن (إله الناس) المستحق لعبادتهم ووطاعتهم وتقواهم وحده دون شريك .

فهى قضية واحدة : قضية الألوهية ، ولها أو على حقيقتها الظاهرة برهانان : برهان الربوبية وبرهان الملكية .

وإنما جاء تكرار لفظ (الناس) عطف بيان لأنه قد يقال لغير الله عز وجل : رب الناس بمعنى سيدهم ، وقد يقال : ملك الناس لأن في الناس ملوكاً ، وإنما قال (إله الناس) لأنه خاص لا شركة في ألوهيته ، فجعله غاية البيان - على حد تعبير الزمخشري في الكشف - وهذا التوجيه ذهب إليه القرطبي أيضاً .

أما الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - فيرى في تكرار كلمة (الناس) رأياً آخر : وهو أن قوله (رب الناس) وهم أجنة وأطفال - و (ملك الناس) وهم شباب وشيوخ يسوسهم ويملكهم - و (إله الناس) يعبدونه مدى أعمارهم .

* * *

● وفى (ص ٥٣) من الكتاب يتحدث المؤلف الفاضل عن نسبة بعض الأفعال إلى الذات الإلهية .. ويتعذر فهمها على الحقيقة كقوله عز وجل : (نسوا الله فنسيهم) و (مكروا ومكر الله) و (يخادعون الله وهو خادعهم) ثم قال : "فنحن نؤمن بها ولا نحاول ما لا نستطيع من معرفة تفصيل المراد منها ...

- قلت : إن المجاز مأخذ لغوى وبلاغى معروف فى كلام العرب والقرآن الكريم فى القمة من اللغة العربية .. وهناك فى القرآن كلمات وعبارات لا يمكن فهمها على حقيقتها ولا بدَّ فيها من اعتبارها

مجازاً - ولا نطيل بذكرها هنا - ونكتفي بالكلمات التي أوردها المؤلف
الفاضل .

فالنسيان والمكر والخداع - هذه الأمور أو الأفعال التي نُسبت
إلى الله عزَّ وجلَّ هي من قبيل الاستعارة المعروفة في أصول البلاغة
العربية ، وهي أبلغ وأقوى تعبيراً وتصويراً للمعنى المراد - وتُسمى
(المشاكلة) من حيث اللفظ دون المعنى - أى أن الله يجازيهم على
نسيانهم وعلى خداعهم وعلى مكرهم الجزاء الأوفى ، وقد سُمِّيَ
الجزاء على هذه الخبائث بأسمائها من قبيل المشاكلة كما أسلفنا لأن
وبال أمرهم وعاقبة سلوكهم راجعة إليهم جزاءً وفاقاً .

وقد استخدمت هذه الاستعارة في الحديث النبوي : (اللهم
امكر لي ولا تمكر علي) وجاء من هذا القبيل قوله عزَّ وجلَّ :
﴿كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء
الله﴾ فالمكر في الحديث والكيد في الآية بمعنى التدبير والعون
والتوفيق إلى الخير .

● وفي (ص ٥٧) يتحدث الشيخ الطنطاوي عن إحدى الشبهات
التي تثور في أذهان بعض الناس فيقول : يسأل الكثيرون : ما بال
الكافر يعمل على ما ينفع الناس يوزع الصدقات ، ويبني الملاهي
والمستشفيات ، ويفتح المدارس - ثم لا يكون له عندكم ثواب في
الآخرة ؟ ثم قال : والرد أن الله لا يضع عمل عامل من ذكر أو
أنثى ولا يحرم محسناً ثمرة إحسانه ، بل يعطيه ما يطلبه ، فإذا كان
المحسن مؤمناً مصداقاً بالآخرة وطلب ثوابها أعطاه الله ثواب
الآخرة ، وإن كان هو لا يريد إلا الدنيا والشهوة والذكر الحسن

وان تكتب الجرائد عنه ، ويسجل التاريخ إسمه اعطاه ما يطلبه :
فهو لا يريد الآخرة ..»

— قلت : كان على المؤلف الفاضل مادام لا مرجع عنده ، ولا معتمد له إلا (المصحف) وحده كما كرر القول خلال صفحات كتابه .. أقول : كان عليه أن يورد بعض الآيات القرآنية التي تثبت صحة رده على السائل كقوله عز وجل : ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ، وماله في الآخرة من نصيب﴾^(١) وقوله تبارك وتعالى أيضاً : ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ..﴾^(٢) وقوله كذلك : ﴿من كان يريد ثواب الدنيا .. فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ..﴾^(٣)

* * *

● وفي (ص ٥٨) يقول الشيخ الطنطاوى : (وأنا أدعو إلى شيء جديد .. شيء هو أقرب إلى الحق ، وانفع لنا - فبدلاً من أن نقول : هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق . نقول : إن القرآن أنزله الله لنعمل به ، فلنعمل به ولنأتمر بأمره ، ولنقف عند نهيه ..) الخ .. — قلت : إن هذه الدعوة إلى العمل بالقرآن أمراً ونهياً .. ليست شيئاً جديداً ابتكره المؤلف .. فالقرآن نفسه يدعو المسلمين إلى العمل بأحكامه وأخلاقه ، وطرح المجادلة والمراء والكلام الكثير الذى لا جدوى وراءه - ففيه قول الله عز وجل : ﴿وقل اعملوا

(١) سورة الشورى ٢٠ .

(٢) سورة الإسراء ١٨ .

(٣) سورة النساء ١٣٤ .

فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون... ﴿ وتكرر هذا التوجيه بالنص مع حذف كلمة (المؤمنون) في آية أخرى . والرسول عليه الصلاة والسلام يوجه إلى (العمل) في أكثر من حديث . ونكتني بواحدٍ منها وهو قوله ﷺ : (ليس الإيمان بالتقنى .. ولكنه ما وفر في القلب وصدقه العمل ..) بل نضيف إليه التوجيه النبوى الآخر : (إن الله كره لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال) .. الخ^(١)

هل كان الرسول يعلم الغيب دائماً؟

بعض الكتاب نشر في مجلة عربية مقالاً يجزم فيه بقوله : «إنَّ النبي - ولا شك - كان يعلم الغيب . فيخترق بعقله أو بروحه الحجب ، ويعرف حقائق أسرار الكون .. ولا مجال لتكذيب هذا الأمر ، بعد أن أقر علم النفس الحديث قراءة الأفكار واحضار الأرواح ومحدثتها ، وذهب الكاتب يضرب الأمثال على ما زعم : ١ - اخبار النبي عليه السلام لعمار بن ياسر : (إنما تقلت الفتنة الباغية) .

٢ - تحديثه بأشقي رجلين : أحيمر ثمود عاقر الناقة ، وعبدالرحمن ابن ملجم قاتل على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

٣ - تحديثه عمير بن وهب بما جاء من أجله إلى المدينة ، وهو ما تأمر عليه هو وصفوان بن أمية ، في الحجر في الإمامة ، من

(١) في الكتاب موضوعات أخرى تناولتها بالنقد والتعقيب . هي تتعلق بآيات القرآن لفظاً أو موضوعاً . ونكتي أحبها إلى وصية أخرى .

اغتياله عليه السلام .

٤ - اخباره لعنه العباس ، يوم أسرفى واقعة بدر ، بما خبأه عند أم الفضل بمكة من مال :

٥ - ما حدث به سلمان الفارسي أثناء حفر الخندق ، عندما لمعت برقات ثلاث تحت معوله - عليه الصلاة والسلام - الذى كان يضرب به صخرة اعترضت الخندق فقال عن الأولى أنها بشارة فتح اليمن ، والثانية فتح الشام والمغرب ، والثالثة فتح المشرق .. وقد صحت هذه البشريات فتمت هذه الفتوح .

٦ - حديثه عن العاصفة التى هبت فى طريقه إلى غزوة بنى المصطلق ، بأنها هبت لموت عظيم من عظماء الكفار ، فلما وصل المسلمون إلى المدينة وجدوا رفاعة بن زيد اليهودى قد هلك فى ذلك اليوم .

٧ - قصة حاطب بن بلتعة ، وعلم النبى ﷺ بالمرأة التى حملها حاطب رسالة إلى مشركى قريش ينبئهم فيها بمقدم النبى إليهم .

٨ - اخباره لوفد أهل جرشى - باليمن - بما أصاب قومهم من تقتيل صرد بن عبد الله لهم - إلى غير ذلك من حوادث ذكرها الكاتب أم لم يذكرها .. ولكنه اتخذها أدلة على علم الرسول بالغيب ، وهى إن كثرت أو قلت لا تدل على ما زعم وليست حجة على ما ادعى .

وما زريده من التعقيب على هذه الزعمة الباطلة هو افهام القارىء - بالحجة البينة - بأن أحداً من الناس لا يعلم الغيب الذى اختص به الله وحده سبحانه ، لذلك ينبغى له أن يظهر فؤاده من

وساوس شياطين الانس والجن ، ونبوءاتهم التي تبليبل الخواطر
والمشاعر .. تأملاً في باطل ، أو تقيساً من حق ، كما ينبغي له أن
يقبل على الحياة متبناً معالمها ، عاملاً في مناكبها ، مسهماً في
مجتمعه بمحاسن قوله وفعله ورأيه .. مؤمناً بأن الله سبحانه لم يجعل
له عينين ولساناً وشفقتين إلا ليميز بين الطيب والخبيث وينصر الحق
على الباطل ، ويؤيد الخير على الشر .
ونسأل الآن :

هل كان النبي محمد عليه الصلاة والسلام يعلم «الغيب» كلياً ،
ومطلقاً ، ودائماً ! أما أنا ، فأقول : لا وإنما كان يعلم «الغيب»
بإحشاء الله له - متى شاء - في أزمنة وأمكنة وقضايا محدودة غير
مطلقة وليس الحجاب مكشوفاً له دائماً بحيث يرى «غيب» ملكوت
السموات والأرض ويعلم ما حدث أمس وكل ما يحدث بعده وإن
لم يرهما .

.. وأول ما نريد ننص - من قواعد زعمه ، ما زين له من
الاحتجاج بما أقره علم النفس الحديث من «قراءة الأفكار» و
«احضار الأرواح ومخادتها» فليس ما كان يوحى إلى النبي عليه
الصلاة والسلام من «غيوب» محدودة من هذا القبيل .. قبيل قراءة
الأفكار ، واحضار الأرواح . وإلا فما الفرق بينه وبين العاديين
الذين يحترفون هذين العلمين أو الوهمين على الصحيح ؟ .

إن الحجة يجب أن تكون من جنس المحتج عليه . وعلم النبي
ببعض «الغيوب» كان حياً إلهياً ، لا أكثر ولا أقل - وهذان العلمان
أو الوهمان ليسا كذلك بلا مرأ . ثم إن علم النبي ببعض «الغيوب»

لا يصححه لدينا أو يؤكد له لنا شيء من هذه التجارب والمعارف الحديثة ، وإنما نؤمن به ، كما نؤمن بالقرآن الذى يذكر لنا أن محمداً عليه الصلاة والسلام أوتى ومعجزات عديدة ، كما أوتى النبيون من قبله معجزات أيضاً .. ولا نزيد !! وعلمه ﷺ ببعض الغيوب ، هو من بعض هذه المعجزات .

وها هو القرآن الذى نؤمن به ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ونؤمن بما ذكر عن معجزات الأنبياء جميعاً - يذكر فى آيات صريحة فصيحة ، مكررة مؤكدة : أن النبي عليه الصلاة والسلام كان لا يعلم الغيب كلياً ، ومطلقاً ، ودائماً :

- ﴿قُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾^(١)
- ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾^(٢)
- ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾^(٣)
- ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ..﴾^(٤)
- ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعَا مِنْ الرُّسُلِ . وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾^(٥)
- ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ . وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ..﴾^(٦)
- ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ . وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءَ ..﴾^(٧)

(١) سورة يونس ٢٠ . (٢) سورة الأنعام ٥٩ .
 (٣) سورة الجن ٢٦ ، ٢٧ . (٤) سورة النمل ٦٥ .
 (٥) سورة الأحقاف ٩ . (٦) سورة هود ٣١ . (٧) سورة الأعراف ١٨٨ .

أجل لو كان النبي عليه الصلاة والسلام يعلم «الغيب» لاستكثر من الخير ولما مسه سوء أعدائه ومكائدهم . ولاتخذ من كل اذى حمى . وحسب لكل هزيمة في المعارك التي هزم فيها المسلمون حساباً ، ولما أسف على كفر من كفر ، وما حزن على مسارعة من يسارع إلى الكفر ، أو على قول من يقولون له : لست مرسلأ ، أو يطلبون منه مطالب الاعجاز والاعنات .. لأن من يعلم ما سيحدث له لا يبالي به إذا حدث حيث إن نفسه استقرت على تلقيه واستقباله .

.. ولكن النبي - كما يذكر القرآن في عدة مواضع - كان يأسف ، وكان يحزن ، وكان يحاول أن يبيع نفسه ، وكان يضيق صدره ، بما يفاجأ به من أحداث .

بل أكثر من ذلك .. لو كان النبي يعلم الغيب دائماً لعرف عاقبة بعثة القراء السبعين الذين دعوا عامر بن مالك أمير نجد ، بارسالهم إلى قومه لتفقيهم في الاسلام - وهي - أى العاقبة - غدر قوم عامر بهم وقتلهم إياهم عداً واحداً .

ولعلم أيضاً مصير البعثة الأخرى ، التي أرسلها إلى بعض القبائل المجاورة للمدينة وقد قتلوها غدرأً عداً - إثنين من رجالها أسروهما وباعوهما في قريش .

وما يقال في ذلك يقال أيضاً في قصة لاف الذي رميت به عائشة رضى الله عنها ، فلو كان النبي يعلم الغيب ، لعلم كذب الفرية ، ولأيقن براءتها ، واستغنى عن مغاضبتها ومتاركتها في بيت أهلها حيناً ، وعن سؤال على بن أبى طالب وجارتها بريدة عن

حقيقة سيرتها ، ولكنى نفسه - عليه الصلاة والسلام - الذهاب إليها في بيت والديها ليسألها : «إن كنت أملت بذنب فتوى إلى الله» .

وفى حديث عائشة رضی الله عنها - الذى يرويه الامام مسلم فى صحيحه (من زعم أن محمداً ﷺ خبر بما يكون فى غدٍ .. فقد أعظم على الله الفرية) ، أى أنه عليه الصلاة والسلام على الرغم من أن الوحي الإلهي عليه رواح غداء ، لا يدري ما يحدث فى الغد بصورة تلقائية ودائمة إلا أن يوحى إليه من الله شىء .

ويؤكد ما سبق من حديث عائشة ما رواه الامام البخارى - فى كتاب الشهادات - أن زوجة عثمان بن مظعون قالت عند موته : «لقد أكرمك الله» فقال عليه الصلاة والسلام وما يدريك أن الله قد أكرمه .. والله ما ادري وأنا رسول الله ما يفعل به ؟ .

وهناك آيات من القرآن أخرى تقرر انفراد الله بعلم الغيب ، بطريق غير مباشرة ، وقد أفحم الله سبحانه بها المجرمين الذين يزعمون «الجبرية» قاهرة لهم فيما اقترفوا من جرائم ..

فعندما قالوا : ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ، ولا حرمنا من شىء﴾ سألهم متحدياً معجزاً : ﴿هل عندكم من علم فتخرجوه لنا؟﴾ أى هل عرفتم ما غاب عنكم مما كتب عليكم من عمل ، فتدبروه ! ..

وكان فريق من هؤلاء ﴿إذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ فرد عليهم : ﴿قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون؟﴾ .

وإذا كان بعض الناس - مع ما حجب عنهم من علم الغيب - قد افتروا على الله كذباً فزعموا جبرية ما يكتسبون من جرائم ، ثم ينسبونها إلى مشيئة الله . فكيف لو أبيع حمى الغيب الإلهى للناس جميعاً ؟! إذن لكانت حجبتهم فى دعوى الجبرية أقوى ، وعذرهم فى اجتراح السيئات أوضح ..

وقد حرم الاسلام الكهانة والتنجيم والسحر - وهى أمور تعتمد على علم الغيب - لأن علم الغيب هذا لا يملكه إلا الله وحده ، ولأن الاسلام دين العمل والفكر ، ولا بد لاختلاص العمل واحسان التفكير من تطهير القلوب والأذهان من وساوس الخرافات والأوهام وخواطر التشاؤم والتطير التى تشل قافلة الحياة عن السير فى نظام وأمان .

وبعد .. فقد وضع الفرق بين ما كان يعلمه النبى عليه الصلاة والسلام من بعض الغيوب ، وبين قراءة الأفكار واحضار الأرواح ، وغيرهما من تجارب العصر الحديث ، التى لم تصل بعد إلى اليقين ، أو التى لا تعد علماً بالغيب ، بالمعنى الصحيح ، وإنما هى من قبيل ما يسمى بالتحديث أو الإلهام وقد يكون - كما ورد فى حديث نبوى - إمّا لمة ملك أو لمة شيطان والأولى وعد بالخير ، وتصديق بالحق ، والأخرى يعد بالشر ، وتكذيب بالحق .

وقد كان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - من هؤلاء محدثين الملهمين بشهادة نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام .

فليعرف القراء ذلك الفرق الفارق ، وليتبنوا ذلك الضياء الشارق لئلا يتخذ بعض المحترفين ما زعمه الكاتب حجة لهم فيما

يحترفون من قراءة أفكار أو احضار أرواح .
وشتان بين معجزات الأنبياء وترهات الأدعياء .

مصادر الايمان كما يقرها القرآن

تربطني بالأستاذ محمد عبد الله السمان صلة صداقة روحية وفكرية وتحمل مؤلفاته الإسلامية من نفسى مكانا رفيعا ، وقد قرأت مؤلفه « الإسلام وجهها لوجه » وامتلاأت نفسى إعجابا وطربا لجولات الأستاذ السمان البارة وصولاته فى ميدان الفكرة الإسلامية التى تتظاهر على صراعها اليوم المذاهب الهدامة من كل حذب ، وترىص بها الدوائر دون الغرب والشرق على سواء ..

* * *

ينقل الأستاذ السمان فى كتابه القيم (ص ١٤) رأيا لجوستاف لوبون فى كتابه « الآراء والمعتقدات » يقول فيه : إن المعتقد الدينى هو إيمان أئنع فى عالم اللاشعور من غير أن يكون للعقل سلطان عليه ..

ويعقب الأستاذ السمان على ذلك : بأنه لا ينطبق على العقيدة الإسلامية ، لأن الإسلام اعتمد فى انقلابه على العقل والتفكير الحر ..

هكذا يحزم لوبون بأن العقيدة الدينية منبعا الوجدان الباطن ، الذى لا يستند على إحساس ولا على إدراك ولا على تجربة من التاريخ .. وهكذا يرى مؤلف « الإسلام وجهها لوجه » ان المعتقد الإسلامى يعتمد على العقل الحر وحده ..

أما أنا فعندى أن العقيدة الإسلامية : إيمان ينبع من العقل والوجدان معا ، إذا استقاما ولم يعوجا ، وصلحا ولم يفسدا ، وطابا ولم يخبثا .. بحيث يستجيبان « لاقناع » ما فى الوجود الإنسانى من دلائل ، و « لاغراء » ما فيه من عواطف ، فى اقتناع فكرى واستمتاع وجدانى يضاف إلى ذلك ما « للتاريخ » من أثر بعيد فى مساعدة العقل والوجدان ، على تلبية دعوة الإسلام إلى معتده السليم القويم ..

هذه مائدة القرآن الشهية السخية تسعفنا بالحجج البينات على منطقية الدين الإسلامى فى مخاطبة معتنقيه أو محاولى اعتناقه ، بما يقنعهم عقليا ووجدانيا ، وتاريخيا بأنه الدين الخالد الواحد !
تسعفنا مائدة القرآن : - أولا : بالاقناع العقلى ، - وثانيا : بالاغراء الوجدانى ، - وثالثا : بالبرهان التاريخى .

أما الاقناع العقلى فيبدأ بإثبات عجز ما يدعى من دون الله من آله باطلة : فهى لن تخلق ذبابا ، ولو سلبها الذباب شيئا لعجزت عن استرداده منه ، وهى لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا .. ولا تملك ميتا ولا حياة ولا نشورا ..

وهى لا تستجيب لمن يدعوها بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليلغ فيه ، وما هو ببالغه .. وهى كذلك ليست لها أيد تبطش بها ، ولا أرجل تمشى عليها ، ولا أعين تبصر بها ، ولا آذان تسمع بها ولا غير ذلك من إمكانيات وقدر تؤهلها لمنفعة نفسها فضلا عن منفعة الناس ..

أولاً مصدر الإيمان عقلي :

اقرأ معنى هذه الآيات القرآنية التي تحمل الاقناع العقلي بالمعتقد الاسلامي :

- ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ أفلا تذكرون﴾^(١)
- ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون﴾^(٢)
- ﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون . ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً . ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً﴾^(٣)
- ﴿ألم أرحل يمشون بها ، ألم لهم أيد يبطشون بها ، ألم هم أعين يبصرون بها ، ألم لهم آذان يسمعون بها﴾^(٤)
- ﴿قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض ألم لهم شرك في السموات ؟﴾^(٥)
- ﴿يأأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له .. وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾^(٦)
- ﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه .. وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾^(٧)

وربني «الاقناع العقلي» في القرآن ببيان الدلائل السواطع على قدرة الله .. الأحاد الفرد الصمد ، فهو سبحانه الذي رفع

(١) سورة النحل ١٧ . (٢) سورة الأعراف ١٩١ . (٣) سورة الفرقان ٣ .

(٤) سورة الأعراف ١٩٥ . (٥) سورة فاطر ٤٠ .

(٦) سورة الحج ٧٣ . (٧) سورة الرعد ١٤ .

السموات بغير عمد ، وبسط الأرض وسخر الشمس والنجوم ، وأقام الجبال أوتاداً ، وأنزل الماء ، وأنبث به حدائق ذات بهجة ، فيها فواكه كثيرة .. وهو الذى يحيى ويميت ، وبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، ويعطى ويمنع ، ويقول القرآن فى هذا المعنى الجليل :

● ﴿بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ﴾^(١)

● ﴿اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرَى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(٢)

● ﴿وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسٍ وَأَنْهَاراً﴾^(٣)

● ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾^(٤)

● ﴿وَأَنْزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُم أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾^(٥)

● ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُم النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(٦)

ثم يقدم القرآن بعد ذلك برهان الاستجابة العقلية .. فهو يسأل متعجباً من دعاوى المشركين المبطلين ، ثم يقرر الحقيقة الابدية الأزلية : حقيقة الوحدة الإلهية التى لا يجادل فيها أولو الألباب :

● ﴿إِنِّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ؟ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾^(٧)

● ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ . لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٨)

(١) سورة الأنعام ١٠١ . (٢) سورة الرعد ٢ .

(٣) سورة الرعد ٣ . (٤) سورة العنكبوت ٦٢ .

(٥) سورة النمل ٦٠ . (٦) سورة الأنعام ٩٧ .

(٧) سورة الأنعام ١٠١ . (٨) سورة الأنبياء ٢١ ، ٢٢ .

- ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ .. وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ .. إِذَنْ لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ، وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(١)
- ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذْنٌ لَابْتِغَا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾^(٢)

والقرآن - في سبيل الاقناع العقلي - يحجب على شبهات المبطلين في البعث ، بأقوى حجة ، فيقول :

- ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يَعِيدُنَا ؟ قَالِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٣)
- ﴿وَيَقُولِ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجَ حَيًّا . أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا﴾^(٤)
- ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ .. قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٥)

ثانياً مصدر الإيمان وجداني ..

أما ما يحمله القرآن من «اغراء وجداني» بالعقيدة الاسلامية .. فهو هذا الحديث العجيب .. بل هو هذا الهاتف النفسي الدائم بنعم الله على الإنسان : خلقه في أحسن تقويم .. وصوره فأحسن صورته .. ورزقه من الطيبات ، وهداه في الظلمات ، واتخذ من كل كرب واستجاب له عند كل دعوة .. ووهبه نعمة السمع والبصر والفؤاد ، وجعل له مما خلق ظلالاً .. وجعل له سراويل تقيه الحر ، وأخرى تقيه البرد ، وثالثة تقيه الطعن في الحروب .. فلنستمع إلى

(١) سورة المؤمنون ٩١ . (٢) سورة الإسراء ٤٢ .
(٣) سورة الإسراء ٥١ . (٤) سورة مريم ٦٦ ، ٦٧ .
(٥) سورة يس ٧٨ ، ٧٩ .

هاتف القرآن بالإنسان يناجيه لينجيه ..

- ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك - في أى صورة ما شاء ركبك﴾ (١) ؟
- ﴿لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾ (٢)
- ﴿وصوركم فأحسن صوركم ، ورزقكم من الطيبات﴾ (٣)
- ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد - والنخل باسقات لها طلع نضيد - رزقا للعباد ، وأحيينا به بلدة ميتا﴾ (٤)
- ﴿أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾ (٥)
- ﴿أم من يهديكم فى ظلمات البر والبحر * ومن يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته﴾ (٦)
- ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض﴾ (٧)
- ﴿وما بكم من نعمة فمن الله ، ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾ (٨)
- ﴿أفرأيتم ما تحرثون - أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ..﴾ (٩)
- ﴿أفرأيتم الماء الذى تشربون - أنتم أنزقموه من المزن أم نحن المنزلون﴾ (١٠)
- ﴿أفرأيتم النار التى تورون - أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن

(١) سورة الانفطار ٦ ، ٧ ، ٨ . (٢) سورة التين ٤ .

(٣) سورة الزمر ٦٤ . (٤) سورة ق ٩ ، ١٠ ، ١١ .

(٥) سورة النمل ٦٢ . (٦) سورة النمل ٦٣ .

(٧) سورة فاطر ٣ . (٨) سورة النحل ٥٣ .

(٩) سورة الواقعة ٦٣ ، ٦٤ . (١٠) سورة الواقعة ٦٨ ، ٦٩ .

المنشئون^(١) ﴿

● ﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالاً .. وجعل لكم من الجبال أكنانا .. وجعل لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم﴾^(٢)

● ﴿والذين تدعون من دونه الله لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون﴾^(٣)

في هذه الآيات المباركات يعتمد القرآن لاقرار عقيدته على خطاب وجدان الإنسان وعواطفه .. يذكره فيها بحب الله له ، ورعايته له بشتى النعم والخيرات والأرزاق والقوى والقدر .. وتجميله لخلقته ، ووضعه له فى أحسن تقويم .. وفيها أيضا يلفت نظره إلى أن ما يُدعى من دونه - سبحانه - لا يملك للإنسان - بل لنفسه - نصراً فى حرب ، ولا تفريجاً لكرب ، ولا إجابة دُعاء !!

ثالثاً مصدر الإيمان تاريخي ..

بعد الاقتناع العقلى ، والاغراء الوجدانى .. اللذين يعتمد عليهما الإسلام فى تقرير عقيدته الوثقى - يأتى البرهان التاريخي ، فهو يتحدى المبطلين أن يثبتوا تاريخياً وجود إله أو آلهة ملكت أو فعلت شيئاً مما يفعله ويملكه الله سبحانه .. خَلَقاً وأَمْراً - ويقول القرآن فى هذه المرحلة الأخيرة من قضية العقيدة الإسلامية :

● ﴿أم اتخذوا من دونه آلهة ؟ قل هاتوا برهانكم . هذا ذكر من معي وذكر من قبلى﴾^(٤)

(١) سورة الواقعة ٧١ ، ٩٢ .

(٢) سورة النحل ٨١ .

(٣) سورة الأعراف ١٩٧ .

(٤) سورة الأنبياء ٢٤ .

● ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرؤى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ؟ اتئوى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم﴾^(١)

● ﴿قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله : أرؤى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ؟ أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه﴾^(٢)

● ﴿أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون﴾^(٣)
وبعد : فهذا هو منطق العقيدة الإسلامية ، مستنبطاً من القرآن

ببرهان العقل ، وبرهان الوجدان ، وبرهان التاريخ .

ولذلك نجد الكفار بالدين الإسلامى لا يملكون أية حجة عقلية ولا وجدانية ولا تاريخية لكفرهم .. وقد لجأوا إلى الادعاء بأن ما جاء به الرسول ﷺ : إنما هو سحر ، وثارة زعموا أنه شعر ، وأخرى زعموا أنه أساطير الأولين .

وقد تحداهم القرآن مراراً بقوله : ﴿هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ ولما لم يكن لهم أى برهان عقلى ولا وجدانى ولا تاريخى .. غلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين .

اليهودية بدأت مع موسى

ولم تبدأ بإخوة يوسف

في عدد «الشرق الأوسط» المؤرخ ١٢/٧/١٤٠٣ - ينقل الأكرم الدكتور عبدالحليم عويس خلال دراسته القيمة عن «التعامل

(١) سورة الأحقاف ٤ . (٢) سورة فاطر ٤٠ . (٣) سورة الروم ٣٥ .

مع اليهود في ضوء الفقه الاسلامي» مقولة للدكتور صابر طعيمة -
المتخصص في الدراسات اليهودية والأستاذ بكلية أصول الدين
بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض :

● إن صورة اليهود التي وردت في سورة يوسف قبل توبة الله على
اخوة يوسف .. أى يوم كانوا يهوداً بدون وحى سليم كأبناء عصرنا .
هذه السورة هى خير ما نقتبس منه الفهم الموضوعى للنفسية
اليهودية ، وللمكونات المحركة لها مستمدة في التاريخ ولم تنقطع حتى
الآن .. ولا نعتقد أن في هذه الصورة أى ظلم لليهود .. فهم يعاملون
أخاهم يوسف (الجملة هنا غير تامة !) كما أن حاضريهم لم يظهر
تطور في اخلاقهم ومكوناتهم النفسية - ففي سورة يوسف ترد
الآيات القرآنية عن اخوة يوسف وحقدهم على أخيهم يوسف وفي قوله
تعالى ﴿لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين - إذ قالوا ليوسف
واخوه احب إلى ابينا منا ونحن عصبة .. إن ابانا لفي ضلال مبين﴾
إلى قوله تعالى : ﴿قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل ،
والله المستعان على ما تصفون﴾ .

ثم عقب الدكتور عويس على مقولة الدكتور طعيمة بقوله : (ففي
هذه الآيات الجامعة بيان شامل وفاصل لأخلاق اليهود ونفسياتهم
التي يجب أن نعتمد عليها في تعاملنا معهم ...) !

وقبل ذلك وفي عدد «عكاظ» المؤرخ ٢٧/٦/١٤٠٣ هـ جاءت
في صفحة الفكر الاسلامي التي يشرف عليها الدكتور أحمد
الجنيدل - مقالة للأخ محسن عبدالمنعم رضوان تحدث في مقدمتها
عن اخوة يوسف ، فوصفهم بأنهم أشرار يجتمعون معاً ليظهروا

حقدهم وحسددهم نحو يوسف وشقيقه بنيامين - قال تعالى : ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ۚ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ - ثم أضاف قوله - وهؤلاء هم آباء اليهود ينكرون على أيهم هذه العاطفة الطبيعية المحبولة في فطرة كل أب وكل أم نحو الصغار من ابنائهما - وهذا القانون غير الأخلاقي هو الذي يحرك اليهود في كل زمان ومكان .. الخ .

ومقالة الأخ رضوان طويلة ، وهي حلقات متتابعة باسم (أخلاق اليهود كما تتجلى في سورة يوسف) وهو يرد كل مساوئ اليهود عبر تاريخهم الطويل إلى أخوة يوسف ، ويحملهم كل أوزارهم ، ويجعهم أصلاً لأشرارهم !!

* * *

والحقيقة التاريخية ، والصورة القرآنية صريحتان كل الصراحة ، وواضحتان كل الوضوح في تأكيد براءة أخوة يوسف من مساوئ اليهود ومخازيهم .

وعداوة اليهود لنا ، وكراهيتنا إياهم يجب أن لا نحملنا على تجريم الأبرياء من جلودهم - فالله تبارك وتعالى يؤدبنا أدباً عالياً إذ يقول في سورة المائدة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلْقَوِّىِ ۖ﴾

وحسبنا نتأكد من عداة اليهود الشديد للإسلام ورسوله وكتابه ، وللمسلمين عامة قول الله عز وجل - في السورة نفسها - : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ

اشركوا... ﴿ثم ما قصه علينا القرآن من مواقفهم الخزية المتعددة مع نبي الله موسى عليه السلام.. حيث قالوا له مرة : ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾ - وقالوا تارة أخرى : ﴿أرنا الله جهرة﴾ وقالوا ثالثة : ﴿لن نصبر على طعام واحد...﴾ وقالوا رابعة : ﴿إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾ الخ .

كما أن السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي اثبتا لنا كيف عاملهم نبي الاسلام ﷺ خلال اقامتهم معه بالمدينة معاملة الجار للجار عدلاً واحساناً .. فقابلوه بالغدر والخيانة ، ونقض العهد ، والتآمر عليه وعلى الاسلام والمسلمين مع المشركين في مكة ، والمنافقين في المدينة الخ .

* * *

أما أخوة يوسف عليه السلام فهم أبرياء مما اتصف به اليهود من أخلاق لعنهم الله بسببها وغضب عليهم ، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت .

● والقرآن صريح في إثبات هذه البراءة لأخوة يوسف - (فاولاً) : يقول الله عز وجل : ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً . ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين﴾ وهو يرد بذلك على دعواهم ، فقد ادعت اليهود أن إبراهيم كان يهودياً ، وادعت النصارى أنه كان نصرانياً .

ويكرر القرآن تكذيبه لليهود والنصارى في دعواهم المنكرة هذه بصورة أوسع تشمل ذريته أولاداً وأحفاداً ، وذلك في قوله عز وجل : ﴿أم تقولون إن إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب

والأسباط كانوا هوداً أو نصارى - قل أنتم أعلم أم الله . ومن أظلم
من كتم شهادة عنده من الله .. ﴿١﴾

والأسباط في هذه الآية - وفي آيات أخرى سيرد ذكرها فيما
بعد - هم أبناء يعقوب الاثنا عشر أى يوسف واخوته : بنيامين
شقيقه .. والعشرة الآخرون .

(ثانياً) : إن الله تبارك وتعالى يأمر نبيه محمداً ﷺ ويأمرنا نحن
المسلمين معه في آيتين متشابهتين من سورة البقرة وسورة آل
عمران - الأولى بدأت بقوله (قولوا) والثانية بقوله (قل) وتنام
الآيتين : ﴿آمنا بالله وما انزل إلينا وما انزل إلى إبراهيم وإسماعيل
واسحاق ويعقوب والأسباط ..﴾ وجاء في الآية الثانية قوله (علينا)
بدلاً من (إلينا) في الآية الأولى - والمعنى واحد ..

فالأسباط هنا - في الآيتين - هم أبناء يعقوب : يوسف
واخوته . ولذلك اختلف العلماء في القول بأنهم كانوا أنبياء أم لم
يكونوا .. والقائلون بنبوتهم يرون أن خطأهم في حق أيهم وفي حق
أخيهم يوسف كان قبل النبوة ، وقد تابوا بعد ذلك ، وهو أمر لا
يستحيل في حق الأنبياء .

● قلت : هنا أقف لحظة لأضيف إلى حجة القائلين بنبوة أخوة
يوسف استناداً إلى صريح الآيات القرآنية - أن موسى عليه السلام
قبل أن يوحى إليه ارتكب خطأ عندما قتل القبطى .. ثم استغفر الله
فغفر له . وقد قال كثير من المفسرين إنَّ آدم عليه السلام خالف أمر

(١) سورة البقرة ١٤٠ .

الله ، وأطاع الشيطان في الأكل من الشجرة قبل أن ينبأ ، ثم استغفر الله فغفر له وتاب عليه .

وهناك آية أخرى في سورة النساء تؤكد ما جاء في سورة البقرة وسورة آل عمران من أن الأسباط كانوا أنبياء - وهي قوله عز وجل ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً﴾ .

أما المعارضون للقول بنبوة أخوة يوسف فحجتهم أن الأنبياء معصومون من الأخطاء مطلقاً .

* * *

وسواء أكان (الأسباط) أخوة يوسف أنبياء أم لم يكونوا - فالمتأكد الثابت الذي يجب على المسلم علمه وفهمه والتسليم به : أن أخوة يوسف لا علاقة لهم (باليهودية) وإن كانوا من حيث الأصل أجداداً لبني إسرائيل .. بل إن الجدل الحقيقي لليهود والعرب معاً هو إبراهيم عليه السلام ، فهو والد إسماعيل جد العرب ، ووالد يعقوب جد اليهود ، ولذلك سمي (إسرائيل) وسمى نسله (بنى إسرائيل) . وقد برأ القرآن إبراهيم وإسماعيل ويعقوب والأسباط من ما ادعته اليهود أنهم كانوا على ملتهم اليهودية ، ووصفهم القرآن بأنهم كانوا حنفاء مسلمين ، وغير مشركين بالله شيئاً .

بل أكثر من ذلك أثبت القرآن - في سورة البقرة - أن يعقوب عليه السلام جمع أبناءه عندما حضره الموت .. يريد أن يتأكد من أنه سوف يتركهم على ملة جدهم إبراهيم عليه السلام : ﴿أما كنتم

شهداء إذ حضر يعقوب الموت ، إذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدى ؟ قالوا نعبد آلَهك وآلَه آبائك إبراهيم واسماعيل واسحاق ، آلَهاً واحداً ، ونحن له مسلمون^(١)

● فكيف يقال إن (الأسباط) أبناء يعقوب كانوا أشراراً - كما جاء ذلك في مقالة الأخ محسن رضوان - أو يقال : أن قصة أخوة يوسف هي سبيل فهم النفسية اليهودية ، والمكونات المحركة لهم الممتدة في التاريخ ، ولم تنقطع حتى اليوم - كما جاء في مقولة الدكتور طعيمة !؟

أعتقد أن في القول بذلك مؤاخذه دينية عقائدية لكل من الدكتور طعيمة والأخ رضوان - بعد أن رأينا القرآن صريحاً في أمرنا بالإيمان بما أنزل إلى إبراهيم وأبنائه وأحفاده (الأسباط) أبناء يعقوب ، ورأيناه صريحاً في اخبارنا بأن الله عز وجل أوحى إليهم كما أوحى إلى النبيين الآخرين - ورأيناه صريحاً أيضاً في إجابتهم لأبيهم يعقوب : ﴿نَعْبُدُ آلَهَكَ وَآلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ .. آلَهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾ !

وكذلك رأينا القرآن صريحاً في تكذيبه لمزاعم اليهود والنصارى بأن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً ، وتكذيبه مرة أخرى هذه المزاعم بعد أن شملت أبنائه وأحفاده (الأسباط) أبناء يعقوب أخوة يوسف - ذلك لأن (اليهودية) والنصرانية لم تعرفا إلا بعد هؤلاء ، ولم يطلق عليهما هذان الأسمان إلا بعد بعثة موسى إلى اليهود وبعثة

(١) سورة البقرة ١٣٣ .

عيسى إلى النصارى .. وقد تحدت أخلاق كل من الطائفتين وعرفنا
بالأنحراف والتحريف للتوراة والانجيل بعد ذلك .

ويؤكد هذه الحقيقة التاريخية أن القرآن بعد أن نفي اليهودية
والنصرانية عن إبراهيم وأبنائه وأحفاده (الأسباط) أخوة يوسف -
اتبع هذه الآية بآية أخرى هي قول الله عز وجل : ﴿تلك أمة قد
خلت .. لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ، ولا تسألون عما كانوا
يعملون﴾ أى أن إبراهيم وبنيه وحفدته الأسباط أخوة يوسف قد
مضوا إلى ربهم بسلامة قلوبهم ، وإخلاصهم في غرضهم . وانقطعت
النسبة والصلة بينهم وبين من جاء بعدهم من يهود أو نصارى ،
فتنكب طريقهم ، ولم يتبع منهجهم ، ولم يعتقد ملتهم ، وهي
الحنيفية المسلمة .

أما ما جاء في قصة يوسف .. وموقف اخوته منه ، ومن أبيه
يعقوب عليه السلام ، فهو أمر عادي يقع بين الأخوة غير الأشقاء
حين يميز الأب بعض الأبناء على بعض فتنشأ الغيرة في قلوب هؤلاء
الذين يرون أنفسهم أنهم مظلومون من قبل أبيهم ..

وقد عفا عنهم أخوهم يوسف : ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر
الله لكم﴾ كما عفا عنهم أبوهم يعقوب : ﴿سوف استغفر لكم ربي
إنه هو الغفور الرحيم﴾ وقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه
آخر الاستغفار لهم إلى وقت السحر ، لأنه وقت الاجابة .

وما جاء في القصة من قولهم لأبيهم : ﴿إنك لفي ضلالك
القديم﴾ لا يعنون بالضلال عكس الهدى ، وإنما يعنون به الخطأ ..
أى الخطأ في تمييزك يوسف وبنيامين علينا لأنك ما زلت تبحث عنهما

ولم تستغن بنا وتكتف .
ذلك انهم يعلمون علم اليقين أن أباهم يعقوب نبى ابن نبى ابن
نبى ، ولا يتصور وصفهم له بأنه على غير هدى .

خطاب القرآن لأهل الكتاب خطاب للمسلمين أيضاً

عندما نجد القرآن الكريم يوجّه فى طائفة من آياته الخطاب أو
النداء إلى غير الأمة الإسلامية كقوله : ﴿يا أهل الكتاب﴾ أو
كقوله : ﴿يا بنى إسرائيل﴾ فهو لا يخص بتوجيهه أو موعظته أو
قصده القوم المنادين وحدهم . ولكنه يذكر واقع النعمة أو واقع
النقمة ، ويشرح حقيقة الأمر ، أو حقيقة النهى بالنسبة
للمخاطبين ، وهو فى الوقت نفسه يعمّ الأمم جميعاً بلفت نظرها إلى
ما يستنبط من قصص وتجارب المخاطبين من عظة واعتبار .
فالقرآن الكريم عندما ينادى بنى إسرائيل بقوله : ﴿أذكروا
نعمتى التى أنعمت عليكم ، وأوفوا بعهدى أوفى بعهدكم﴾ إنما ينبّه
الأمة الإسلامية التى اختصها الله بشرف إنزاله هذا الكتاب عليها -
إلى تجارب بنى إسرائيل الماضية ، وإلى ما مرّ بهم من أحداث
وعبر ، وإلى عاقبة نقضهم لعهد الله ، وكفرانهم بنعمته .. هذه
العاقبة التى هى من جنس أعمالهم ، نسوا الله فأنساهم أنفسهم ،
وتخلت العناية الإلهية عن عبدهم بنصرهم وتأيدهم وإسعادهم .
ومن عجب أن يتجرأ بعض (العلماء) وأحرّ بنا أن نسميهم
(جهلاء) فيزعمون أن ما خوطب به أهل الكتاب من اليهود

والنصارى وما خوطب به غيرهم من وثنيين وجاهليين فى القرآن الكريم من تجارب ومواعظ .. لسنا نحن الأمة المحمدية مسؤولين عن الاعتاظ به ، والاعتبار منه .

وهذا (الإلحاد) فى آيات من القرآن الكريم لا يعنى أن هؤلاء العلماء بل (الجهلاء) الذين اجتروحوه ضللاً منهم على علم .. قد صرفوا مقاصد كلام الله عن وجهتها الصحيحة ، فأضلوا الأمة الإسلامية ، وغرروا بها ، وأملوا لها فى اللهو والهوان لا يعنى ذلك فقط ، بل يضيف إليهم أنهم جعلوا كلام الله - وحاشاه - لغواً وعبثاً ليست فيه للمسلمين الذين نزل عليهم عبرة ولا موعظة ولا ذكرى من تجارب الغابرين ، وعواقب المخالفين .

أى جرم يرتكب فى حق الأمة الإسلامية وفى حق كتابها العزيز أكبر من جرم إضلالاتها ، والإملاء لها فى اللهو والسهو ! ومن جرم تعطيل الحكمة التى نزل من أجلها القرآن الكريم على نبيها - عليه الصلاة والسلام - ليبين لها قصصه ومواعظه وأحكامه ؟ يقول الله سبحانه وتعالى :

● ﴿كذلك أرسلناك فى أمةٍ قد خلت من قبلها أُمم لتتلو عليهم الذى أوحينا إليك﴾^(١)

● ﴿إن هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون﴾^(٢)

● ﴿تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزَّين لهم الشيطان أعمالهم ،

(١) سورة الرعد ٣ .

(٢) سورة النمل ٧٦ .

فهو وليهم اليوم ، ولهم عذاب أليم . وما أنزلنا عليك الكتاب إلا
لتبين لهم الذى اختلفوا فيه ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴿١﴾
● ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى
للمسلمين﴾ (٢)

فهذه الآيات القرآنية الكريمة المحكمة تؤكد تأكيداً لا مجال بعده
لمرتاب فى نفسه ، ولا لمريب لغيره : أن القرآن الكريم إنما نزل
بأخبار الأمم الغواير ، وقصص الأنبياء والرسل السابقين ، لتتعظ
بعواقب اختلافهم على الأنبياء ومخالفتهم لوحى السماء ، وهو
بذلك تبيان لكل شيء .. من حق وباطل ، وخير وشر ، وإثم
وبر ، ومعصية وطاعة ، ولن يكون كتابٌ هذا شأنه وهذه رسالته ،
ولن يكون كتابٌ هذا شأنه وهذه رسالته ، هدى ورحمة وبشرى
هدى ورحمة وبشرى للمسلمين - كما وصفه منزله سبحانه - إلا إذا
كان مفروضاً له أن يتبع ويضاع . ويتخذ موعظة وذكرى .

إن المفروض فى القرآن الكريم ، وهو مرجع الدين الاسلامى
الأول والأصيل : أن يؤخذ جملة واحدة ، فيؤمن به كله ، ويتبع
كله ، ويكفى للأخذ بهذه النظرية الصحيحة : أن الله سبحانه وعظنا
فى القرآن نفسه بمخالفة بنى إسرائيل لهذه النظرية بما اتخذوه من
سبيل مذنبية بين الإيمان ببعض التوراة ، والكفر ببعضها الآخر ،
 وإقامتهم للحدود على الجناة الضعفاء والفقراء ، واعفاء السادة
والكبراء منها إذا وجبت عليهم .

(١) سورة النحل ٦٣ و ٦٤ .

(٢) سورة النحل ٨٩ .

مسؤولية العهد بين الخالق واخلوق :

ولنعد إلى الآية القرآنية التي نريد أن نتعظ بها وهي قوله سبحانه : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ، وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفَ بِعَهْدِكُمْ﴾ ولتدبر الشطر الأخير منها ، فهو المقصود بمحدثنا ، وله أشباه ونظائر في مواضع أخرى من القرآن الكريم .. كقوله تعالى : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ وقوله عز وجل : ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ، وَتَنْتَصِرُوا لَهُ فَاكْفُرُوا﴾ فهذا المعنى الكريم الذي تتحد هذه الآيات القرآنية في تقريره في صور مختلفة ..

قد تغافل عن فهمه وإدراكه كثير من المسلمين ظانين أن الأمر لا يعينهم ، وأن الآيات تتحدث عن غيرهم ، وأن السعيد من لم يتعظ بغيره خلافاً لمنطق المثل الصحيح : (السعيد من اتعظ بغيره) . وكيف يستقر في ذهن عاقل أن من حق أحد المتعاقدين على أمر أن يطالب بنصيبه من المعاهدة دون أن يكون لخليفه نفس هذا الحق ؟ والله وصفاته المثل الأعلى - والله الخالق الرازق أحق أن يُوفى بعهده .. ويُحفظ ميثاقه الذي واثق به عباده . ولئن عجز أحد الخليفين من البشر عن أخذ نصيبه المغتصب من المعاهدة ، فالله أقدر ، أو نسي حقه المهمل فالله أذكر ، أو خودع وغدر به ، فالله علام وذو انتقام .

* * *

إن الله حين يقول ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفَ بِعَهْدِكُمْ﴾ ويقول ﴿أَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ يتلطف سبحانه ويتعطف بعباده فيطالبهم بمثل ما يوجبهم - مثلاً منه وكرماً ، على نفسه ، ويزيدهم تعظفاً وتلطفاً

فيسألهم - وهو الغنى عنهم - أن يقرضوه قرضاً حسناً . ويعدهم
بالوفاء الجميل . والجزاء الجزيل ..

فهل ذكر المسلمون ربهم ، ذكروا وعده ووعيده ؟ وهل أوفوا
بعهده فعرفوا محابته ومساخطه ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ؟
وأقاموا الحدود ؟ ونصبوا المعالم ؟ واجتنبوا المحرمات ؟ وحكموا بما
أنزل عليهم من كتاب وحكمة ؟ .

إنهم إن فعلوا ذلك ذكرهم الله بنصره وتأييده ، وأوفى بعهده
معههم فجعل لهم نوراً في أبصارهم ، وقوةً وعزماً في قلوبهم
وجوارحهم ، وعزة في رؤوسهم ونفوسهم .. وظاهرهم على
عدوهم ، وجعلهم خلفاء الأرض يملأونها سلاماً وعدلاً ، وإن لم
يذكروا الله ، ولم يفوا بعهده ، فلن يذكرهم ولن يفي بعهدهم .
وحسبنا تأكيداً لواجب الوفاء (بالعهد بين الخالق والخلق) قول
الله تبارك وتعالى موجّهاً للأمة الإسلامية نفسها : ﴿يا أيها الذين
آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾^(١)
ونتابع تأملاتنا للآية نفسها .. لأن الله سبحانه وقضايها تهم
المسلمين أيضاً ..

إن نعم الله على بني إسرائيل كانت كثيرة وفيرة ، فقد فجر لهم
الماء العذب من الحجر الأصم ، وأنزل عليهم المن والسلوى ،
ونجّاهم من سبيعد فرعون واستذلّاه إياهم . وجعل فيهم أنبياء
وجعلهم ملوكاً وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين في زمانهم .

(١) سورة الأنفال ٢٧ .

وهو هنا عندما يناديهم باسم أبيهم (يعقوب) ابن إبراهيم عليهما السلام فيقول : ﴿يا بني إسرائيل﴾ إنما يريد إثارتهم بتذكيرهم بأبيهم النبي الكريم .. ليكونوا كراماً مثله وصالحين على طريقته . كما يدعو أحدهما شاباً فيقول له : يا ابن فلان العالم ، أو يا ابن فلان الكريم ، أو يا ابن فلان الشجاع .. فهو يستحثة ليكون مثل أبيه عالماً أو كريماً أو شجاعاً^(١)

والعهد المتبادل بين الله عز وجل وبني إسرائيل توضحه آية أخرى من سورة المائدة : ﴿وإذ أخذ الله ميثاق بني إسرائيل ، وبعتنا منهم اثني عشر نقيماً ، وقال الله إني معكم .. لئن أقمتم الصلاة .. وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزضتموه ، وأقرضتم الله قرضاً حسناً - لا تكفرون عنكم سيئاتكم ، ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار ..

وقد نقضوا العهد .. فلم يؤمنوا ببعيسى عليه السلام لما بعثه الله إليهم مصداقاً لموسى عليه السلام ، ومعه الانجيل مصداقاً للتوراة ، بل كفروا به وكذبوه ، وافتروا عليه وعلى أمه مريم الصديقة الأباطيل ، ثم حاولوا أن يقتلوه ، فرفعه الله إليه .. ووقفوا الموقف نفسه مع نبينا محمد ﷺ تكذيباً لرسالته ، وتآمراً بقتله ، وإثارة للفتن ، وتأيداً للمشركين في مكة والمنافقين في المدينة .

مع انهم والنصارى يجدونه - أي محمداً عليه الصلاة والسلام -

(١) عن ابن كثير بتصرف ج ١ ص ٨٢ .

(٢) سورة المائدة ١٢ .

مبشراً به في التوراة والانجيل ، وقد أخذ الله عليهم الميثاق بأن ينصروه ويعزروه - يقول تبارك وتعالى في سورة الأعراف : ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل .. يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحلُّ لهم الطيبات ، ويحرِّم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ (١) .

ولذلك بعد أن يذكرهم بنعمه الكثيرة التي لم يشكروها ، وبعهودهم التي لم يحفظوها - يدعوهم في الآية التالية إلى الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن الكريم ، والا يكونوا أول من يكفر به في الوقت الذي يجب عليهم أن يكونوا أول المؤمنين برسالته ، لأنهم ليسوا كغيرهم من المشركين الذين لم تنزل عليهم توراة ولا انجيل ، ولم يرسل إليهم موسى أو عيسى ، ولذلك فهم يجهلون حقيقته . أما اليهود والنصارى فهم على علم وبينة من أمر محمد ورسالته . وقد أخذ عليهم العهد أن يؤمنوا به إذا أدركوا زمانه ، واستمعوا قرآنه : ﴿وآمنوا بما أنزلت مصداقاً لما معكم ، ولا تكونوا أول كافرين به ، ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ، وإياي فاتقون . ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون . واقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ .

ومع هذا التذكير بالعهد ، والدعوة إلى الإيمان بالرسول المصدق لموسى وتوراته ولعيسى وانجيله ، والتحذير من الكفر به ،

(١) سورة الأعراف ١٥٧ .

ومن لبس الحق بالباطل ، وكنتم ما يعلمونه من حقيقة نبوة محمد ﷺ - فإنهم كفروا بنبوة محمد ﷺ ، وبالقرآن المصدق لتوراتهم ، ولم يقيموا الصلاة ولم يؤتوا الزكاة ..

* * *

وأخيراً يأتي التفرع الإلهي لأحبارهم وعلمائهم - وهو عام لكل من يأمر ولا يأتمر ، وينهى ولا يتبى - في قول الله عز وجل : ﴿اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ، وأنتم تتلون الكتاب ؟ أفلا تعقلون ؟﴾ .

ولئن وجه القرآن الكريم هذا التوبيخ لليهود لأنهم يأمرون بالمعروف ولا يأتمرون به - فقد وجه أيضاً مثله للمسلمين المخالفين في قوله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ؟ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعَلُونَ﴾^(١) .

والقرآن عندما يقف هذا الموقف الحازم في تربية المسلمين على الاستقامة قولاً وخلقاً .. إنما يريدهم ألا يقتدوا باليهود ، ولا يسلكوا سلوكهم الخبيث ، بل يدعُوهم إلى أن يكونوا عمليين في إيمانهم وإسلامهم : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ، وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ فع الصدق في القول لا بد من الصدق في العمل .. إذ لا قيمة لتقوى بالنية واللسان ما لم يصدقها السلوك النفسي والتعامل الجماعي .

يقول الإمام الشافعي - رحمه الله - إن الاجماع من الصحابة

(١) سورة الصف ٢ ، ٣ .

والتابعين ومن بعدهم ، ومن أدركناهم يقولون : إن الإيمان قول وعمل ونية ، ولا يجزى واحد من الثلاثة إلا بالآخر .

المسألة الجنسية ...

وامرأة نوح - وامرأة لوط وبناته

المسألة الجنسية في كتاب (هذا أو الطوفان) للأستاذ خالد محمد خالد - أجهد المؤلف نفسه وأتهك فكره ، وأطال لسانه ، وأضنى قلمه .. في سبيل بحثها وتحقيقها ، وفي سبيل الدعوة الحارة إلى الاختلاط المطلق بين الفتيان والفتيات ، وتبادل عواطف الحب والغرام ، وإنشاء العلاقات والصداقات بين الجنسين في حرية تامة بعيداً .. وبعيداً جداً عن الزواجر : «عيب» و «حرام» الخ .^(١)

«فالتربية الحديثة - يزعمه - تقوم على استبعاد التحريم ، ورفع نيره عن النفس الإنسانية ما وجد إلى ذلك سبيلاً» ص ٨٢ .

«والصمت الذي يلتزمه البيت والمعهد والمجتمع إزاء المسألة الجنسية يزيد الهوة بيننا وبين الفضيلة اتساعاً ، وقد أدرك ذلك كثير من الأمم الناهضة فشرعت تلجّن أبناءها الصغار والكبار ما لا بدّ أن يعرفوه من ذلك الخ ص ١٢١ .

ونرد على المؤلف «الفاضل» :

● أولاً : برأى الأستاذ فريد أبو حديد مستشار وزارة التربية

(١) تمسّلت كتب آخر عنوانه (من هذا بدءاً) صدر في الفترة التي سنة ١٩٥٢ م . وهو يدعو فيه إلى مزيد من التحرر والاعتناق عن القيم والمثل الإسلامية .

والتعليم في مصر . في هذه المسألة «بأن يترك للشبان والشابات معرفة الحقائق الجنسية لطروفها التي ستفاجؤهم في أوانها» .

● وثانياً : نسأل المؤلف : ماذا أفادت الأمم الناهضة التي لقنت صغارها وكبارها المسألة الجنسية ؟ غير هذه «الإباحية» التي لم يعد معها لأعراض الفتيات والزوجات حرمة ترعى ، ولم يعد للبيوت والأسر شرف يراق في سبيله الدم ؟ .

أو لم يسمع المؤلف أبناء الحملة الأخلاقية التي تزعمها الأساقفة الكاثوليك في اسبانيا ، ونادوا فيها بالامتناع عن مشاهدة الأفلام والروايات الخلة بالآداب العامة ، وعدم ارتداء المايوهات والملابس الرياضية العادية ، وعدم ارتياد الحمامات التي تجمع بين الذكور والإناث - والابتعاد عن المراقص التي لا تراعى الأخلاق العامة - ومقاطعة الكتب التي تتحدث بما يخالف التعاليم الدينية ؟ .

ثم ألم يسمع بابا روما ، وهو يوجه ندائه بأن خروج السيدات في الملابس الحديثة .. إلى الشواطئ والأماكن العامة ودور العبادة ، أصبح مأساة يندى لها الجبين ، ويتوقع منها الخطر الجسيم على أخلاق الشباب ؟ .

كذلك ألم يقرأ أبناء مناداة الأمهات الأمريكيات بفصل البنات عن البنين في المدارس والجامعات - حياءً لهن من الاختلاط بالذكور وما يتأدى عنه من اقتحام للحمى وانجاب لأولاد الزنا ؟ !
● وثالثاً : نتحداه أن يذكر أمة واحدة - في التاريخ القديم أو الحديث - قام بين رجالها ونسائها تجاوب نظيف طاهر بعيد عن رابطة الزواج الشرعي - كما يريد أن يقوم بيننا هذا الحب العذرى

الجماعى المزعوم ؟ .

* * *

ويزداد المؤلف اعتزازاً بانتمائه الغربية ، وانخداعاً بقشورها العلمية فيزعم «أن المجتمع الانفصالى - الذى لا يختلط فيه النساء بالرجال - يشيع فيه الشذوذ الجنسى بنسبة ٨٥٪ بين الرجال و ٦٥٪ بين الأناث» ص ١٢٤ .

وهو كلام من الوجهة الواقعية كذب وافتراء ، وهذا المجتمع الانفصالى الذى يذكره المؤلف خير من مجتمعه الذى نقرأ فى صحفه كل صباح عن الفضائح الجنسية ، والخianات الزوجية ، ما تفرع له الأفئدة ، وتندى له الجباه !

أما من الناحية العلمية التجريبية فإن إباحة الاتصال بين الفتيان والفتيات لا يمنع الشذوذ الجنسى أو يحول دون وجوده ... فالشذوذ الجنسى موجود فى بعض الدول الأوربية المتقدمة الناهضة - يزعم المؤلف - الظافرة بأقسط وافرة من الثقافة والسياسة ، وهو شائع أيضاً فى المجتمع الأمريكى المتقدم علمياً وصناعياً وزراعياً .. حتى سلط الله عليهم وباء «الايذز» وأعجزهم عن معالجته والشفاء منه ! مع أن المرأة هناك .. فى أوروبا وأمريكا .. خالعة لباس العفة والحياء ، حتى أن الرجال والنساء يلتقون اللقاء الجنسى الطبيعى فى حدائقها العامة ، ولا رقيب عليهم ولا حسيب من رجال الشرطة أو رجال القانون .

وتفسير هذه الظاهرة فى أوروبا وأمريكا أن الرجال من كثرة عرض النساء لمفاتنهن ومحاسنهن انصرفوا إلى شىء جديد ، أو شىء

ممنوع .. وهو التقاء الرجال بالرجال .

وقد عالج «هتلر» هذه العلة الاجتماعية عندما تولى زعامة ألمانيا ، بسياسة الفتك بمرضى الشذوذ الجنسي في غير رحمة ولا لين ..

ولقد كان «سلامة موسى» يحزنه أن يموت دون أن يرث أدبه الاباحي وارث .. فليطمئن الآن بوجود الوارث الذي يروقه ويفوقه - ونقول : يفوقه لأن سلامة موسى مسيحيّ الديانة وهو يبث دعايته الإباحية باسم الحرية الفكرية والتقدم العصري ، أما خالد محمد خالد ، فهو مسلم الديانة و «من علماء الأزهر» وهو ينشر أدبه ، وأفكاره بإسم التوفيق بين العلم والدين ، ويخطب في فهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وتأويلها بخط عشواء لا عقل فيه ولا ذكاء ويهتف بأعلى صوته : خذوا عنى العلم والأدب والحضارة ، وخذوا هذا ، أو الطوفان في انتظاركم^(١)

لوط قدم بناته للنكاح لا للسفاح ..

وفي ص ١٠٠ و ص ١٠١ يقول خالد محمد خالد «كان على رأس فضائل الناس أن تقدم لأضيافك زوجتك أو بنتك ، ولعل هذا يفسر قول نبي الله لوط عليه السلام لقومه حين هاجموا داره ليفتكوا بضيوفه فتكاً جنسياً - «هؤلاء بناتي هن أطهر لكم» فأين

(١) من تناقضات خالد محمد خالد إنه يكتب في المجلات النسائية والجرائد السياسية متحرراً من المبادئ والقيم الإسلامية ، وفي الوقت نفسه يكتب مقالات في جريدة «المسلمون» في تفسير بعض آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ بأسلوب يتأكي فيه على حال المسلمين الذين ينحرفون عن صراط الإسلام !

هذه الفضيلة اليوم ؟»

ونحن لا ننكر أنه كانت هناك في فترة من تأريخ الإنسان الموغل في القدم ، أو من تأريخ طفولة الإنسان - تقاليد اجتماعية منها أن يقدم المرء بنته أو زوجته لضيفه !! ولكننا لا نسميها «فضيلة» كما سمّاها خالد محمد خالد .. إلّا إذا جاز لنا أن نسمي «فضيلة» نفس هذا «التقليد» الاباحي الذي نراه اليوم في صورة مزيفة مزوقة بزخرف الحضارة الحديثة المفتراه ، عندما يقدم المرء الديوث زوجته وابنته أو أخته لرجلٍ ما أو رجال ، طمعاً في منصب رفيع أو جاه عريض أو جرباً وراء تبادل الصيد .. زوجة بزوجة أو أختاً بأخت .. كما هو واقع اليوم في البلدان الغربية التي يموت المؤلف غراماً بحضارتها ومدنيتها وعلومها وأخلاقها ، وفي بعض البلدان الشرقية التي سرت إليها العدوى . ولحقها التيار ! .

وهكذا نرى - ويرى المؤلف معنا إن لم يكابر - أن «الإنسانية» تعود لطفولتها أو همجيتها الأولى ، وليس هنالك من فارق أو اختلاف إلّا في إطار الصورة وغلاف الكتاب أما الصورة وأما الكتاب فهما كما كانا من قبل ! .

ومع ذلك فلن نسمي فعلة الديوث «فضيلة» كما سمّاها المؤلف ، سواء أرجعنا بتاريخنا إلى جاهلية الإنسانية وهمجيتها الأولى ، أم عدنا بتاريخنا إلى القرن العشرين الذي نعيش فيه . ومن ثمّ يتبين كم يحنى خالد محمد خالد على نبي الله لوط عليه السلام ، حين يفترى عليه أنه قدم بناته كما يفعل الديوث بلا اختلاف !

وهو في الوقت نفسه يخطيء فيه آيات القرآن التي قصت علينا خبر لوط وقومه وضيوفه من الملائكة الأطهار والفارق بين الفعلتين بعيد .. فلفعلة الديوث أسبابها وأغراضها التي أوضحناها ، ولفعلة لوط عليه السلام ، أسبابها وأغراضها التي نوضحها فيما يلي :

لقد ابتلى لوط بقوم يأتون الذكران من العالمين ، وهي فاحشة ما سبقهم بها أحد من الأمم الغواير كما أخبر القرآن ، ولقي لوط من عنتهم ما لقي ، وضاق بهم ذرعاً ، وحين أخفق في هدايتهم إلى السبيل القويم بعث الله إليه وفداً من الملائكة لمحدثته في شأنهم ، وتدبير الانتقام منهم ، واشعاره بكيفية نجاته وأهله - إلا إمرأته - مما سينزل بهم من عذاب غليظ ..

ولكن قوم لوط - وهم في سكرة حيوانيتهم يعمهون - اقتحموا عليه داره ، يريدون نيل ضيفه من الملائكة الكرام - الذين جاءوا في صورة فتيان صباح - وهي جرأة بالغة مدى القحة إلى أقصاه ، فهم لم يكتفوا بأن عصوه وخالفوه ، ولم يؤمنوا برسالته ، ولم يسمعوا نصحه بترك الفاحشة - فزادوا بالجرأة عليه - والهجوم على ضيفه لفعل ما نهاهم عن فعله !!

وزجرهم لوط .. قال : ﴿هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾ ^(١) ولا ريب في أنه عليه السلام وهو المصطفى - رضى الله عنه - أراد منهم أن يتزوجوا بناته ، ليصرفهم عن ضيفه ، وليحوّلهم من الطريق القذر إلى الطريق الطاهر النظيف .

(١) سورة هود ٧٨ .

أو أراد بذلك «بنات أمته» على المجاز كما ورد عن أزواج نبينا عليه الصلاة والسلام : ﴿وَأَزْوَاجَهُ أَهْلَهُمْ﴾^(١) وغرضه في كلتا الحالتين النكاح ، لا السفاح .. كما يزعم المؤلف استقاء من التوراة المحرفة ، إذ لا يعقل أن يحدث هذا من أى رجل صالح فضلاً عن نبي اصطفاه الله لهداية قومه ، كما لا يصح أن يعبر عنه بأنه أظهر لهم ، فغسل الدم بالبول ليس من الطهارة في شيء ، بل الذنب في هذه الحال أكبر ، لأنه أمر بالمتكر ، وخروج عن الحكم الشرعي^(٢) .

المرأة المسلمة جوهر مصون :

وفي ص ١١٩ يزعم المؤلف أن «المرأة في الشرق لا تزال سلعة تشتري بالمال في صورة نكاح شرعي ، أو في صورة سفاح محظور» !

والمرأة في كل زمان وكل مكان - في الغرب والشرق معاً - إما أن تلتم إلى نصفها الآخر في صورة نكاح شرعي يصون عرضها من التهتك والابتذال ، أو في صورة سفاح محظور مؤقت تسقط به كرامتها وشرفها ، وليس وراء ذلك مقام ثالث بين هذين المقامين - فإذا يعنى المؤلف إذن ؟ .

إن الاسلام كرم المرأة بما لم يكرمها دين .. وهى بين المسلمين جوهر مصون ، وبيض مكنون ، لا تعرف شيئاً اسمه «صديق

(١) سورة الأحزاب ٦ .

(٢) يراجع تفسير المنار - وعصمة الأنبياء للرازي .

الأسرة» .. كما تعرفه المرأة في أوروبا وأمريكا ، ولولا أن أطبل ، في غير احتياج شديد ، لفصلت تكريم التشريع الاسلامى لشخصية المرأة وحقوقها ومهمتها في الحياة .. (١) .

نصح الرسول غير ملزم !

وفي ص ١٣٥ أورد المؤلف الحديث النبوى (.. من لم يستطع منكم الباءة فعليه بالصوم فإنه له وجاء) وقال إنه نصح غير ملزم مثل نصحه عليه الصلاة والسلام لأصحاب النخيل حين مر بهم وهم يؤثرونه ، فقال : «لو تركتموه بغير تأثير لصار أكثر وأوفر ، فلما تركوه لم يحمل ولم يثمر ، فقال عليه الصلاة والسلام حين أخبروه بذلك «أنتم أعلم بأمر دنياكم» .

هذا ما يتصوره المؤلف في المقارنة بين الحديثين النبويين فيساوى بين مفهومهما في النصح والتوجيه ، ولسنا ندرى كيف يقرأ المؤلف الأحاديث النبوية ؟ وكيف يفهمها ؟ .

لقد أوضحنا فيما سبق من حلقات هذا التعقيب كيف خدع المؤلف نفسه بخداعه للقراء ، عندما حرّف بعض آى القرآن الكريم عن مواضعها البينات . وها نحن نورد فضيحة أخرى له في تحريفه لبعض الأحاديث النبوية عن مواضعها ومقاصدها .

فنصح النبى لمن لم يجد نكاحاً شرعياً بالصوم مقتبس من نصيحة القرآن الكريم في آية : ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله﴾ (٢) وفي آية : ﴿وإن تصبروا خير لكم﴾ (٣)

(١) يراجع كتابنا : «مكانك محمدى» وكتابنا : «نساء وقضايا» .

(٢) سورة النور ٣٣ . (٣) سورة النساء ٢٥ .

بعد كلام طويل عن من لم يستطع طولاً أن ينكح الحرائر أو
الإماء ..

وفي التوجيه النبوي : (الصوم نصف الصبر)^(١) واذن فالنصح
من لم يجد نكاحاً شرعياً بالصيام معناه نصح بالصبر من الوجهة
الروحية والخلقية ، وهو يتضمن في الوقت نفسه عملاً من شأنه
إضعاف الشهوة الجسدية .

وعلى ذلك هو نصح ديني ، وليس دنيوياً كتأبير النخيل كما
يزعم المؤلف لأن تأبير النخيل مسألة زراعية ، والنبي لم يبعث خبيراً
زراعياً ، فهو قد قال في ذلك برأى شخصي لا بوحى إلهي ، وهو
يعتمد على تجارب الزراع ، ولذلك عندما شاء الله أن لا يثمر
النخيل بدون تأبير قال : أنتم أعلم بأمور دنياكم^(٢)

ولا يصح ذلك في مسألة حماية الأعراض بالنكاح الشرعي ،
ولا يمكن أن يقال لمن لم يستطع أن يتزوج امرأة بالحلal : أنت
أعلم بأمور دنياك ، فاذهب واحطف من تشاء من النساء ،
واستحلل حايها بغير كلمة الله ، وعاشرها بدون أمانة الله !

لأن ذلك معناه الإباحية المطلقة ، والإنسان بطبعه خلق من
عجل ، وطبع على طلب حاجاته من أيسر طريق ، ولذلك شرعت
الأديان ، وبعث الرسل لاقامة مكارم الأخلاق ، ورعاية

(١) رواه ابن ماجه .. وهو جزء من حديث (لكل شيء زكاة ، وزكاة الجسد الصوم ،
والصوم نصف الصبر) .

(٢) لنا رد على القائلين بأن الرسول ﷺ قد أخطأ وأن الخطأ يجوز عليه في أمور الدنيا
دون أمور الدين ، ويستدلون بهذا الحديث ، سيظهر في بعض مؤلفاتنا القادمة بإذن
الله وعونه .

الحرمان ، وتثبيت الحقوق والواجبات ، ولو ترك الإنسان لنفسه وألقى حبله على غاربه ، ولم يقم سلطان الله في الأرض ممثلاً في الحكومات الدينية والمدنية - على سواء - لما سمّيناه إنساناً ، ولما وجدنا في الأرض إلا خوفاً وظلماً وعدو .

فأين - يا سيد خالد - حماية العرض ، وحفظ النسب من تأبير النخيل ! .

خيانة زوجتي نوح ولوط ليست جنسية :

وفي نفس الصفحة ١٣٥ ، وخلال حديثه ودعوته إلى تخليّة سبيل النساء والرجال يختلطون كيف شاءوا فهم أعلم بأمر دنياهم - بزعمه ! قال : « لو كان الفرار إلى الناسكين نافعاً ، لكان أولى بهذا الانتفاع امرأة نوح وامرأة لوط ! »

وهذا إيهام خبيث من المؤلف .. فهو هنا يتحدث عن المسألة الجنسية ، وعن ضرورة ترك جبل الفتيان والفتيات على غاربهن ، وعن عدم جدوى التدين والتعبد والتنسك فأيراده قصة امرأة نوح وامرأة لوط .. بما تضمنته الآية القرآنية ﴿ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا ، فَلَمْ يَغْنَبَا عَنْهَا مِنْ اللَّهِ شَيْئاً ، وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ ^(١) يوهم القراء بأن خيانة زوجتي نوح ولوط عليهما السلام كانت خيانة جنسية ، خيانة زوجية ، خيانة عرضية ! وذلك بهتان عظيم .

قال الإمام الألوسي : ولعمري لا يكاد يقول بذلك إلا ابن

(١) سورة التحريم ١٠ .

زنا .. وقد أخرج غير واحد عن ابن عباس : ما زنت امرأة نبي قط ، وفي الكشاف : لا يجوز أن يراد بها الفجور^(١) .

وقد أجمع المفسرون على أن خيانة امرأة نوح وامرأة لوط هي الكفر برسالاتهما .. وكانت الأولى تقول للناس عن نوح إنه مجنون .. وتدل الثانية قوم لوط على ضيوفه وهي تعلم أنهم مولعون باتيان الذكران دون النسوان !

فهى إذن خيانة دينية .. وليس هنالك من ظروف المقام وملايساته ما يدعو إلى تفسيرها بالخيانة فالمقام مقام نبين .. ورسالتين .. ودعوتين إلى الحق ، ومقام ضلال زوجتى هذين النبیین ، وكفرهما برسالاتهما واغراء الناس بهما ، والتآمر مع العدو عليهما .

بل إن ظروف وملايسات قصة قوم لوط تنفى قطعاً أن يراد ذلك المعنى القدر الذى أورده المؤلف .. فقوم لوط أناس أولعوا بإتيان الرجال دون النساء ولم يستطع لوط على ما بذل من نصح وموعظة أن يهديهم أو يصلحهم ففزع من منهم تخونه زوجته ؟ . إن الدول والحكومات القديمة والحديثة تسمى الرجل أو الرجال الذين يقفون فى وجهها معارضين ، ويدبرون لها الكيد لإسقاطها (خونة) . وتبسمهم «بالخيانة العظمى» وتحكم عليهم بالإعدام ..

بل إن القرآن الكريم عدّ مخالفة الناس لأمر الله وأمر رسوله : (خيانة) فقال عز وجل فى سورة الأنفال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) تفسير روح المعاني : ١٦٢ ، ج ٢٨ .

لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم .. وأنتم تعلمون ﴿١﴾ .
فما هو المانع للغوى ، أو العرفى ، أو التأريخى ، أو العقلى من
تسمية مخالفة امرأتى نوح ولوط لزوجيهما النبيين الصالحين ، وتأمريهما
مع العدو وعليهما - خيانة ؟ .

التحكم فى نوع الجنين .. والأرحام الصناعية .. ومفاتيح الغيب ..

- ١ -

تحدث إلى هاتفيّاً أحد شبابنا من المتخرجين قريباً من كلية
الشرعة بمكة المكرمة .. معقباً على حديثى حول الاكتشاف الجديد
الذى أعلنه بعض الأطباء فى بريطانيا عن إمكانية انجاب ذكر أو أنثى
وفقاً لرغبة الأبوين أو أحدهما .. وذلك بتناول بعض المركبات
الكيميائية التى توصلوا إليها .

وقال لى الأخ المعقب : لماذا تصرّفى حديثك على بطلان زعم
هؤلاء الأطباء فيما اكتشفوه ! أليس ذلك علماً قائماً على البحث
والدراسة ! .

وقد تحدثت للأخ المعقب مرة أخرى عما عرضته فى حديثى
السابق بإيجاز واعدت على مسمعه الآيات القرآنية الجليلة التى تجعل
خلق الجنين فى بطن أمه - ذكر أو أنثى - من اختصاص الله وحده

ومشيئته وحده ، وإن الله عز وجل لم يترك اختيار ذلك للبشر لأن في ذلك مفسدة عظمت لنظام الحياة وتوازن وجود الائنات والذكور لمصلحة استمرارها .

ووعدت الأخ المعقب أن أزيد الأمر تفصيلاً وتدليلاً في حديث قادم وها أنا أفى بموعدي إياه :

● أولاً : أضيف إلى ما سبق من حجج قرآنية على الخصوصية الإلهية في خلق الائنات والذكور قول الله عز وجل - في سورة النبأ - عن خصوصياته تبارك وتعالى التي لا يشاركه فيها أحد من خلقه أياً كان مقامه حتى الأنبياء والرسل وهم أحب الناس إليه ، وأفضلهم عنده ، وأعرفهم ببعض الغيوب الإلهية في حدود ما يريد أن يظهرهم عليه ^(١) - يقول عز وجل :

﴿ألم نجعل الأرض مهاداً ، والجبال أوتاداً ، وخلقناكم أزواجاً ، وجعلنا نومكم سباتاً ، وجعلنا الليل لباساً ، وجعلنا النهار معاشاً ، ونبتنا فوقكم سبْعاً شَدَاداً ، وجعلنا سراجاً وهاجاً ، وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً ، لنخرج به حَباً ونباتاً وجنات ألفافاً﴾ ^(٢)

فهذه المخلوقات العشرة .. جميعها من اختصاصات القدرة الإلهية وحدها بكل أشكالها وأحجامها ونواميسها وعطاءاتها . ومن بينها خلق الله للبشر أزواجاً أى ذكوراً وإناثاً .

كما أن الناس - بما فيهم العلماء والخبراء - لا علم عندهم

(١) يقول الله عز وجل - في سورة الجن : ﴿عالم الغيب .. فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾ .

(٢) سورة النبأ من ٦ - ١٦ .

ولا قدرة لديهم للتدخل فى خلق الأرض مهاداً والجبال أوتاداً ، وجعل النوم سباتاً ، والنهار معاشاً ، وبناء السموات السبع ، وخلق الشمس وتنظيم سيرها ، وانزال الماء الشجاج لايخراج النبات من الأرض - فكذاك لا علم عندهم ، ولا قدرة لديهم لخلق الذكر إن شاء الله وخلق الأنثى إذا أرادوا .

وهناك آيتان من سورة (الواقعة) يقول الله عز وجلّ فيها : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونُ ؟ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ .. تؤكدان اختصاص الله عز وجلّ وانفراده ومشيتته فى خلق الذكر والأنثى . وثلاث آيات فى سورة القيامة : ﴿أَلَمْ يَكْ نَظْفَةً مِنْ مَنِيَّ عَنَى ، ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَى ، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ تؤكد أيضاً هذه الخصوصية الإلهية فى خلق الذكر والأنثى ، بالإضافة إلى بيان أن ماء المرأة لا شأن له ولا دخل فى تكوين الجنين تكبيراً وتأنيثاً .. إنما ذلك من شأن نظفة الرجل وحده - وقد أوردنا رأى العلم فى ذلك أيضاً - خلال حديث سابق .

* * *

● ثانياً : قبل بضع سنين زعموا - فى مطابخ العلم الغربى - أنهم توصلوا إلى إمكانية تربية الأجنة فى أرحام صناعية .. أى يخلطون بعض نظفة رجل وبويضة امرأة يضعونها فى رحم صناعية ، وتستمر تغذيتها وتربيتها صناعياً .. ثم تكون جنيناً فولوداً بعد ذلك . ورددنا عليهم وعلى بعض الكتاب المسلمين الذين صدقوا بهذه الزعمة الباطلة .. وقلنا : إن هذا غير ممكن دينياً وعلمياً أيضاً . فالقرآن الكريم والحديث النبوى الصحيح يؤكدان أن خلق الجنين

... دة وتربية في بطن الأم من خصوصيات الخالق تبارك وتعالى ،
ونكتفى هنا بآية واحدة - من سورة المؤمنين - وهي قوله عز وجل :
﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار
مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا
المضغة عظاماً ، فكسونا العظام لحماً - ثم أنشأناه خلقاً آخر ،
فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (١)

ويقول علماء البيولوجيا ونزيحيين : إن دم الحيض في رحم
الأم هو الذي يمد الجنين بالغذاء والنماء لأنه يتقطع أثناء الحمل ،
وإن صحة الجنين تعتمد اعتماداً كبيراً على حالة الأم الصحية .. كما
أن مجرى الدم في الأم يتصل اتصالاً غير مباشر بمجرى دم الجنين
داخل المشيمة (الخلاص) - وأن من وظائف الطحال المتعددة صنع
خلايا الدم الحمراء والبيضاء للجنين الخ ...

وعلى ذلك فلن نتجح الرحم الصناعية في تربية الجنين ومده
الحياة التي هي من خصوصيات الخالق القدير الخبير .

* * *

● ثالثاً : زعموا أيضاً أن العلم الحديث توصل إلى معرفة الجنين في
بطن أمه أهو ذكر أم أنثى - ورددنا عليهم رداً قرآنياً بأن ذلك من
الغيوب الإلهية الخمسة الواردة في آخر آية من سورة لقان : ﴿إن
الله عنده علم الساعة - وينزل الغيث - ويعلم ما في الأرحام - وما
تدرى نفس ماذا تكسب غداً - وما تدرى نفس بأى أرض
تموت﴾

(١) سورة المؤمنون ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

● رابعاً : يزعمون الآن : أنهم يستطيعون تخزين (الشباب) في زجاجات أو بعبارة أخرى كما يقول الدكتور الأمريكي ناكشي مايكنودا : التغلب على الشيخوخة عن طريق خلية في الغدة الزعترية موجودة وسط الصدر - التي أطلق عليها إسم (تي) .

وقال هذا العالم الأمريكي إنه حقن فئات من الفئران متقدمة في السن بخلايا (تي) فظهرت عليها علامات الشباب والفتوة . وزعم أنه من الممكن تخزين هذه الخلايا في زجاجات والاحتفاظ بها في درجة حرارة معينة الخ .

وهذا تخريف جديد.. لأن الشيخوخة مرحلة أخيرة لكل إنسان لا بد منها ولا مفر عنها ، كما أن العمر محدد لا يتقدم ولا يتأخر - والقرآن صريح في ذلك : ﴿هو الذي خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة - ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة﴾^(١) وفي آية أخرى : ﴿ومنكم من يتوفى ، ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً﴾ ويؤكد الحديث النبوي الصحيح ذلك : «إن الله لم ينزل داءً إلا أنزل له دواء .. إلا داء واحداً - قالوا ما هو يا رسول الله ؟ قال : (الهرم) .

وهذا الاكتشاف الجديد يذكرنا باكتشاف قديم منذ عشرين عاماً وتزيد أطلقوا عليه إسم (ه/٣) وزعموا أنه يبدل الشيخوخة شباباً .. وكذبوا ، ولم نسمع لهم بعد ذلك ركراً . وكل الزعمات المرسلة باسم العلم والاكتشاف العلمي السابقة واللاحقة لم نسمع

(١) سورة الزوم ٥٤ .

لدعاتها بعد ذلك صوتاً ، كما لم نر لها أثراً وواقعاً في دنيا الناس وحياة
البشر ، إنما كانت تخريفاً وتهريفاً .

- ٢ -

أشرنا في ختام حديثنا السابق إلى أن هذه (المؤامرات) المدبرة
ضد عقائد الناس وعقولهم .. عن طريق شراء ضماير العلماء هي من
مقاصد (الصهيونية) العالمية ومخططاتها وضررها المثل على سوابق لها
تحققت - أي هذه المكائد الصهيونية - على أيدي داروين ،
وفرويد ، ونيتشه ، وجويلز ، وماركس .. إذ أفسدوا بنظرياتهم
المنسوبة إلى (نعلم) كذباً وافتراء : عقائد الناس ، ولبلوا
عقولهم ، ورجّوا ضمايرهم .

ونريد هنا أن نورد الدليل على ذلك من بروتوكولات حكماء
صهيون - بل سفهائها المتآمرين على البشرية كلها .

هذه البروتوكولات .. لم تترجم إلى اللغة العربية إلا في منتصف
القرن الحالى - القرن العشرين - وقد قام بترجمتها الأستاذ محمد
خليفة التونسي فسد بها حاجة المسلمين إلى معرفة مكائد اليهود التي
يدبرونها للعالم كله ^(١) .

وتتضمن هذه الوثائق الصهيونية خططاً سرية تهدف للاستيلاء
على العالم بأسره .. عن طريق اسقاط الحكومات متبعين في ذلك
أسلوب إغراء الحكام بظلم الشعوب واضطهادها .. وفي الوقت
نفسه يحرضون هذه الشعوب على التمرد والثورة على حكامهم ،

(١) مجلة الجامعة ، ربيع الأول ١٣٩٨ هـ .

وبذلك يبذرون بذور النزاع والصراع بين الحكام والشعوب .
- وفي جانب آخر من هذه الوثائق المخزية : يوصون بيت روح
الخلاف بين الدول عن طريق محافل الماسونية وجمعياتها السرية .
- كما يعملون بنشاط مستمر للسيطرة بأموالهم على المؤسسات
التعليمية والاعلامية كالمدارس والجامعات والصحافة والإذاعة
والتلفاز - لغرض التوجيه نحو أهدافهم المخزية للعقائد والضمان المبلبل
للعقول والنفوس .

ويرى الأستاذ جلاء إدريس : إن الذين يؤكدون صدور هذه
الوثائق عن اليهود يحتجون بأن هذه المخططات التدميرية التي
اشتملت عليها الوثائق ليست جديدة . بل هي موجودة في كتبهم
القديمة وفي مقدمتها (التلمود) - الذي تكفي جملة منه لتكون عنواناً
لهذه المؤامرات اليهودية المدبرة ضد الأمم الأخرى - غير اليهودية -
فقد جاء في هذا (التلمود) : (كل ما على الأرض ملك لليهود ، فما
تحت أيدي الأميين مغتصب من اليهود ، وعليهم استرداده منهم
بكل الوسائل)^(١)

* * *

ومما جاء في البروتوكولات - فيما يتصل بموضوعنا - قولهم :
(ولا تتصوروا أن - تصريحاتنا كلمات جوفاء ، ولاحظوا هناك أن
نجاح داروين وماركس ونييتشه قد رتبناه من قبل .. والأثر غير
الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأسمى - غير اليهودي -

(١) أخبار العالم الإسلامي ١٣/٣/١٣٩٨ هـ .

سيكون واضحاً لنا على التأكيد ..).

وإذا تأملنا مدى نجاح ماركس في نظريته الاقتصادية (الشيوعية - أو الحتمية التاريخية) وفرويد في نظريته (التحليل النفسى - والحتمية النفسية) . وداروين في نظريته (النشوء والتطور) وآثارها غير الأخلاقية على الشعوب أفراداً أو جماعات ودولاً - أدركنا حقيقة التآمر اليهودى على (العلم والعلماء) وعلى البشرية جمعاء .

ونكتفى هنا بما قاله الأستاذ (محمد قطب) عن (داروين) حيث قال : إن الداروينية قد رجت العقيدة رجاً فهذا التطور الذى يزعمه دارون .. اكتسح كل شئ فى سبيله ، واصر على تحطيم كل شئ (ثابت) فى الطريق حتى ادار رؤوس العلماء والجهال فلم يعودوا يرون شيئاً فى الوجود كله حتى العقيدة بل حتى (الله) تبارك وتعالى .

كما نكتفى بما قاله الدكتور عبدالصبور مرزوق - خلال بحثه فى (البهائية) والحركات المعادية للإسلام - عن المخرب اليهودى (فرويد) .. حيث قال : إنه حاول أن يفسر كل حركة الحياة والتاريخ على أساس جنسى وغرائزى وصولاً بالإنسان إلى حالة الانحطاط العقلى الذى لا يستطيع أن يفرق معه بين ما هو حق وبين ما هو باطل وبين ما هو هدى وبين الضلال ، ويصبح أسيراً لغرائزه وشهواته»^(١) .

(١) أخبار العالم الإسلامى ١٣/٣/١٣٩٨هـ .

وبعد .. فهذا ما أحيينا أن نضيفه إلى حديثنا السابق عن بعض (النظريات) التي يسمونها تجارب علمية وهي كذب وافتراء على العلم ، وهي فتنة وبليلة للعقول والنفوس .

وهذا - أيضاً - ما نقلناه عن وثائق من أسموا أنفسهم (بحكماء صهيون) وهم في الحقيقة سفهاؤها وأشرارها - الذين يخططون لتدمير العالم نفسياً وعقلياً وعقائدياً .. باسم (العلم) والاكتشاف العلمي والتجارب العلمية وقد اشتروا لذلك ضماير ماركس ، وفرويد ، وانجلز ، ونيتشه من قبل - وهم الآن يشترون ضماير جديدة أمثال : بوكل ، وشليتر ، وسيجي وغيرهم ممن سيكشف عنهم الغد القريب والبعيد .

- ٣ -

وحول إمكانية معرفة الأطباء لنوع الجنين أذكر أم هو أنثى ! كتب أحد العلماء العصريين في إحدى المجلات العربية يقول : إن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ ... أي أن الآية إنما تتكلم عن مفاتيح الغيب ، لا عن الغيب ذاته . والغيب هو المطر المتوقع هطوله لظهور أسبابه ودلائله من حولنا - أو هو الجنين الذي يتوقع أن يأتي ذكراً لظهور القرائن التي تنبئ إليها الأطباء مع كثرة التجارب والملاحظات - أو هو الكسوف المتوقع في ساعة معينة آتية إذا تجلت أسبابه في عالم الفلك وبالوسائل العلمية المختلفة .. فهذا هو الغيب . أما مفاتيح الغيب .. فهو

الدستور الخفي المنظم لنصبة ما بين المطر وأسبابه ، والصلة ما بين
 ذكورة الجنين وقرائنها ، والصلة ما بين الكسوف وإماراته ، أى أنها
 تتمثل فى ادراك السبب الخفى لسببية هذه الأشياء بعضها لبعض .
 ونلاحظ أن القرآن الكريم سلب عن الإنسان الوصول إلى مفاتيح
 الغيب ، ولكنه لم يسلب عنه معرفة الغيب ذاته .. وذلك عندما
 أعاد الضمير فى قوله (لا يعلمها) إلى المفاتيح لا إلى الغيب) .
 ثم أضاف العالم الفاضل : «إن معرفة الغيب وحده مبتوراً عن
 معرفة قانونه أو سره الخفى لا يسمى فى الحقيقة علماً بل هو ظن
 راجح قوى .. إذ يمكن فى كل لحظة أن تنقطع صلة ما بين السبب
 ومسببه مادماً لا نعلم من براهين حتمية العلاقة بينهما شيئاً» .
 وبعد أن نفرغ من الحديث عن قرائن معرفة نوعية الجنين
 وأسبابها نرى لم يستأثر الله بعلمها - كما يرى هو - سأل : هل ترقى
 هذه المعرفة إلى اليقين الجازم بذكورة الجنين أو أنوثته ! أو إلى
 القدرة على التحكم بنوع الجنين ! ثم أجاب : لا .. لا يمكن أن
 ترقى هذه المعرفة إلى اليقين الحتمى لأن الإله الذى أقام ذكورة
 الجنين على الأسباب التى شاءها قادر على أن يبطلها إذا شاء
 الخ ... (١)

* * *

ولما كنا قد تناولنا - فى أحاديث سابقة - هذه القضية الغيبية بما
 فتح الله من تأملات ودراسات لآيات القرآن الكريم والأحاديث

(١) الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى - فى مجلة العربى صفر ١٣٩٩ هـ .

النبوة الواردة في هذا الشأن - نريد اليوم أن نتابع تأملاتنا ودراساتنا للموضوع نفسه .

أولاً : إن حديث العالم الفاضل في التفريق بين (الغيب) ومفاته وقوله إن الله لم يستأثر بعلم الغيب وإنما استأثر بمفاته وحدها .. قد استند في ذلك على آية واحدة من القرآن الكريم دون أن يرجع إلى الآيات الأخرى التي تؤكد انفراد الله عز وجل بعلم الغيب وعلم مفاته معاً .

ولا نريد أن نورد الآيات العديدة التي تخص الله تبارك وتعالى بأنه (يعلم غيب السموات والأرض) أو أنه (عالم الغيب والشهادة) فهي كثيرة ولا تمنع علم الغيب عن الخلق .. ولكننا نورد الآيات الصريحة في منع علم (الغيب) عن الإنسان ، واختصاص الله به مع الاستثناء للأنبياء والرسل حيث يوحى الله إليهم بما يشاء من غيوب لا يعلمونها ابتداء .

يقول الله عز وجل :

● ﴿وما كان الله ليطالعكم على الغيب ، ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ..﴾^(١)

● ﴿فقل : إنما الغيب لله .. فانتظروا إني معكم من المنتظرين ..﴾^(٢)

● ﴿قل : لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ..﴾^(٣)

● ﴿عالم الغيب .. فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من

(١) سورة آل عمران ١٧٩ . (٢) سورة يونس ٢٠ .

(٣) سورة النمل ٦٥ .

رسول .. ﴿١﴾

وإذن فالافتاء بآية واحدة هي قوله تبارك وتعالى : ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ..﴾ لا يكتفى لصحة الدعوى بأن الله لم يستأثر بعلم الغيب وحده ، وإنما استأثر بمفاتيحه وحدها - كما لا يكتفى ذلك للتفريق بين معنى الغيب ومعنى مفاتيحه على النحو الذى فهمه العالم المفضل .

ذلك ان الحقائق والقضايا الاسلامية - فيما يتعلق بالعقيدة أو الشريعة والأخلاق - لا يكتفى لإثباتها آية واحدة ، ولا حديث نبوى واحد .. مادامت هناك آيات وأحاديث أخرى عن الموضوع ذاته أو الحقيقة نفسها .

فالأيات الأربع التى أوردناها آنفاً صريحة بأن الله عز وجل استأثر بعلم الغيب كله .. وأنه عز وجل يطلع رسله وأنبياءه على بعض هذا (الغيب) كمعجزة لهم أو لبيان أمر مهم يختلف حوله النبى وقومه ، أو لكشف ما يديره . أعداؤه من إيذاء له .

ثانياً : هناك تفسير نبوى يرويه الإمام البخارى رحمه الله عن سالم ابن عبد الله بن عمر عن أبيه رضى الله عنهم لهذه (المفاتيح) بأنها هي (الغيب) نفسه حيث يقول ﷺ : مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ثم يقرأ : ﴿إن الله عنده علم الساعة - وينزل الغيث - ويعلم ما فى الأرحام - وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً - وما تدرى نفس بأى أرض تموت - إن الله عليم خبير﴾ وفى حديث

(١) سورة الجن ٢٦ .

عمر : إن جبريل عليه السلام حين تبدى للنبي ﷺ في صورة اعرابي فسأله عن الإيمان والاسلام والاحسان - كان من جملة ما أجاب به عليه الصلاة والسلام جبريل قوله : خمس لا يعلمهن إلا الله ثم قرأ : ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ الآية ..

ونلاحظ هنا في هذه الآية - من سورة لقمان - إنها تساوت في التعبير بكلمة (عنده) مع آية الأنعام : ففي سورة لقمان : ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ..﴾ الآية . وفي سورة الأنعام : ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ .. الآية - ثم جاء الحديث النبوي الصحيح ليؤكد أن آية لقمان هي تفسير لآية الأنعام .

فكيف نفرق بين (الغيب) و (مفاتيحه) في اختصاص الله بهما بعد هذا البيان القرآني والبيان النبوي ! .

و (مفاتيح الغيب) كما جاء في كتب التفسير القديمة والحديثة ، هي الوسائل أو الطرق الموصلة إلى علم الغيب نفسه ولا يملكها إلا الله عز وجلّ يطلع من يشاء عليها ويحجبها عن يشاء^(١) .

ثالثاً : إن كل ما يقوله علماء الطب أو علماء الفلك من تنبؤات بأمور غيبية كالمنطق والكسوف والشمس والقمر ، ومعرفة الجنين أذكر هوام أنثى - وامثال ذلك - إنما هو مجرد احتمال ، ومجرد ظن .. ولا ننسى هنا - ونحن نتحدث عن قضية معرفة نوعيّة الجنين - ما يقوله الله عز وجلّ بهذا الشأن خاصة ، بالإضافة إلى إنفراده بعلم الغيب

(١) تراجع تفاسير : الزمخشري - والنسفي - والقرطبي .

ومفاته :

﴿الله ملك السموات والأرض ... يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراً وإناثاً ، ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير﴾^(١)

فهو تبارك وتعالى - في هذا الأمر بخاصة - استأثر بالعلم والمشية معاً وجعل غيبته حكمة لعلمارة الكون واستقامة الحياة وسعادة الإنسان ..

وقد تحدثنا - في موضع آخر - عن هذه الحكمة الإلهية البالغة .. وهي انه لو ترك الله أن يتحكموا في تنوع (الجنين) قبل أن يولد لآثروا إنجاب الذكور على الإناث ... فيكون في ذلك فتنة في الأرض وفساد كبير .

وهكذا ينبغي للمؤمن بالله ورسله وكتبه أن يعتقد أن كل ما يقوله علماء الطب أو علماء الفلك من تنبؤات بأمور غيبية كالخطر ، وكسوف الشمس والقمر ، ومعرفة الجنين أذكر هو أم أنثى وامثال ذلك - إنما هو مجرد احتمال ، ومجرد ظن ، وليس علماً مسلماً واقعياً لا محالة .

- ٤ -

قبل بضع سنين كتب بعض العلماء من حملة الدكتوراة مقالاً يرى فيه أن معرفة حقيقة الجنين في بطن أمه لم تعد غيباً .. لأن الأطباء العصريين توصلوا إلى معرفة ذلك ، وأصبحوا يستطيعون الكشف عن الجنين أهو ذكر أم أنثى ؟ فعقبت عليه بدراسة قرآنية

(١) سورة الشورى ٤٩ ، ٥٠ .

مفصلة تتضمن بعض التأكيدات النبوية ، واعترافات الأطباء أنفسهم : بأن معرفة الجنين وهو في بطن أمه .. مازالت (غيباً) من الغيوب الربانية ، وأن ما يزعم من عكس ذلك ليس إلا ما يحدث صدفة أو موافقة «قدرية» لتنبؤات بعض الأطباء ..

● أى أن معرفة حقيقة الجنين أذكر هو أم أنثى لم تصبح علماً مؤكداً عند الأطباء كعلوم الطب الأخرى التى يحللون بها بعض الأمراض ، أو بعض أسبابها ، أو بعض نتائجها ..

وقد فوجئت اليوم بأحد العلماء^(١) فى جريدة (المسسون) فى ١٤٠٥/٨/٧ - ١٩٨٥/٤/٢٧ - يتحدث تحت عنوان : (معرفة نوع الجنين بعد تخليقه ليست من الغيب) بما خلاصته : أن الأطباء لا يعلمون أن الجنين ذكر أو أنثى إلا بعد أن يُخلَق .. ففتبين ذكوره أو أنوثته ، وحينئذٍ لا يكون من الغيب المطلق ، بل هو غيب نسبي .. ولهذا ثبت فى الصحيحين من حديث أنس عن النبى ﷺ فى قصة الملك الموكل بالرحم أنه يقول عند تخليق الجنين : يا رب أذكر أم أنثى - يا رب أشقى أم سعيد - فى الرزق - فى الأجل فيكتب كذلك فى بطن أمه ، فقد علم الملك أن الجنين ذكر أم أنثى وهو فى بطن أمه ، ولكنه قبل أن يخلق لا يعلم الملك ولا غيره أنه ذكر أو أنثى» آه .

والاستدلال بالحديث النبوى عن تخليق الجنين ، وعلم الملك بجنسه أذكر هو أم أنثى - على أن معرفة جنس الجنين لم تعد غيباً

(١) هو الشيخ محمد صالح العثيمين المدرس بكلية الشريعة فى بريدة .

إلهياً - غير صحيح .

فالرسول عليه الصلاة والسلام يخبرنا في حديثه عن قضاء الله وقدره في كيفية خلق الأجنة في بطون أمهاتها ، وما يقدر لها من نوعية الذكورة أو الأنوثة ، وعن أعمارها وأعمالها وكون بعضها سعيداً والآخر شقيماً .

وكون الملك يعلم بتكوين الجنين من حيث أمر الله له بتخليقه ذكراً أو أنثى لا دلالة فيه على أن (غيبية) هذا التكوين قد انكشفت بالنسبة للبشر أو للأطباء بصفة خاصة .. والملائكة جند الله ورسله ويمتدو أوامره في أمور كثيرة ، وما يحدثنا به القرآن أو السنة عن هذه العلاقة بين الخالق عز وجل وبين الملائكة .. لا يعنى انكشاف (غيوب) هذه العلاقة أو الأعمال التي يقومون بها للبشر .

ثم إن (الملائكة) أنفسهم غيب من الغيوب بالنسبة لنا .. فنحن لا نراهم ، ولا نحس بحركاتهم وسلوكهم معنا ، وهم مقترنون بنا ، ويرافقوننا في صحونا ونومنا ،

وقد قرأت الكثير من دعاوى الأطباء : بأن الطب الحديث أصبح يستطيع معرفة جنس الجنين وهو في بطن أمه .. وعرفت بعد البحث والنقاش مع بعضهم أن التصوير الشعاعي - أو ما يسمونه بالأشعة الصوتية - يستطيع أن يكشف من ذكورة الجنين أو أنوثته إذا كان فخذ الجنين غير مطبقين أحدهما على الآخر .. وهذا طبعاً نادر الحدوث ، لأن وضع الجنين دائماً هو أن فخذه مطبقان أحدهما على الآخر ، وذراعه كذلك مطبقان على رأسه .

وإذن فالمسألة تعتمد على الصدفة ، وعلى ما قد يحدث من

تبدل وضع الجنين لسبب ما .. كما يتصادف أن يقرر الطبيب أن مريضاً ما سيموت حتماً ، فيموت فعلاً ، أو أنه سيشفى ، ويشفى حقاً .. بينما كثير من الأحداث تكذب ظن الطبيب فيموت من ظن أنه سيشفى ، ويحيا من ظن أنه سيموت .

وحجتنا في أن معرفة جنس الجنين مازالت غيباً بعض آيات القرآن الكريم ، ويأتى في المقدمة قول الله عز وجل : ﴿إِن اللّٰهُ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَىْ أَرْضٍ تَمُوتُ . إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ فالله عز وجل جعل - في هذه الآية من سورة لقمان - العلم بجنس الجنين وباحتمال موته أو حياته أيضاً .. أحد الغيوب الخمسة المثبتة في هذه الآية وهى الساعة ، وانزال الغيث ، وجهل الإنسان لما يحدث له غداً ، وجهله بمكان موته . كما نلاحظ أن الأخبار بهذه الغيوب قد جاء بأسلوب الحضر والقصر ، فبدأت الآية بقوله : ﴿إِن اللّٰهُ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أى أن الله وحده هو الذى انفرد بعلم هذه (الغيوب) الخمسة ، وغيوب أخرى لم تشتمل عليها الآية .

وإذا قلنا بجواز أن يعلم الإنسان ما فى الأرحام .. فهذا يلزم منه أن نقول أيضاً إن من الجائز أن يعلم الإنسان علم الساعة ، وعلم نزول الغيث ، وعلم ما يكسبه غداً ، وعلم الأرض أو البلدة التى يموت فيها - لأن الغيوب الخمسة محصورة ومقصورة كما أسلفنا على علم الله وحده ، وهى معطوفة بعضها على بعض ، ولا يصح استثناء واحد منها ..

- القرآن : هل حرم تعدد الزوجات ؟

- وهل نملك نحن تحريم التعدد ؟

نشرت مجلة (المجتمع الجديد) المصرية - للأستاذ (عبدالعزیز فهمی باشا) صاحب الرأي العجیب فی استبدال الحروف اللاتینیة بالعربیة رأياً أعجب منه یقول فیہ : أن القرآن الکرم یحرم بتاتاً تعدد الزوجات^(١) ، فقلوه تعالی ﴿فانکحوا ما طاب لکم من النساء مثنی وثلاث ورباع﴾ لیس المقصود منه إباحتہ أكثر من واحدة بل قصد منه تحريم ذلك . وكل ما فی الأمر أن صیغة التحريم وردت علی عادة القرآن فی الاستدراج والتلطف ، فالآیة واضحة لكل متذوق أنها هزة وسخریة ممن یرید تعدد الزوجات لأن المولی سبحانه وتعالی أردفها بقوله : ﴿وإن خفتم ألا تعدلوا - فواحدة﴾ وقوله فی موضع آخر : ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بین النساء ولو حرصتم﴾ و « لن » كما یقرر النحاة هی أشد أدوات النی للمستقبل إذ تنفیہ نفیاً باتاً . فالقرآن یسجل بصریح العبارة أن الاستطاعة مستحيلة أی أن العلة المتوهمه للتصریح بالعدد لن تتحقق ، والمقرر عند الفقهاء من عقلیین وحرفیین أنه متى زالت العلة زال المعلول . هذا ما یقلوه (الباشا) و (شیخ القضاة) و (القانونی الأول) و (عضو مجمع اللغة العربیة) فی مصر كما یسمیه المصریون . وأغرب من هذا واکرب أنه دعا الحكومة المصریة إلى أن تحرم بتاتاً تعدد الزوجات .

(١) ذهب إلى مثل هذا الوهم السيد أمير على قبل الباشا .

ونحن نجادله فيما ادعاه في القرآن من تحريم حلال ، وادعاء محال بالحجج التالية :

● الحجة الأولى : أن آية ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾^(١) بينة المعنى بحيث لا يختلف عليها ، فهي تبيح التعدد إلى أربع إلا إذا خيف الجور بينهن فيجب الاقتصار حينئذ على واحدة أو على الاماء ..

● الحجة الثانية : أن آية ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾^(٢) . إذا أريد اتقان فهمها والاحاطة بعلمها ، يجب أن تتلى كاملة ، لا مبتورة كما أوردها (شيخ القضاة) وإلا كان الشأن فيها كالشأن في تلاوة ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ أو ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ فليقرأ معنا القراء تكملتها ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَالْمَلْعَلَقَةِ﴾ ليفهموا معنا أيضاً أن قوله تعالى ﴿كُلَّ الْمِيلِ﴾ يشير في جلاء كاف إلى أن العدل المطلوب من الزوج بين زوجاته هو العدل المقدور عليه لا العدل الكامل المعجوز عنه ، المعنى . بشق الآية الأول ، ودليل ذلك - أولاً - تقييده الميل المنهى عنه بأنه (كل الميل) أى الميل الكامل ، ودليله - ثانياً - تشبيه الزوجة في هذه الحالة بالمعلقة التي لا تدرى أهى زوجة أم غير زوجة ، إذ لو أراد أن ينهى عن (بعض الميل) وهو ما لا يستطيع ضبطه - لنجا إلى النهى عن الميل مطلقاً من (قيد الكلية) ومطلقاً أيضاً من تشبيه الزوجة بالمعلقة تصويراً لزوجها - المائل عنها إلى زوجاته الأخريات ميلاً كاملاً - بالهاجر

(١) سورة النساء ٣ .

(٢) سورة النساء ١٢٨ .

الظلم .

إذن فهذه الآية بمطلبها العدل بين الزوجات بما يستطيع ، لا تناقض الآية الأولى في تصريحها باباحة التعدد ، على شرطه .
ثم أن «لن» التي يقول الباشا أنها تنفي نفيًا باتًا - لا تفيد التأييد ولا التأكيد وإن كان الباشا إنما ذهب مذهب الزمخشري في ذلك ، ولكن الزمخشري معذور باضطراره إلى الاستدلال بها على مذهب المعتزلة في نفي رؤية الله تعالى ، حين تعرضه لتفسير هذه الآية :
﴿قال لن توفى ..﴾ .

وأدلتنا في الرد عليه : هي أدلة النحاة أنفسهم الذين يقولون الباشا انهم يذهبون «بلن» مذهب التأكيد ، فهم يقولون : إن دليلاً على كونها للتأييد لم يقم لديهم - وهم يقولون ثانياً : إنها لو كانت كذلك للزم التناقض في هذه الآية ﴿فلن أكلّم اليوم إنسياً﴾ بذكر يوم معلوم - وهم يقولون ثالثاً : ولو كانت كذلك أيضاً للزم التكرار في هذه الآية ﴿قل لن تخرجوا معي أبداً﴾ بذكر الأبد .
وأما ما يقال من أن (لن) في هذه الآية ﴿لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له﴾ للتأيد ، فيصدقون لو قالوا أن التأيد جاء من أمر خارجي ، لا من مقتضيات «لن» كما يصح أن يجيء بأية أداة أخرى ، من الأدوات النافية .

● الحجة الثالثة : لو جارينا (شيخ القضاة) في فهمه للآيتين السابقتين لكان معناهما : أبيع لكم زواج نساء أربع ، ما لم تحالفوا الجور بينهن ، فإن خفتم ذلك فاجتزئوا بواحدة . لكن حيث أنكم عاجزون عن العدل بينهن ولو حرصتم فيحرم عليكم التعدد !!

ونحن نجل القرآن الكريم ونحسب أن شيخ القضاة معنا في إجلاله عن هذا اللف والدوران في أسلوب التحريم - لو صح التحريم - إذ لو كان مقصده تحريم التعدد مطلقاً ، لفعله في آية موجزة ، هذا من وجه ، ومن وجه آخر لاستغنى عن بيان العدد الجائز وهو مثنى وثلاث ورباع إذا كان مقصده تحريم أكثر من واحدة .

● الحجة الرابعة : إن كثيراً من الصحابة كان تحت كل منهم أكثر من واحدة أمثال قيس بن الحارث ، ونوفل بن معاوية ، وغيلان ابن سلحة ، فما يقول شيخ القضاة في اقرار النبي عليه الصلاة والسلام على ذلك ! وفي أمره لمن كان منهم متزوجاً بأزيد من أربع ، عند نزول الآية الأولى ، بمفارقة الزائدات ؟ ثم ماذا يقول في اجماع الأمة الاسلامية على جواز ذلك منذ عهد مبلغ القرآن حتى الآن ؟ .

أيخطر ببال شيخ القضاة أن رواد الاسلام الأولين ومن تبعهم باحسان أحلوا ما حرم الله ! أم يزعم أن نبي الاسلام ﷺ لم يفهم القرآن أو خالف التشريع ؟ !

● الخامسة : إن جمهور فقهاءنا : مفسرين ومحدثين اجمعوا على أن العدل المقذور عليه والمطلوب من الزوج بين أزواجه ، هو التسوية بينهن في النفقة ، والمبيت ، أما عاطفة الحب فقد اعتذر نبي الاسلام نفسه - وهو من هو عصمة وتقوى - عنها إذا كان يقول : (اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك) لِمَا كَانَ يَحْسُ مِنْ حَبَّةٍ لَهَا شِئَةٌ أَكْثَرُ مِنْ حَبَّةٍ لِأَزْوَاجِهِ الْآخِرَاتِ ، وَمَا يَحْسَهُ مِنْ غَيْرَتِهِنَّ لِذَلِكَ ، مع مساواته بين الجميع في النفقة ، والمبيت ،

كما روت ذلك عائشة نفسها في حديث صحيح .

وعلى هذا يمكن - في غير تعسف ولا استكراه - أن نفهم معنى هذه الآية : ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم - فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾ على أن الشرط الأول منها حكم جازم صارخ بعجز الزوج عن العدل بين نسائه في المحبة ، وإن الشرط الثاني منها نهى عن «الميل الكامل» إلى احدهن دون الأخرى مما يفضى - حتماً - إلى القصور في ما يستطيعه الزوج من نفقة ومبيت لا «عن بعض الميل» الذى قد يكون نتيجة عدم استطاعة الزوج توزيع المحبة بالقسطاس المستقيم ..

● السادسة : أن شرط فرض قانون ما ، على مجتمع : أن يلائم هذا المجتمع . وحيث أن قانون تحريم التعدد الذى ينادى به شيخ القضاة في مصر يحاد حرية الناس التى اباحها لهم دينهم ، وأنشأتهم عليها عاداتهم ، فقد يصعب عليهم نزعها منهم ، ويلقى في علمهم أن سلفهم الصالح كان على جور في تعدد الزوجات .

● الحجة السابعة : إن قوانين كل أمة تسن وفق عاداتها وعقيدتها التى تخصها دون غيرها وتتميز بها عنه . ومن الخطأ الخاطيء أن نعانء عاداتنا كشرقيين ، ونتنكر لعقيدتنا كمسلمين ، من أجل أن نجارى تلك الأمم في قوانينها التى هى ملائمة لعاداتها وعقيدتها بلا جدال .

● الثامنة : إن المذهب الفلسفى الحديث المعروف بمذهب «الذرائع» يقوم الفكرة الاصلاحية بمقدار نفعها للأمة التى يراد اشاعتها بينها ، فأى نفع في تحريم التعدد ؟ ولقد كنا نقول بأكثرية

النساء في الحروب على الرجال ، فأصبحنا نقول بذلك أيضاً في السلم لما نشاهد من أكثرية نسبة ما يولد للرجال - اليوم - من البنات على البنين ، وهى ظاهرة تكاد تكون موجودة في كل بلد . وخير لفتاة أو اثنتين أو ثلاث أن يشاركن رابعة في قلب زوجها وماله من أن يحرم من البتة ويبسهن الكساد والفساد .

● الحجة التاسعة : إن الرجل أسرع سأمًا وبرماً بزواجه من المرأة بزوجها منذ أن تحمل منه وتضع له عديداً من الأولاد ، فهو حينئذ ينشد وجهاً غير وجهها ، وخصراً غير خصرها ، ليستمتع بجمال جديد ، وليس أمام الرجل في هذه الحالة إلا أن يتخذ خليلات إلى أربع ، أو خليلات بغير حساب . وماذا على تلك الزوجة المسؤومة لو شاركت ضرائرها في رجلها والد أولادها . وفي بيت صائن عفافها وضامن كفافها ، أليس ذلك خيراً لها من السوق ، حيث الفقر والفسوق ؟ .

ثم إن النفوس البشرية نزاعة إلى التبديل والتنوع ، فإذا هى لم تجد لذتها في المشروع ، وجدتها في غير المشروع . كما يلاحظ على الزوجات أنهم إذا أنجب عدداً من الأولاد بنين وبنات - إنشغلن بهم عن الزوج - الأب - ويزداد إنشغالهن إذا تزوجت البنات وأنجن أيضاً .. فنجد أن الأم تنصرف إلى توليد بناتها وزوجات ابنائها وتمريضهن ، وتهمل الزوج رعاية وعناية وحباً وعظفاً .

● الحجة العاشرة : من المشاهد المألوفة في دنيا الزوجية أن المرأة تخضع لاستمتاع زوجها المريض أو الضعيف أو القبيح ، لأن

الانفكاك منه ليس بيدها أولاً ، وثانياً لأن هدفها الأول والأخير : البيت والأمومة ، بينما نشاهد استكراه الزوج للاستمتاع بزوجه المريضة أو الضعيفة أو القبيحة ، ذلك أنه أولاً : قادر على الانفكاك منها وعلى الاعتياض بغيرها . وثانياً : لأنه ينشد إرضاء نظره وسمعه وقلبه ثم خدمة بيته وتربية ذريته .

ولأن تشارك الزوجة المريضة أو الضعيفة أو القبيحة أو العقيمة^(١) نساء أخريات في عواطف زوجها وماله ، خير لها وللمجتمع الذى تعيش فيه من نفارها وبوارها .

وإني لأعجب كيف يريد الله بنا اليسر ، ويريد بنا شيخ القضاة العسر !! وأعجب مرة أخرى كيف يجمع قضاة المسلمين وفقهاؤهم وبلغاؤهم على جد القرآن وصدقه ، ويدعى شيخ القضاة بمصر اللف والدوران فيه ! .

أدل يا شيخ القضاة بدلوكم فى كل قانون لأية أمة ، إلا القرآن والعربية ، فإنما مثلك ومثلها (كباسط كفيه إلى الماء ليلغ فاه وما هو ببالغه) .

* * *

وعاد «الباشا» يؤيد دعواه .. يبحث طويل عريض ، فى (مجلة الثقافة) المصرية .. ونعود مرة أخرى لجذاله فيما أضاف على ما أسلف . ونوجز أولاً : مزاعم الباشا ثم نكرر عليها بحججنا الدوامغ .. والله المستعان :

(١) عقم الزوجة الأولى من أقوى الأسباب لإباحة التعدد لأن الرجل حريص على الذرية .

أولاً : يقول الباشا : إن (ما) في قوله تعالى ﴿ما طاب لكم من النساء﴾ من أقوى ما يكون في إفادة العموم ، وهي نكرة بمعنى «أى شيء» أى أية امرأة أو مجموعة من النساء - أى لا مفهوم للتحديد بأربع - وإن القرآن استعمل «طاب» ولم يستعمل كلمة (حل) لأن الطائب قد يكون حلالاً وقد يكون حراماً الخ ..

وردنا على الباشا من وجوه :

١ - اتفق علماء أصول التفسير على أن في القرآن عاماً باقياً على عمومته ، وعاماً مخصوصاً ، وعاماً أريد به الخصوص ، وهو أصل من أصول اللغة العربية متعارف مألوف .

٢ - إن «ما» إن لم تكن - كما يحلو للباشا الا تكون - موصولة بمعنى (من) فلا أقل من أن تكون نكرة موصوفها المثنوى أو الثلاثى أو الرباعى .

٣ - إن لكلمة (طاب) معنيين : أحدهما مفهوم الباشا أى لذّ وحسن والثانى (حل) وهو ما قال به المفسرون واللغويون ، وأمثله من القرآن نفسه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(١) و ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾^(٢) فإن المراد قطعاً «بالطيبات» أكلاً وانفاقاً - هو الحلال !

على أن الفقهاء والمفتين ، في مدّة العهود الاسلامية كلها كانوا إذا استفتوا عن شيء حلال قالوا : «إنه طيب أو يطيب» . ولم نقرأ

(١) سورة البقرة ١٧٢ .

(٢) سورة البقرة ٢٦٧ .

فى كتب اللغة والأدب من قديمها وحديثها أن عالماً أو كاتباً أطلق وصف «الطيب» على غير الحلال ..

ثانياً : يقول الباشا : إن القول بدلالة الآية على حكم تحديد التعدد بأربع ، يؤول بنا إلى نتيجة منكرة ، ذلك أن مثنى وثلاث ورباع معناها اثنان إثنان ، وثلاثة ثلاثة ، وأربعة أربعة .. أى أن الرجل يأتى لامرأتين فيتزوجهما .. ثم إلى ثلاث فيتزوجهن . ثم إلى أربع فيكون تحته تسع . وقد ذهب إلى فهم ذلك بعض الفرق المنسوبة إلى الاسلام ، بل كان منها من قال بتحديد الزوجات إلى ثمانى عشرة زوجة .. وعلى ذلك فهذه الألفاظ العددية كناية عن الأخذ الجزاف المنافى لكل تحديد .

وقد فات الباشا ان يفهم هذا التعدد على ما هو معلوم ومفهوم منه حقيقة .. وعلى ما هو مطلوب منه لغوياً وعرفياً .. وليأخذ - لتقريب ذلك إلى فهمه - مثلاً من عمليات تدريب الجنود عندما يأمرهم قائدهم بالسيرة مرة «مثنى مثنى» وأخرى : «ثلاث ثلاث» وثلاثة : «رباع رباع» فهل يعنى ذلك أن يسيروا فى حالة واحدة صفوفاً مختلفة بين الإثنين والثلاثة والأربعة ، أم أن المقصود أن يسيروا فى كل مرة على صورة واحدة ؟ وعلى هذا يتضح المراد من تحديد الآية القرآنية بهذه الألفاظ العددية ، وهو أنه يحل لكل مسلم التزوج بامرأتين فى حالة واحدة ، وثلاث فى حالة أخرى ، وأربع فى حالة ثالثة مستقلة .. لا أن يتزوج امرأتين ، وثلاثاً ، وأربعاً فى حالة واحدة . كما لا يصح أن يسير صف الجند الواحد كل اثنين معاً وكل ثلاثة معاً ، وكل أربعة معاً فى حالة واحدة .

أما ما قاله من ذهاب بعض السفهاء إلى التعديد إلى ثمانى عشرة زوجة ، فهو مخالف لإجماع الصحابة والتابعين .. بل إن كبار الظاهرية - وهى الفرقة القائلة بهذا المذهب - أنكروه ، فهو إذن محل نظر فيما بينهم وبين أنفسهم . على ضلاله وهتانه وزوره .

ثالثاً : يقول الباشا أن الجنود فى كل أمة يدللون ، ويتجاوز لهم عن كثير من الآثام فى مقابل إنهم وهبوا حياتهم .. والشاب من جنود المسلمين كان إذا ثارت غريزته الجنسية رأى أن التزوج بأخرى - غير أولاه التى خلفها وراءه بالمدينة - ممنوع بالآية الأولى ، ولكنه يذكر أن آباءه وأجداده كان مصرحاً لهم بالتعدد فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام ، وحين نزل الآية الأخرى ، فىرى وهو محروم من ساحة الحرب من زوجته البعيدة - أنه أحق بالتعدد فيتزوج بأخرى .. واعتقر أولو الحل والعقد ذلك للجنود ، فاستحلوا التعدد وحبدوه .. وبمرور الزمن أصبحت عادة التعدد من التقاليد القديمة ، فاضطر الفقهاء فى كثير من الجهات إلى مسايرتها وتدوين الواقع من متابعة الناس لها ، وتساهلوا فى تأويل سندها القرآنى !

هذا ما يزعمه الباشا الفقيه المصرى .. وهو طبعاً يدل دلالة صارخة على مبلغ فهمه للفقہ الاسلامى ، ومبلغ علمه بالتأريخ ، وحسبه أنه بما زعمه أنه جميع الصحابة والخلفاء الراشدين والتابعين وتابعيهم والأئمة المجتهدين وفقهاء المذاهب فى جميع الأزمنة والأمكنة .. أنهم بإقرار الحرام والتغاضى عنه ، وابتكار الحيل فى تأويل نصوصه فى سبيل إرضاء غرائز الجنود .. وفى سبيل المضى مع العادات والتقاليد .

وكدت أقول إنه نبيّ الاسام عليه الصلاة والسلام - وحاشاه - لأن الحروب والثورات لم تبدأ في عهد الصحابة ، بل بدأت في عهده كما هو معلوم .

ثم أين مستند الباشا من تأريخ الحروب الاسلامية على حدوث ترضية غرائز الجنود الجنسية بد هو حرام في زعمه ؟!

إن الباشا لا يعلم من التأريخ الاسلامي شيئاً - كما يدل هو على نفسه ! - ولكنه استعان في بحث إسلامي بعلمه الغزير عن التأريخ الأوروبي وحروب نمرجة التي يستحلون فيها نهب الأموال والأعراض والأرواح ، ويبسحون لجنودهم التمتع بالفتيات في الميادين ، بل إنهم يبعثونهن إليهم خصيصاً لهذا الغرض الأثيم .. وقد قاس الباشا مبادئ المسلمين السامية وتقاليدهم الشريفة على مبادئ وتقاليد تخالفها ، في غير مقاس .

هل نملك تحريم تعدد الزوجات !

كتب الشيخ عبدالمتعال الصعیدی في مجلة الأزهر عام ١٣٦٧ هـ مقالاً بعنوان : (حرية البحث في الاسلام) حول إمكانية تحريم تعدد الزوجات .. الذي أباحتها الشريعة الاسلامية - وقد حاول أن يثبت فيه هذه الحرية بالحق وبالباطل وقد كان يسعه أن يثبتها بالحق وحده ، فأدلته وبراهينه كثيرة بحمد الله .

هكذا يدعى أن في مكتنة ولاية الأمر أن يصدروا قانوناً بتحريم تعدد زوجات . لأن هذا التعدد مباح ، وليس معنى الإباحة في الاسلام أن يأخذ المسلمون فيها بشهوتهم .. فلا يقفوا فيها عند

حد ، ولا يتصرفوا فيها بالحكمة .

وضرب - الشيخ الصعدي - مثلاً لامكان تحريم المباح أن ينهى
ولى الأمر عن زرع القطن في أكثر من ثلث الأرض ، فتجب طاعته
شرعاً في ذلك وتحرم مخالفته فيه .. ويكون زرع القطن في أكثر من
الثلث حراماً . ثم أخذ - الشيخ الصعدي - يعتل لقيام التعدد في
صدر الاسلام بالعلل الآتية :

أولاً : لأن الرجال كانوا عدولاً متمسكين بدينهم ، وكان
نساؤهم لا يجدون حرجاً في التعدد لضمان المساواة فيه وكان الأولاد
منهم لا يجدون تفاوتاً في معاملة آبائهم لهم .

ثانياً : لأن المسلمين كانوا خير أمة أخرجت للناس ، فالزيادة في
الخير خير ولا شيء في أن يصار إلى ذلك بتعدد الزوجات .

ثالثاً : لأن المسلمين كانوا في قلة بين الأمم المجاورة لهم ، وقد
قامت بينهم حروب متتابعة زادت قلة فكان لهم في تعدد الزوجات
ضرورة لفقد أكثر الرجال أولاً ، ولأكثر النسل ثانياً .

وعقَّب على هذه العلل - عليه - بقوله : وليس المسلمون اليوم
كأسلافهم عدولاً متمسكين بدينهم .. وليسوا هم الآن قلة بل
كثرة .. وليسوا هم الآن خير أمة أخرجت للناس حتى يكون في
زيادتهم بتعدد الزوجات زيادة في خيرهم ! .

وقد استدل على جواز هذه الحرية من القرآن بقصة إبراهيم عليه
السلام مع قومه .. هذه القصة التي يقول عنها الشيخ إن إبراهيم
أخطأ ثلاث مرات في سبيل معرفة الحق ، فقال أولاً نكوكب :
هذا ربي . ثم قال ثانياً للقمر : هذا ربي . ثم قال ثالثاً للشمس هذا

رى ، وأخيراً اهتدى إذ وجّه وجهه إلى فاطر الأرض والسموات .

ونعقب على الشيخ عبدالمتعال الصعیدی فيما يأتي :

● أولاً : إن التشريع الوضعي الذي يرى الشيخ أن في استطاعته تحريم تعدد الزوجات يسير في طريقه وفق قاعدة شرعية معلومة هي : «تخصيص القضاء بالمكان والزمان والحادثة ، فهو يقيد بعض المسائل كإثبات النسب ، ودعوى النفقة ، وتحديد زمان الدعوى ومكانها الخ .. دون أن يتصدى في هذه المسائل بتحريم حلال أو تحليل حرام .. وكل ما يجري من حوادث خلافاً للمنع والتقييد الوضعيين يعد صحيحاً وحلالاً في ذاته ، ويترتب عليه كافة الآثار .

عدا ما نص على تعطيله وفقاً للمنع والتقييد .

ونزيد الشيخ توضيحاً بأن المقصود بهذه القاعدة وما اتفق عليه من تطبيقها في جميع العصور الاسلامية المتقدمة : هو تحويل ولى الأمر بماله من الولاية القضائية العامة الحق في تنظيم هذه الولاية بين قضااته بما يتفق والصالح العام ومصلحة المتقاضين ، وأحوال نقضة من أكثرية صلاح بعضهم للقضاء في بلد دون بلد ، وفي نوع من القضايا دون نوع ، وفي زمان دون زمان ، وليس المقصود بهذه القاعدة الشرعية حرمان المتقاضين من التمتع بالآثار المترتبة على ما أحله الدين !

● ثانياً : إن إباحة تعدد الزوجات ، قد وردت فيها نصوص مفصلة

محكمة من القرآن والحديث وأخبار الصحابة والتابعين ، ولم نسمع أحداً من القائلين بحق ولاية الأمور في النهي عن المباح قال : إن ذلك يسوغ في قضية مثل قضيتنا على ما هي عليه من تنصيب

وتفصيل وأحكام وإجماع - وإنما قالوا يجريان القاعدة في المصالح
المرسلة التي لم يتعرض الدين لها بحل ولا حرمة ..

● ثالثاً : إن قياسه تحريم تعدد الزوجات على تحريم ولى الأمر
زراعة أكثر من ثلث الأرض قطعاً .. قياس مضحك - فهذا شأن
من شئون الدنيا وحدها ،

وقال عليه الصلاة والسلام : «أنتم أعلم بأمور دنياكم» ولم يرد
عن القطن وزراعته ونسجه ولبسه شيء في القرآن والحديث ولا في
الإجماع والقياس .

والحقيقة أنه لا يجوز لأحد مهما بلغ من علم وفقه في دين الله أن
يحرم حلالاً ، ولا أن يحلل حراماً . ثم أن تعدد الزوجات أصبح الآن
أكثر ضرورة من ذى قبل لكثرة عدد النساء زيادة على عدد
الرجال .. ولأن تعليم المرأة أغراها برفض الخطاب في البداية حتى
إذا فاتها قطار الزواج قبلت أى خاطب ولو كان متزوجاً .. حتى
قبلت المدرسات في الجامعات أزواجاً لهن زوجات مع كبر أسنانهم ،
وحتى تمتن طبيبة أن تتزوج ولورجلاً أميناً ، وحتى دعا أدينا الكبير
الأستاذ محمد حسين زيدان إلى أن نواجه ظاهرة (العنوسة) بتعدد
الزوجات !

هل أخطأ إبراهيم عليه السلام :

يقول الله عز وجل في القرآن عن إبراهيم عليه السلام : ﴿وَلَقَدْ
آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رَشْدَهُ مِنْ قَبْلُ . وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾^(١) ويصفه : بأنه كان

(١) سورة الأنبياء ٥١ .

حنيفاً مسلماً ، وأنه كان أمةً قانتاً لله ، وأنه لم يكن من المشركين ..
 فإبراهيم لم يخطئ ثلاث مرات - كما زعم الشيخ الصعیدی - بل
 ولا مرة واحدة ، وإنما هو الحجاج والمناظرة مع قومه ليطل حجّتهم
 في اتخاذهم الكواكب والشمس والقمر آلهةً ، فقلوه : (هذا ربي)
 أى بزعمكم فلما أفل الكوكب قال : (لا أحب الآفلين) لأن الآفل
 عيب ونقص في الآله المزعوم ، واستدرجهم إلى القمر ثم إلى
 الشمس ، فقال لكل واحدٍ منهما عند بزوغه وسطوعه : (هذا ربي)
 فلما أفل القمر ، وأفلت الشمس استدل قومه - لا لنفسه - على
 نقصه . بعدم ثبوتها وتقلبها بين الشروق والأفول ^(١) .

وموقف إبراهيم - هنا - كموقفه عندما طلب من ربه أن يريه
 كيف يحيى الموتى ؟ ﴿ قال أولم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن ﴾
 قلبى ^(٢) فهو هنا يطلب الاطمئنان لنفسه بالحجة المنظورة ، وهو
 هناك يطلب الاطمئنان لقومه بالبرهان المادى المنظور .
 وبعد .. فما هكذا تورّد يا سعد الإبل !!

(١) آيات هذا الحوار في سورة الأنعام من ٧٤ - ٨٣ .

(٢) سورة البقرة ٢٦٠ .

الفصل الثالث

حول لغة القرآن وترجمته وتلاوته

- هل نزل جبريل بمعاني القرآن ؟
- كلمات القرآن عربية كلها .
- ترجمة القرآن حرفياً غير ممكنة ..
- حول كتابة المصحف بالحروف اللاتينية ..
- ملاحظات على قراء القرآن ...
- ملاحظات على تحزيب القرآن .

هل نزل جبريل بمعاني القرآن

في مجلة (القافلة) عدد رمضان (١٤٠٠هـ) دراسة مطولة عن
ليلة القدر بقلم الكاتب الفاضل الدكتور أحمد جمال العمرى -
أورد فيها أقوال المفسرين والمحدثين عن ليلة القدر وبركاتها ،
واختلاف العلماء في تحديدها ، وعن نزول القرآن أولاً إلى سماء
الدنيا جملة واحدة ، وثانياً موزعاً ومفرقاً حسب الوقائع
والأحداث ، على الرسول عليه الصلاة والسلام .

كما تعرض الدكتور العمرى - في هذه الدراسة - إلى أقوال
العلماء عن حقيقة القرآن ومعنى أنه كلام الله عز وجل . وقد لفت
انتباهي من بين هذه الأقوال المتعددة ما نقله الكاتب الفاضل عن
كتاب (البرهان - للزركشى) : إن جبريل إنما نزل بالمعاني وأن النبي
ﷺ علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب ، وقد تمسك القائل
بهذا الرأي بظاهر قوله عز وجل : ﴿نزل به الروح الأمين على
قلبك﴾ !

● قلت : لا شك أن هذا القول باطل مردود ، وإذا كان
الزركشى أورده في كتاب (البرهان في علوم القرآن) أو غيره ممن
اشتغل بالبحث في علوم القرآن - من قدامى وعصريين - من قبيل
تدوين الآراء المختلفة والأقوال المتعددة حول قضية أو مسألة من
المسائل القرآنية ، إلا أنه ينبغي ألا تطرح هذه الخلافات والا تذكر
هذه الآراء الباطلة في المجلات والصحف ، ويجب أن تبقى في مكانها
ومراجعتها لمن يريد أن يدرسها ويقارن بينها وبين الصحيح دارس

وباحث ، ومقارن مقتنع .. وبين الخطأ والصواب .
 ذلك أن المثقفين العاديين - العصريين بصفة خاصة - إذا
 وجدوا رأياً مثل هذا الرأي الباطل منسوباً إلى كتاب (البرهان في
 علوم القرآن) ونهتسأ به من قبل عالم فاضل مثل الدكتور العمري -
 حيث نقله في مقاله بالمجلة - سوف يتأثرون به وربما ذهبوا إليه
 وأيدوه ، أو ربما وجد الملحدون من مثقفي العصر اساتذة وطلاباً
 حجةً فيه للقول بأن القرآن قابل لشتى التأويلات ، ومختلف
 التفسيرات . طالما أن النبي ﷺ كتبه أو عبر عنه بألفاظ من
 عنده .

* * *

والقرآن نفسه في آيات متعددة يكذب هذا الرأي ويجعله باطلاً
 محضاً - فهو تارةً يقول : (إنا أنزلناه قرآناً عربياً) وأخرى يقول
 ﴿كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً﴾ وثالثاً : ﴿وهذا لسان عربي
 مبين﴾ إلى آخر الآيات التي لا نخصيها في هذا الهامش الوجيز .
 والآية التي استدلل بها صاحب الرأي الباطل بتبعها آيتان
 تدحض مازعمه فقد قال الله عز وجل - في سورة الشعراء - :
 ﴿نزل به الروح الأمين - على قلبك لتكون من المنذرين - بلسان
 عربي مبين﴾ فقلوه عز وجل : ﴿بلسان عربي مبين﴾ تؤكد نزوله
 لفظاً ومعنى من عند الله على قلب الرسول عليه الصلاة والسلام .
 كما أن الآيات التي جاءت في سورة القيامة تؤكد أن القرآن نزل
 لفظاً ومعنى من عند الله : ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن
 علينا جمعه وقرآنه - فإذا قرأناه فاتبع قرآنه - ثم إن علينا بيانه﴾ فالله

عز وجلّ أقرأه جبريل ، وجبريل أقرأه محمداً ، وأمره الله في هذه الآيات أن يتبع قراءة جبريل نصاً وحرفاً - وأوصاه الا يستعجل في حفظه خوف السهو والنسيان ، فقد تكفل عز وجلّ بجمعه في صدره كما هو ، كما تكفل في سورة الحجر بحفظه من التحريف والتبديل : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون﴾ .

وقد جاء في الحديث الصحيح : إن جبريل عليه السلام كان يذاكر الرسول عليه الصلاة والسلام كل عام القرآن مرة واحدة ، وفي العام الذي توفي فيه ذاكره مرتين .

● فكيف يقال أن القرآن أنزل عليه بالمعنى وأنه عبر عنه بألفاظ من عنده ؟

إنه لا شك رأى باطل ، ومذهب مردود ، ويحسن بالكتاب والمؤلفين العصريين ألا يوردوه في مقالاتهم ومؤلفاتهم .. خشية من فتنة الشباب الذي يفقد بحكم تطورات العصر وأحداثه وهوميه ومشاغله - الدقة والأناة في التفكير والتدبر والاقتناع بالصائب من الآراء .

كلمات القرآن كلها عربية

كتب كاتب فاضل في إحدى صحفنا المحلية تحت عنوان (في القرآن الكريم خمسون لغة .. وأكثر من مائة كلمة غير عربية) يروى أقوال بعض المشتغلين بالدراسات القرآنية قديماً وحديثاً .. حول وجود كلمات غير عربية في القرآن الكريم^(١)

(١) الأستاذ محمد عبد الله مليباري في جريدة (الدوة) ١٣٩٧/١٢/٢٥ هـ .

أما قوله يوجد في القرآن خمسون لغة ، فهو يعنى - كما نعتقد -
خمسين لهجة عربية . لأن القبائل العربية وإن كانت تجمعها اللغة
الأم إلا أنها تختلف في لهجاتها وبعض معاني كلماتها .. مما يفضل أن
نسميه اختلاف لهجة لا اختلاف لغة . لأن لغة العرب واحدة ،
والقبائل العربية تتفاهم فيما بينها بهذه اللغة الواحدة ، وتعرف كل
واحدة منها لهجة القبيلة الأخرى .

وقد نقل الكاتب الفاضل قول الامام السيوطى : (إن في
القرآن ثمانى لغات غير عربية استعملت ألفاظ منها في كتاب الله ،
وهى ألفاظ معربة ، وهذه اللغات هى الفارسية ، والرومية ،
والنبطية ، والحبشية ، والبربرية ، والسريانية ، والقبطية) .

ثم ذكر الكاتب الكلمات غير العربية التى وردت في آيات
القرآن - ومنها طوى - وأسفار - وحرم - وأليم - والصراط - وكثر -
وقنطار - ودينار - ومسك - والأب - ومتكئا - وقسورة -
ومشكاة - ومصرهن - والرحمن الخ .

ويرى الكاتب الفاضل : أن وجود هذه الألفاظ غير العربية في
القرآن دليل على عالمية العرب واختلاطهم بالحضارات التى
عاصروها . وأن القرآن لم يستعمل هذه الألفاظ غير العربية إلا بعد
أن تداولتها ألسنة العرب وفهموها .

* * *

ونحن نرى غير ما رأى الكاتب الفاضل .. وغير ما زعمه
الزاعمون القدامى والمحدثون من وجود كلمات غير عربية في القرآن
الكريم ..

وقد سبق لنا أن رددنا على الأستاذ محمد صبيح في كتابه :
(عن القرآن) حين قال : إن كلمة (أب) معناها : فاكهة كما يرى
الأستاذ (شدة) في اللغة الحبشية .. أى أن الآية ذكرت الكلمة
العربية وما يرادفها بالحبشية تأكيداً ، وتشبيهاً للمعنى ..

رددنا عليه وعلى أستاذه (شادة) بأن (أب) نوع من النبات -
كما يقول اللورد أفيرى في كتابه : (محاسن الطبيعة) وهو مطعوم
الحيوانات كما يقول الأستاذ طنطاوى جوهرى في تفسيره المعروف .
وتؤكد هذا المعنى كتب اللغة كالقاموس والمصباح والمختار ،
وتضيف بعضها بأن (الأب) مرعى أو كلاً ترعاه البهائم .

وإذا كان (الأب) في اللغة الحبشية يعنى الفاكهة .. فهذا لا
يعنى بالضرورة أن في القرآن لفظاً غير عربية ، وإن القرآن كرر
كلمة فاكهة بكلمة (أب) ليكون تعبيره باللغتين العربية والحبشية
من قبيل الترادف . لأن هذا الزعم الأخير والفهم الغبى يناقض
بلاغة القرآن وإيجازه وإعجازه ..

وذهب الأستاذ صبيح مرة أخرى المذهب نفسه في كلمة
(اللهو) فقال : إنها بلغة أهل اليمن تعنى (المراة) في قوله تعالى :
﴿اتخذوا دينهم هوأ ولعبأ﴾ وهو يريد بهذا التفسير والزعم بأن في
القرآن ألفاظاً غير عربية : تنزيه القرآن من الترادف في ألفاظه .. لأن
اللعب واللهو لفظتان مترادفتان .

وبذلك يرتكب خطأين : الزعم بأن في القرآن ألفاظاً أعجمية
وأن في كلماته المعطوفة ترادفاً لا يليق ببلاغته وإعجازه .

أما الترادف في كلمتي اللعب واللهو ، أو الفاكهة والأب - فغير

واقع ، وغير صحيح . وقد رأينا أن الفاكهة مطعوم الإنسان والأب مطعوم الحيوان كما قرر ذلك علماء النبات وعلماء اللغة معاً .
واللعب واللهو مختلفان أيضاً وليسا مترادفين كما توهم الأستاذ صبيح فاللعب يأتي دائماً للعبث والتطريب والتضحيك والسخرية والهزل ، وأمثلة ذلك محسوسة في الواقع البشرى لا تحتاج إلى ذكر أو سرد .

أما اللهو فهو ما يلهي صاحبه عن المكارم والمحسن ، وقد يكون سخرية وهزلاً وعبثاً وإضاعة للوقت والمال ، وقد يكون انشغالاً بالتجارة الدائبة والكسب الناصب عن أعمال البر والعبادة .. أو انصرافاً إلى النساء والبنين عن الخدمات الوطنية والاجتماعية .. وعلى ذلك يكون معنى (اللهو) الانشغال .. سواء أكان بشاغل مسعد أو مشقى ، أو شاغل مضحك أم مبكى .

* * *

وزعم أيضاً أن كلمة (آية) وكلمة (سورة) عبريتان نقلا عن مصحف (سيل) وهما كلمتان عربيتان لا شك في أصالتها العربية .
فإن معاجم اللغة تكاد تجمع على أن (الآية) معناها : العلامة - أو الشخص - أو العبرة . وآيات القرآن : علامات ، وأشخاص ، وعبر ، هي علامات لما فيها من معالم الحق والخير والجمال . وهى أشخاص أو شخوص لأن معانيها المعجزة شواخص للذهن المتأمل المتدبر المتفكر ، كذلك هى عبر ومواعظ لما فيها من قصص وأمثال ينتفع بها أولو الألباب .

كذلك تكاد تجمع معاجم اللغة على أن (السورة) معناها

المنزلة .. وسور القرآن منازل ومقامات .. مقام بعد مقام ، ومرحلة بعد مرحلة من الوحي الالهي الرفيع البديع ..
 أو هي مخففة من (نسورة) بمعنى البقية : أى أن كل سورة من القرآن بقية من الوحي الالهي الذي كان ينزل شيئاً فشيئاً ..
 أو هي من (السور) لأن كل سورة محيطة بآيات معدودة تبتدىء ببداية خاصة وتنتهى بنهاية مماثلة .

* * *

وبالرجوع إلى (الرسالة) للأمام الشافعي ، ومقدمة تفسير الامام الطبري ، وكتاب (التقريب) للقاضي أبي بكر بن الطيب ، وكتاب (البرهان) في علوم القرآن للإمام الزركشي ، وإلى آراء بعض أئمة اللغة العربية كأبي عبيد ، وأبي الحسن بن فارس نجدهم جميعاً يتفقون على أنه ليس في القرآن غير العربية .. لأن الله تبارك وتعالى جعله معجزة لنبيه ﷺ ، ودلالة قاطعة على صدقه ، وليتحدى به العرب العرباء ، ومحاضر البلغاء والفصحاء والشعراء بآياته المعجزات .

وبين أيدينا وأعيننا وأسماعنا القرآن نفسه يقرر جازماً حازماً أصالته العربية في كل ألفاظه وجملته وآياته وسوره وحروفه :

- ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ .
- ﴿كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾ .
- ﴿وكذلك أنزلناه حكماً عربياً﴾ .
- ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً﴾ .
- ﴿لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين﴾ .

● ﴿لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين﴾ .
نعود إلى مزاعم القائلين بوجود ألفاظ أعجمية فى القرآن
الكریم ، ونستفتح بكلمة للإمام الشافعى رحمه الله فى كتابه
(الرسالة) يقول فيها : (ليس فى كتاب الله شىء إلا بلسان
العرب .. وهو أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها ألفاظاً ، ولا يحيط
بجميع علمه أحد) .

وقد أشرنا إلى بعض العلماء الأقدمين لباحثين فى علوم القرآن
الذين نفوا أيضاً وجود كلمات غير عربية فى القرآن الكرم كالإمام
الطبرى والقاضى أبى بكر بن الطيب ، والإمام الزركشى ، وأبى
عبيد وابن فارس .

ونضيف اليوم : أنهم لا يمتنعون وجود أعلام أعجمية فى القرآن
كأسماء بعض الأنبياء : نوح ولوط واسرائيل .

ونقول : لو أن العرب العرباء الذين استمعوا إلى القرآن ..
وجدوا فيه حرفاً واحداً من غير العربية لكان لهم حجة فى الطعن
عليه ، ولقالوا : إن محمداً يخاطبنا بغير حروفنا ، أو بغير ما نعرف من
كلام . ولكنهم افتقدوا هذه الحجة فلم يجدوا أمامهم إلا أن يزعموا
أن القرآن : سحر أو شعر أو أنه أساطير الأولين .

ولا يمنع كون القرآن عربياً خالصاً : أن تكون هناك لفظة أو
كلمة منه معروفة أو مستعملة عند أمة غير عربية أو متداولة بين
أفرادها وتكون بذلك مشتركة بين العربية وغيرها ، أو متبسة أساساً
من العربية !. كما هو مشاهد وملحوظ فى لغات الفرس والهنود
والترك من اشتداف على كلمات عربية أصيلة أصبحت فى تلك

اللغات الأعجمية أصيلة فيها أيضاً .

* * *

ولا ندري كيف يزعم هؤلاء أن كلمة (أليم) زنجية - وكلمة (بعير) عبرية - وكلمة (ناشئة) حبشية - مع أن كلا منها أصيل في اللغة العربية ، وخاصة الكلمات ذات الاشتقاق الواسع مثل (أليم) فمنها الاسم (الأم) والفعل (يألم) وقد جاء في القرآن قوله عز وجل : ﴿يَأْمُرُونَ كَمَا تَأْمُرُونَ﴾ ..

ومثلها كلمة (ناشئة) فقد ورد في القرآن قوله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ .. وقوله تعالى : ﴿وَنَنْشِئُكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقوله : ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الخ .

وكذلك لفظة (حرم) التي زعموا أنها حبشية . وهي عربية أصيلة ذات اشتقاق واسع ، فقد أورد القرآن : ﴿لَمْ نَحْرَمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ و ﴿يَحْلُوهُ عَاماً وَيَحْرُمُونَهُ عَاماً﴾ و ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَن يَكُونُوا﴾ لا يرجعون﴾ الخ ..

وكلمة (الرحمن) التي زعموا أنها غير عربية واشتقاقاتها المتعددة تدل على أصلاتها في لغة العرب فمنها : (رحيم) و (الرحمة) : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ و ﴿رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾ . ومن العجائب أيضاً قولهم : إن قوله عز وجل ﴿يَوْمًا يُجْعَلُ الْوِلْدَانُ شَيْئاً﴾ .. السماء منفطر به﴾ يعني أن السماء ممثلة به باللغة الحبشية .

ولا أدري كيف ينكرون مادة (فطر) ومشتقاتها الأصيلة في اللغة العربية ؟ ثم هل تمتلئ السماء بيوم القيامة الهائل ؟ وما صورة هذا

الامتلاء ؟ أم المعنى الصحيح أن السماء تنشق وتطوى كطى السجل للكتب .. كما نص القرآن نفسه فى سورة الانفطار : ﴿إذا السماء انفطرت﴾ .

ولا يقف هؤلاء الزاعمون أن فى القرآن ألفاظاً أعجمية عند حد - بل يتادون فى أفهامهم العجيبة الغربية حتى انهم ليتناقضون فى تفسير اللفظة مع المعنى المفهوم من سياق الآية ..

وذلك كقولهم : إن (سجداً) من سورة مريم فى قوله عز وجل : ﴿خروا سجداً وبكياً﴾ معناها بالسريانية مقنعى رؤوسهم . واقناع الرأس رفعه .. كما جاء فى سورة إبراهيم ﴿مهطعين مقنعى رؤوسهم . لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾ فكيف يكون معنى (سجداً) هنا بمعنى رافعى رؤوسهم إلى فوق ؟ وأول الآية يصفهم بأنهم (خروا) أى هبطوا ونزلوا ، وآخرها وصفهم بأنهم كانوا (بكياً) .. فهل يهبطون إلى تحت ويبيكون وهم رافعوا الرؤوس ؟ ومن عجائبهم وغرائب تفكيرهم وتفسيرهم قولهم : إن (سفرة) من سورة (عبس) : معناها بالنبطية (قراء) - ولفظ (سفر) أصيل فى اللغة العربية ، واشتقاقاته الفعلية والاسمية متعددة ومعروفة . ووصف الملائكة بأنهم (سفرة) بالمعنى العربى أصح وأفصح .. فهم سفراء بين الله عز وجل وبين رسله وخلقه أيضاً .. بينه وبين رسله بالوحى وبينه وبين خلقه بالتدبير والحفظ وتسجيل الأعمال . ولأن سياق الآيات يعنى ذلك : ﴿كلا إنها تذكرة - فمن شاء ذكره - فى صحف مكرمة - مرفوعة مطهرة - بأيدي سفرة - كرام بررة﴾ .

أى أن القرآن الكريم منزل من عند الله عزّ وجلّ مع سفراء
أمناء .. لا يبدلونه ولا يحرفونه فأين معنى (سفراء) من معنى
(قراء) !

وبعد .. فهذا ما أحببنا أن نعقب به على رأى الكاتب الفاضل
حول مزاعم القائلين بوجود ألفاظ أعجمية فى القرآن الكريم .

ترجمة القرآن حرفياً غير ممكنة !

حول ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى يدور حوار دائم
بين الطلاب المبتعثين لاتمام دراستهم خارج المملكة ، لأنهم يرون
إخوانهم المسلمين من الأمريكيين والأوربيين لا يستطيعون أن يقرأوا
القرآن ويدركوا إعجاز آياته ، ويفهموا معانيها الروائع .. كما يسعد
بذلك من يعرف اللغة العربية .

ولذلك يطالبون بترجمة القرآن الكريم ، ويدعون إلى ذلك
بالحاج .. لأنهم يحبون بصدق أن يدرك المسلمون من غير العرب
بلاغة القرآن الكريم وروعة ألفاظه ، وجمال معانيه ، وعدالة
أحكامه ، وعظمة مبادئه .

وقد سألتى أحد هؤلاء الطلاب قائلاً : أثناء حوارى مع زملائى
حول المطالبة بترجمة القرآن الكريم ذكر بعضهم أن العلماء منعوا
الترجمة وحرموها ، وأباحوا ترجمة التفسير والمعانى فقط .. على أن
تُسمى الترجمة : (تفسير القرآن) أو (بيان المعانى القرآنية) ولا يطلق
عليها إسم (المصحف الشريف - أو القرآن الكريم) فما هو رأيكم فى
ذلك ! .

● قلت للطالب السائل : هذا صحيح .. فقد أدرك علماؤنا المخلصون الصادقون : أن الترجمة الحرفية للقرآن لا تتأتى .. لأن أسلوب القرآن في أعلى قمم البلاغة العربية ، ومن صورها الاستعارة والمجاز ، والكناية ، والمعنى المشترك ، والتضمين والحذف والإيجاز ، والمطلق والمقيد ، والخاص والعام ، الخ

ونضرب لذلك بعض الأمثلة .. قوله عز وجل : ﴿هَن لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾^(١) كيف تترجم كلمة (لباس) ؟ إنها لو ترجمت حرفياً لا تؤدي المعنى المقصود منها .. وسيكون البديل اللفظي عنها في اللغة الأخرى ما معناه باللغة العربية : (الثوب) أو الرداء .. أو أى لفظة أخرى تفيد المعنى المتعارف عليه بين الناس . وهو غير مقصود من الآية - كما أسلفنا - وإنما استعار القرآن لفظة (لباس) للتعبير عن الصلة الطبيعية بين الرجل والمرأة لأن كلا منهما يشتمل على الآخر ويستتره عن الحرام .. كما تستر الثياب عورات الأجسام .

ولا نجد في لغة غير العربية هذا المعنى البلاغي في كلمة واحدة لتضعها بدلاً عن كلمة (لباس) وإنما تحتاج إلى تفسير المقصود منها بجملة تعدد كلماتها إلى نحو العشر أو تزيد .

ومثلها كلمة (المس) في قوله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمَنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ لَكُمْ عَلَيْهِنَ مِنْ عَدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾^(٢) فإن معناه : الدخول بالزوجة أى

(١) سورة البقرة ١٨٧ .

(٢) سورة الأحزاب ٤٩ .

مباشرتها ، وليس المقصود منه مجرد المعنى اللغوى أى اللمس باليد ،
أو أى جزء من الجسد .

كذلك كلمة (حرث) فى هذه الآية : ﴿نساؤكم حرث لكم
فأتوا حرثكم أنى شئتم ..﴾^(١) فالحرث فى اللغة الأرض التى تعد
للزراعة ، وقد أطلقت الكلمة هنا من قبيل المجاز أو تشبيه الزوجة
بالأرض وتشبيه اتصال الرجل بها من أجل الولد بزرعها .. تماماً كما
تحرق الأرض وترزع لتنبث الثمار من غذاء وفاكهة للإنسان
والحيوان .

ومثل آخر .. قوله عز وجل : ﴿فكلوا واشربوا حتى يتبين لكم
الخط الأبيض من الخط الأسود من الفجر﴾^(٢) لا تؤدى ترجمة
الآية الحرفية إلى المراد من الخط الأبيض والخط الأسود .
والأمثلة على عدم إمكانية الترجمة الحرفية لألفاظ القرآن الكريم
وآياته - لا تحصى فى حديث أو حتى فى كتاب ، وإذن فلا بأس أن
تترجم تفاسيره ومعانيه ، ولا تسمى مصحفاً ولا قرآناً .. لأنها
ليست من كلام الله الحرفى الذى حفظه عز وجل من التحريف
والتبديل : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون﴾ .

حول كتابة المصحف ..

بالحروف اللاتينية

نشرت «المسلمون» يوم ١٢/٤/١٤٠٧هـ - ١٣/١٢/١٩٨٦م
خبراً عن تأليف لجنة بجامعة الأزهر لطبع المصحف ورسم كلماته

(١) سورة البقرة ٢٢٣ . (٢) سورة البقرة ١٨٧ .

بالحروف اللاتينية لمساعدة المسلمين غير الناطقين بالعربية على قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة .. وجاء - في الخبر - ان الطبعة الجديدة سوف تشتمل كل صفحة منها على ثلاثة أقسام الأولى تكتب فيه السورة باللغة العربية بالرسم العثماني - والقسم الثاني : خاص بالكتابة الصوتية أى تمثيل الصوت العربى بالحروف اللاتينية - والقسم الأخير لترجمة معانى القرآن الكريم باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية كل على حدة» .

هذا الخبر .. عقب عليه الدكتور محمد أحمد أبوفراخ بمجلة «الدعوة» السعودية الصادرة يوم ١٤٠٧/٥/٥ - ١٩٨٧/١/٥ معترضاً على فكرة كتابة المصحف بالحروف اللاتينية ... حيث قال : إن هذا أمر ممنوع جملة وتفصيلاً .. علماً وعملاً ، لا يمكن تحقيقه إلا إذا وجدت حروف لاتينية جديدة تنطبق على الحروف العربية وهو أمر غير ممكن لأن العربية تمتاز بحروف لا توجد في اللغات الأخرى مثل (الضاد) و (العين) و (الغين) و (القاف) كما لا يمكن تحقيق الغنة ، والاختفاء ، والادغام ، والمدّ اللازم ، والاقلاب الخ .

ويضيف الدكتور أبوفراخ : إن العلماء قد منعوا كتابة المصحف بغير الرسم العثماني .. فكيف يجيز علماء اليوم كتابة المصحف بغير الحروف العربية - أى بالحروف اللاتينية وغيرها ! ثم أشار إلى أن هناك كلمات في المصحف تكتب على غير الاملاء العادى مثل (الصلوة) و (الربوا) و (الحياة) و (البلاء) و (رحمت)

بالتاء المفتوحة - فكيف تكتب بالحروف اللاتينية - كما أن الحروف المقطوعة في أوائل بعض الصور مثل (الم - والر - والم) كيف تكتب ؟ هل تكتب كما كتبها عبد الله يوسف : (A-L-M) ؟ وكيف تكتب (ص) ؟ هل تكتب (SAD) وهي بمعنى حزين ؟ وماذا تفعل اللجنة المؤلفة لأجل هذا الأمر في بعض الكلمات القرآنية التي تقرأ على وجهين مثل (مالك - ويخادعون - والرياح) وغيرها ؟

ثم يؤكد الدكتور أبو فراخ : أنَّ هذا العمل سيتيح الفرصة لأعداء الاسلام للمزيد من تحريف القرآن الكريم - ويرى أن يستبدل هذا المشروع بمحاولات جادة لتعليم العربية لغير الناطقين بها ليسهل عليهم قراءة القرآن باللغة العربية - ثم يذكر اللجنة بما فعله أتاتورك حين استبدل الحروف اللاتينية - في اللغة التركية - بالحروف العربية ، وتأثير ذلك على الأتراك في كتابتهم وكلامهم وثقافتهم الاسلامية ، وكذلك ما حدث في جزيرة الملايو من احلال الملايوية محل العربية بين المسلمين هناك .

● ولا شك أن اعتراض الدكتور أبو فراخ وجيه من بعض الوجوه . ومع ذلك نرى أنه لا بد من تيسير قراءة القرآن على غير الناطقين باللغة العربية .. ممن يدخلون في الاسلام قبل أن يتعلموها ، فنبذلاً ، محتاجون إلى قراءة قصار السور - على الأقل - ليقرواها في صلواتهم الخمس كل يوم .

ولذلك أرى أن يقتصر عمل اللجنة على كتابة «جزء عم» وحده بالحروف اللاتينية على أن يوضع في جانب الحرف اللاتيني النص

القرآني بالحرف العربي .. من أجل تيسير قراءة سور الصلاة على معتقي الاسلام من الشعوب غير العربية الذين نلاحظ ترايد اعدادهم خلال السنوات العشر الأخيرة .

أما ما ذكره الدكتور أبو فراخ من مخاوف أخرى مثل تعذر أو تعسر كتابة الحروف المقطعة في أوائل السور فأرى أن ذلك ليس عسيراً ، وهى يجب أن تكتب مثل منطوقها ، لا على طريقة عبد الله يوسف (A.L.M) وإنما تكتب هكذا (Alif, Lam, Meem) ومثلها جميع الأحرف الأخرى مثل (ص) و (ق) وغير مهم أن لا نجد في اللغة اللاتينية حروفاً تماثلها في النطق تماماً .. لأن الأعجمي نفسه لا ينطقها ولو كتبت بالحروف العربية إلا مثل نطقها بالحرف اللاتيني .. ومثلها الضاد والطاء فهو ينطقها «دالاً» و «تاء» وقد تعود لسانه على حروف لغته الأصلية .

وكذلك كلمات (الصلاة) و (الربا) واشباهها تكتب حسب نطقها لا حسب الإملاء العثماني - هكذا : (Assalat) و (Arriba)

ونلاحظ هنا : أن قول الدكتور أبو فراخ بمنع العلماء كتابة المصحف بغير الرسم العثماني ليس مطلقاً - أولاً : لأن الرسم العثماني ليس أمراً توقيفياً أمر به الرسول ﷺ ، وإنما كان هو المستوى الممكن الموجود من الإملاء أو الكتابة في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه .

وثانياً : لأن المنع من تغيير الرسم العثماني كان ولا يزال من قبيل «سد الذريعة» أى تخوفاً من جراءة الأجيال التالية من تغيير رسم

القرآن كلما بدت لبعضهم رغبة في التحسين والتسهيل .
وثالثاً : لاختلاف املاء الكلمة الواحدة في رسم المصحف
العثماني بين سورة وسورة لاختلاف المستوى الكتابي للخطاطين -
مثل كلمات (الأيكة) و (الجنة) و (نبأ) و (الإصلاح) إلخ .
ورابعاً : لأن بعض المانعين - من علماء السلف - أرادوا اقتفاء
أثر الصحابة رضي الله عنهم على سبيل التبريك كما يقول ابن
خلدون .

خامساً : نقل عن الأئمة مالك والعزبن عبد السلام والقاضي
أبي بكر وابن خلدون اجازتهم كتابة المصحف للصغار بالاملاء
العادي ليتمكنوا من قراءته وحفظه .

وقد بحث هذه المسألة بتفصيل وسعة في كتابي «مع المفسرين
والكتاب» في طبعته الأولى سنة ١٣٧٣ والثانية سنة ١٣٩٤ هـ .

ملاحظات على قراء القرآن

أعني بالقراء حفظة القرآن الكريم الذين يرتلونه في الاحتفالات
المسارة والحزينة - أقصد المآتم - وإن كان ترتيبهم للقرآن الآن اتسع
وازداد انتشاراً بواسطة الاذاعات والتلفازات ، وبخاصة إذاعات
القرآن المخصصة له .

وهؤلاء القراء جدراء بالإجلال والمودة والحب والتعظيم ،
لأنهم حملة كتاب الله المجيد . وقد جاء في التوجيه النبوي : (إن من
إجلال الله : إجلال ذى الشبهة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالى

فيه ولا الجافى عنه ، والإمام المقسط^(١) أو كما قال عليه السلام .
والأحاديث النبوية الواردة في تعظيم حملة القرآن كثيرة لا تتسع
لها هذه الكلمة الوجيزة ، ونكتفي بواحد منها غير ما أسلفنا ، وهو
قوله عليه السلام : «إن لله أهلين من الناس - قالوا : من هم يا رسول الله
قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» .

فحسب حملة القرآن أنهم أهل الله وخاصته ، وحسبهم كذلك
أن الله جعل من إجلاله تبارك وتعالى إجلالهم لأنهم حفظه كتابه
الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

لقد أردت بهذا التقديم : أن أقول لحملة القرآن الكريم - وأعني
القراء في مقدمتهم - أن يهتموا بمعانى الآيات التى يرتلونها ، واتصال
بعضها ببعض بحيث يجب الوقف أحياناً ، كما يجب الوصل أحياناً
أخرى .. فالقرآن الكريم ليس مجرد آيات تقرأ كيفما اتفقت القراءة ،
وحتى لو ختمت الآية يجب أن نلاحظ أن بداية الآية التالية هل
ترتبط بها أم لا ترتبط ؟

فهناك آيات عديدة ختمت حسب الترتيب أو الترقيم وحسب
نظام الآيات فى السورة ، ولكنها من حيث المعنى مازالت مرتبطة
بالآية التى تليها ارتباطاً قوياً بحيث لا يجوز الوقف فى ختام الآية
السابقة بل يجب وصل الختام بالبداية - كقوله تبارك وتعالى :
﴿وهم من بعد غلبهم سيفلبون﴾ وهو ختام الآية الثالثة من سورة
الروم لكنه موصول بالآية الرابعة : ﴿فى بضع سنين﴾ أى أن

(١) رواه أحمد والدارمى .

غلبة الروم ستكون خلال بضع سنوات قادمة - ثم يأتي تمام الآية الرابعة : ﴿... لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ..﴾ وهذا الختام متصل أيضاً بالآية التالية : ﴿ينصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ .

وقد لاحظت قارئاً كبيراً مشهوراً^(١) - يقف في تلاوته لبعض آيات من سورة يوسف ، أى يختم تلاوته بقوله «صدق الله العظيم» بالآية : ﴿ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ، وأن الله لا يهدى كيد الخائنين﴾ وكان حقاً عليه أن يصلها بالآية التالية لها : ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم﴾ لأن هذه الآية من تمام كلام امرأة العزيز ، فكان ينبغي وصلها بالآية السابقة لها .. لأن الاستئناف بآية : ﴿وما أبرئ نفسي ..﴾ في تلاوة أخرى يجعل الآية لا مفهوم لها ، أو غير مذكور من قالها أو من حكيت عنه .

ولعل الذى أوقع هذا القارئ الكبير في هذا الخطأ ، كما أوقع فيه بعض أئمة المساجد عندما يقرأون سورة يوسف في صلاة التراويح في رمضان - هو الخطأ الواقع في تحزيب المصحف .. فتحزيب المصحف جعل آية ﴿وما أبرئ نفسي﴾ بداية الحزب الخامس والعشرين وبداية الجزء الثالث عشر ، وهو خطأ كغيره من أخطاء التحزيب المتعددة . وكان الصواب أن تكون بداية الحزب (٢٥) والجزء (١٣) هي الآية : ﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه

(١) هو الشيخ مصطفى اسماعيل رحمه الله .

لنفسى .. ﴿﴾ لأنها بداية فصل جديد من قصة يوسف عليه السلام .
وهناك ملاحظة مهمة على أحد القراء المشهورين ، وهو خلف
لسلف مشهور أيضاً ، أى أنه ابن قارئ كبير معروف - رحمه
الله - (١) .

وهى - أى الملاحظة - إنه عندما يقرأ سورة الرحمن يبدأ
هكذا : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم . الرحمن .﴾ ويقف ، أى إنه
يصل أول السورة - لفظة «الرحمن» وحدها مع البسملة ثم
يستأنف : ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ ..﴾ وفى هذا تخليط وتغليط ..

تخليط لأنه كرّر لفظ «الرحمن» بعد الرحمن الرحيم .. وتغليط
للعامة وللأعاجم فقد يتوهمون إن هذه بسملة جديدة يتكرر فيها اسم
«الرحمن» ثم لا بدّ لاستقامة معنى الآية أن نصل الآية الأولى من
سورة الرحمن وهى : (الرحمن) بالآية التالية : ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾
لأنهما تكونان جملة واحدة من مبتدأ وخبر ، أو فاعل وفعل
ومفعول به .. وهما من الآيات التى أسلفنا القول من ضرورة وصلها
فى سورة الروم وغيرها .

كما لاحظت الشيخ محمد محمود عوض يقرأ أوائل سورة الروم
حيث يفصل ما حقه الوصل بين آيتين - وليتضح خطأ التلاوة نذكر
الآيات الأولى من سورة الروم وهى قوله عزّ وجلّ : ﴿أَلَمْ (١) غَلَبَتْ
الرُّومَ (٢) فِى أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِى
بَضْعِ سَنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤)

(١) هو القارئ الشيخ محمود صديق المشاوى .

بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم (٥) .

والملاحظ على القارئ أنه يقف وقفة طويلة على ختام الآية الثالثة : (سيغلبون) ثم يستأنف : ﴿ في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد .. ﴾ وبذلك يجعل الظرف : ﴿ في بضع سنين ﴾ تابعاً لما بعده في حين أنه ظرف لما قبله : (سيغلبون) وبهذا ينحرف المعنى انحرافاً خاطئاً خطأ كبيراً إذ يحصر أمر الله لأزلي الأبدى المعبر عنه بقوله : ﴿ من قبل ومن بعد ﴾ يحصره ﴿ في بضع سنين ﴾ مع أن بضع السنين هذه هي ظرف لما قبلها : (سيغلبون) أى أن الروم بعد هزيمتهم أمام فارس سينتصرون عليها خلال بضع سنين . وقد تمت هذه المعجزة القرآنية .. في قصة طويلة لا يتسع المجال لسردها .
والذى أهدف إليه من كتابة هذه الملاحظة أن إذاعة القرآن الكريم تستطيع إصلاح هذا الخطأ في هذه التلاوة .. وذلك بإعادة التسجيل مع قطع الوقفة التي وقفها القارئ على جملة (سيغلبون) ووصلها بجملة (بضع سنين) ثم يقف التسجيل وقفة بسيطة يواصل بعدها : (لله الأمر من قبل ومن بعد ..) الآية ..

ملاحظات على تحزيب المصحف

إن قراء القرآن - أى حفظته بالدرجة الأولى - يجب أن لا يكتفوا بحفظه أو تلاوته ، وإنما ينبغي أن يتدبروا معانيه ، واتصال عباراته وجمله ، ووحدته موضوعاته ومقاطععه - دون التزام بنظام التحزيب فيه . لأن التحزيب - كما أسلفت - فيه أخطاء ، وهو لا يقوم على قاعدة مسلمة .

ونضرب الأمثال على ذلك ، ونكرّر التذكير في البداية بما لاحظناه آنفاً في سورة يوسف إذ كان الواجب أن يبدأ الحزب الخامس والعشرون بالآية : ﴿ قَالَ الْمَلِكُ .. ﴾ وهذه بعض الأمثلة :
 ● أولاً : بداية الحزب الرابع من سورة البقرة هو الآية : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ .. ﴾ وكان ينبغي أن تكون ختام ثلاثة أرباع الحزب لأنها متصلة بآيات الحج وموضوعه ، وتكون الآية التالية : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُجُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .. ﴾ هي بداية الحزب الرابع .

● ثانياً : بداية الحزب التاسع من سورة النساء هو الآية : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ .. ﴾ وكان ينبغي أن تكون ختام ثلاثة أرباع الحزب لأنها متصلة اتصالاً لفظياً ومعنوياً بالآية : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ .. ﴾ وآية المحصنات بل المحصنات أنفسهن معطوفات على المحرمات في الآية السابقة - فيجب الفصل ، ثم تكون بداية الحزب التاسع : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً .. ﴾ ومن الممكن أيضاً أن نرجع ببداية الحزب التاسع إلى آية : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ .. ﴾ لثلاث تطول المسافة بين أرباع الحزب الواحد .. فإما أن نتقدم آية أو نتأخر آية من أجل ارتباط المعاني ، وإدراك المقاصد القرآنية ، وعدم الفصل بين المعطوفات اللفظية والمعنوية .

ثالثاً : يبدأ الحزب الواحد والعشرون من الآية : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ .. ﴾ وكان ينبغي أن يبدأ من الآية : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى .. ﴾ وهي سابقة على الآية الأولى ..

والله عز وجل خلال الآيات الثلاث ينقى الحرج واللوم عن أصحاب الأعدار المذكورين في الآيتين (٩١ و ٩٢) ويشتهر في حق الذين يستأذنون الرسول عليه الصلاة والسلام للتخلف عن الجهاد مع أنهم قادرون عليه في الآية (٩٣) .. فالفصل بين نقي الحرج على طائفة وإثباته على طائفة أخرى لا يصح بحال من الأحوال . وهناك خلال أحزاب المصحف البالغة ستين حزباً أمثلة عديدة من عدم التنظيم والتوفيق بين المواقف بحيث يستقيم اللفظ والمعنى معاً لقارئ القرآن حين يبدأ أو حين ينتهى .

ومن الملاحظ على تحزيب المصحف أنه لا يخضع لعدد الآيات أو لعدد الصفحات ، وعدد الصفحات أضبط وأصح لأن مساحة الصفحة واحدة في المصحف ، ولكن الآيات تختلف طولاً وقصراً .. فبعض الآيات كلمة واحدة كالحروف التي تبدأ بها بعض السور (كطه) و (يس) و (الم) السجدة وأمثالها ، وبعض الآيات كلمتان كالأية (عذراً أو نذراً) من المرسلات ومثلها من السورة نفسها : (ليوم الفصل) وبعض الآيات تستغرق صفحة كاملة كآية الدين في سورة البقرة ، أو نصف صفحة كآية الكرسي .

ولهذا لا يستقيم التحزيب بعدد الآيات ، وإنما يستقيم بعدد الصفحات لأن الصفحات متساوية - كما أسلفنا -

وقد لاحظنا أن أرباع الحزب قد يستغرق بعضها ثلاث صفحات من المصحف وبعضها صفحتين ونصف ، وبعضها صفحتين ، وبعضها صفحة ونصف ..

ولست أدعو إلى تغيير تحزيب المصحف .. وإنما أدعوا القراء

الا بتقيدوا بهذا التحزب في قراءتهم ، وإنما عليهم أن يلاحظوا ارتباط آخر ريع الحزب بالريع التالى من حيث المعنى وحده أو المعنى واللفظ معاً ، لأن هذا الفصل لا يفعله المتكلم العادى - أى إنسان - حين يتحدث أو يخطب .. فكيف نرضاه لكلام الله ، الذى هو أفضل الكلام وأجمله ، وأبلغه وأصدقه ؟

الفصل الرابع

هوامش وتعقيبات

- حول التفسير والمفسرين .
- حول الأنبياء والرسل .
- حول الحتمية التاريخية .
- «ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً» ..
- «حتى يعطوا الجزية عن يد» ..
- حول قتل الإنسان للإنسان ..
- أكلة الربا يوم القيامة
- الطفولة والشيخوخة في تقدير القرآن .
- الملائكة والتكرار في القرآن .

حول التفسير والمفسرين

قرأت في مجلة (الدارة) العدد ٣ الصادر في شوال ١٣٩٧ مقالاً للأخ عبدالله العسكر عن «ذى القرنين .. بين الخبر القرآني والواقع التاريخي» .

وقد بذل الكاتب الفاضل جهداً مشكوراً لتحقيق شخصية ذى القرنين وما قاله عنه المؤرخون والمفسرون ، واختلاف اسمه وموطنه بين قول وقول أو رأى ورأى . ولم ينته البحث في أمره ، فللحديث بقية في عدد قادم ، أو أعداد قادمة ..

وقد لفت نظري في المقالة جملتان للكاتب الفاضل - إحداهما قوله : (هذه حالة المفسرين .. فإنهم يربطون كل آية بقصة ، ويعتقدون أنها سبب نزول هذه الآية . ولكن المحقق - كما يرى ولي الله الدهلوي - أن الغاية الأساسية من نزول القرآن هي تهذيب النفوس البشرية ، والقضاء على العقائد الباطلة ، والأعمال الفاسدة الخ) .

● قلت : إن هذا الحكم على عامة المفسرين بأنهم يربطون كل آية بقصة .. الخ ، غير سليم ، وغير واقعي . فالآيات التي نزلت لأسباب من حوادث أو مخالفات أو أسئلة وجهها الصحابة أو الوافدون على الرسول ﷺ محدودة ومعروفة في كتب التفسير ، وفي الكتب الخاصة بأسباب النزول وحدها . ومن ناحية أخرى هناك قاعدة عامة أو أصل معروف بين أصول علم التفسير .. وهو : (أن العبرة بعموم اللفظ .. لا بخصوص السبب) وكافة المفسرين

يخضعون لهذه القاعدة أو هذا الأصل في تفسير آيات القرآن ،
وليس (ولى الله الدهلوى) وحده هو الذى يرى ذلك .
هذه واحدة ..

● أما الثانية .. فقول الكاتب الفاضل : «إنه - أى الرسول
ﷺ - لم يتصرف فى الحوادث التاريخية بنفسه ، ولم يتلقها من
أحبار اليهود أو النصارى كما يزعم بعض المستشرقين - حقيقة : إنه
من الحق التحويل فى هذا الشأن مادام الرسول ﷺ لم يلق أحبار
اليهود ولا رهبان النصارى ولم يثبت اتصاله بهم» !

- قلت : صدر الجملة صحيح ؛ فالرسول ﷺ نقل إلينا
القرآن كما أنزل لم يتصرف فى أحكامه وقصصه بتحريف أو تبديل ،
ولم يأخذ شيئاً من أحبار اليهود ولا رهبان النصارى ويدخله فى
القرآن أو سنته القولية والفعلية .

ولكن ختام الجملة - وقد عزاه الكاتب إلى الدكتور صبحى
الصالح فى كتابه «مباحث القرآن» - غير صحيح .. فإن الرسول
ﷺ كان يلتقى ويجتمع بأحبار اليهود ورهبان النصارى فى المدينة
المنورة .. وكانت تثار بينه وبينهم مسائل وحوارات حول العقيدة
والشريعة ، ونزلت بعض آيات القرآن الكريم بالفصل فى هذه
القضايا والشبهات التى أثاروها أو سألوا عنها . وهذا لا يعنى طبعاً أنه
ﷺ أخذ عنهم ، أو اقتبس من التوراة والانجيل شيئاً من أحكام
القرآن وآدابه وقصصه كما يفترى المفترون منهم ..

.. وذلك كسؤالهم للنبي ﷺ عن (الروح) - وموقفهم من
عبد الله بن سلام قبل إعلان إسلامه وبعده .. من ثنائهم عليه بين

يدى الرسول ﷺ ، ثم ذمهم إياه بعد أن أعلن إسلامه -
واحتكامهم إليه ﷺ في قضية زنا بعضهم وزعمهم أن التوراة لا
تحكم برجم الزاني الخ .

وهناك أيضاً لقاءات تمت بينه ﷺ وبين وفود من نصارى
نجران والحبشة وغيرهما بالمدينة .

حول الأنبياء والرسول

وقرأت في جريدة (عكاظ) ١١/٢٨/١٣٩٧ - كلمة عن
(النبي .. والرسول) يقول فيها كاتبها : «هناك فرق بين النبوة
والرسالة - فالرسالة أعم من النبوة حيث يمكن القول : إن كل
رسول نبي وليس كل نبي رسولاً - فالنبي هو الذى أوحى الله إليه
بشرع ولم يأمره بتبليغه .. كنبى الله يوسف . أما الرسول فهو الذى
أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه كسيد الخلق محمد ﷺ ..»

● قلت : إن التفريق بين تعريف النبي والرسول - قد عرفناه منذ
دراستنا الابتدائية .. ولكن بعد دراستنا للقرآن الكريم وتفسيره
أصبحنا لا نسلم بهذا التفريق .. وأقرب دليل على ذلك ما ذكره
الكاتب نفسه ، فقد ضرب المثل على تعريف (النبي) بسيدنا يوسف
عليه السلام .. أى أنه - كما عرفه - أوحى الله إليه بشرع ولم يأمره
بتبليغه .. فى حين أن القرآن صريح فى أن يوسف كان رسولاً وأنه
بلغ ما أوحاه الله إليه من رسالة ..

هذه الآية (٣٤) من سورة «غافر» تقول : ﴿ولقد جاءكم
يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به ، حتى إذا

هلك قاتم لن يبعث الله من بعده رسولاً ، كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ﴿ .

فآلية صريحة في أن يوسف عليه السلام جاء إلى المصريين بالبينات .. وأنهم كانوا في شك مما جاءهم به ، حتى إذا مات قالوا لن يأتيهم رسول من بعده .. فلو كان يوسف لم يؤمر بإبلاغ ما أوحى الله إليه من البينات لما كان من المصريين هذا الموقف المكابر المعاند ثم قولهم إنه لن يأتيهم رسول من بعده .

وورود كلمة (رسول) في موقف بنى إسرائيل تدل على أن يوسف كان رسولاً ، وإلا لقالوا : (لن يبعث الله من بعده نبياً) ونحن لا نتصور أن الله يوحى إلى رجل ما بشرع له وحده ولا يأمره بتبليغه للناس .. إذ ما فائدة هذا (الشرع) الذى يتلقاه رجل واحد ينفرد به دون الناس ؟

ونرى أن النبى التالى الذى بعث مجدداً لرسالة نبى قبله دون زيادة أو تبديل لبعض عقيدتها أو شريعتها - هو رسول أيضاً وليس نبياً فقط .. لأنه أرسل فعلاً إلى قوم أو أمة ليذكروهم بما هجروه من دينهم الذى جاءهم به الرسول السابق .

كما نرى آيات كثيرة من القرآن الكريم تذكر موقف بنى إسرائيل من أنبيائهم الذين أرسلوا تبعاً لهم بالنص الآتى : ﴿ويقتلون النبيين بغير الحق﴾ فلو لم يكن هؤلاء الأنبياء رسلاً ما تعرضوا للقتل بسبب تبليغهم ما أوحى الله إليهم من شرع إلى بنى إسرائيل .. وإذن فهذا التفريق بين النبى والرسول غير مسلم به . وقد تكون

لنا عودة لمزيد من التفصيل والتدليل .

حول الحتمية التاريخية

فى لقائنا اليوم عبر (دراساتنا القرآنية) نتأمل بعض الآيات .. مما يتناوله القراء والكتاب بالحديث عنه أو الاحتجاج به فى بعض القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ..

يطلق بعضهم جملة (حتمية التاريخ) قاصدين بها ما يحدث أو ما ينزل بالأمم من أحداث أو تغيرات نتيجة لانحرافها عن الحق أو انصرافها عن الخير .

وأرى أن ما ينبغى أن يطلق على هذه الأحداث البشرية أو التبديلات الكونية : (سنة الله) أو (القانون الالهي) فنحن المسلمين مؤمنون بالله رباً خالقاً رازقاً ، ومدبراً مصرفاً لأموال البشر وقوانين الكون - وهذا هو فرق ما بيننا وبين الماديين الملحددين .

والسبب أو العلة فى هذا الفرق أو التفريق : هو الإيمان بوجودنا فى صدورنا ومفقوداً عندهم . فنحن نؤمن (بالله) رباً للناس وإلهاً للناس ، وملكاً للناس - وهم لا يؤمنون .

وسوف نضرب بعض الأمثلة لما يسمونه (حتمية) التاريخ ونسميه نحن سنة الله أو الحتمية الالهية .

● يقول الله عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ﴾ .^(١)

● ويقول أيضاً : ﴿وَلَا يَحْزِقُ الْكُفْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ .^(٢)

(١) سورة الرعد ١١ . (٢) سورة فاطر ٤٣ .

● ويقول كذلك : ﴿.. ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾ .^(١)

ولكن لهذه الحتمية الإلهية ، أو سنة الله اللازمة أو قانونه الثابت شرطاً أو قيداً لا بد من توفره .. وهو ما توضحه وتحلله منه آية تالية في السورة نفسها - سورة النساء - وهو قوله تبارك وتعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخلوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين .. أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً﴾^(٢) فقانون الله أو سنته الجارية بنصر المؤمنين على الكفار مشروطة أو مترتبة على عدم اتخاذ المؤمنين للكافرين أولياء وأصدقاء ، فإن فعلوا ذلك جعلوا لله عز وجل حجة عليهم في تخليه عن نصرهم ، وخذلان عدوهم . ويعود القرآن فيؤكد الحتمية الأولى بشرطها في سورة المائدة : ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا .. الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ .^(٣)

وهناك حتمية إلهية أخرى ، أو سنة الله عز وجل في قوله تبارك وتعالى : ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾^(٤) إلى جانب آيات أخرى مماثلة تقرر وعد الله الذي لا يخلف باستجابة دعاء المؤمنين . ولكن هذه الحتمية الإلهية كغيرها مقيدة بقيد ومشروطة بشرط .. هو الإيمان الصافي من الشك ، واجتناب أكل الحرام ، وخلو الدعاء من الإثم وقطيعة الرحم .. وهذا ما تشير إليه الأحاديث

(١) سورة النساء ١٤١ . (٢) سورة النساء ١٤٤ .

(٣) سورة المائدة ٥٥ ، ٥٦ . (٤) سورة غافر ٦٠ .

النبوة المتعددة التي تشترط لاستجابة الدعاء أن يكون مأكل
الداعي ومشربه وملبسه حلالاً ، وألا يدعو بإثم أو قطيعة رحم .

ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً

● يقول الله عز وجل : ﴿لَنَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا ، وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا سَخِرَاءَ وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (١) .

ومعنى ذلك أن الاسلام يعطى كل ذى حق حقه ، ويمنح أجر
العمال والموظفين على قدر كفاياتهم وثقافتهم وجهودهم . لأنهم لا
يتساوون في الطبائع والملكات والقدر ، ولا يتفوقون في الحلقة
والجبلية والتفكير . ولذلك ينبغي أن يلاحظ العدل في إعطاء كل
عامل وموظف ما يستحق إزاء كفايته وثقافته وجهده وعمله ، ولا
يتساوى الكسول مع النشيط ، والجاهل مع العالم ، والبليد مع
الحبير . فاختلاف الأجور والمرتبات ضرورى ولازم لاختلاف
الامكانيات والوظائف .

ولكن التسخير - في الآية - ليس معناه الاستعلاء والكبرياء من
طبقة على طبقة ، وإنما معناه أن كل إنسان أو عامل أو موظف له
كفايته وثقافته الإدارية ، وقدرته الخاصة على أداء عمل معين
ومحدد . بحيث يؤدي كل واحد عمله أو وظيفته في مجاله وحسب
استطاعته في حدود علمه الادارى وبذلك يقوم المجتمع الإنسانى
بتعاون أفراده على أداء أعمالهم كل في ميدانه وفي حدود عرفانه .

(١) سورة الزخرف ٣٣ .

ومعنى الآية الكريمة : أن العامل مسخر للمهندس ، والمهندس مسخر لصاحب العمل ، وهذان الأخيران مسخران للعامل أيضاً .. وكذلك الموظفون الصغار مسخرون للأعمال الكتابية والادارية البسيطة الهينة ، والكبار متفرغون للمهام الكبيرة .

وهناك المستشارون المختصون بإبداء آرائهم حول ما يراد تنفيذه من أعمال جديدة ، أو مشكلات عارضة ، أو خلافات طارئة .. وهكذا تجد أن توزيع الاختصاصات والأعمال على طبقات مختلفة وفقاً لثقافتهم ومواهبهم وقدراتهم المتباينة - ضرورى لقيام المجتمعات ونجاحها . وهو أمر طبيعى وشرعى من وجهة نظر الإسلام .

حتى يعطوا الجزية عن يد ..

● ويقول الله عز وجل : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ . ﴾ (١)

وفهم أعداء الإسلام ومن تتلمذ على أيديهم وأفكارهم من المسلمين - يفهمون هذا الحكم القرآنى على غير معناه ، فهم مرة يقولون : أنه الاكراه والارغام فيه . أن يؤمن غير المسلمين بالإسلام أو يعطوا الجزية عن يد - وهم صاغرون وزعمون مرة أخرى : أنه دين مادى يفرض الضرائب على تخلفيه . والذين يحسنون الظن من الكتاب المسلمين - مع تأثرهم بآراء أساتذتهم من المستشرقين -

(١) سورة التوبة ٢٩ .

يقولون : إن الجزية في مقابل الاسلام فإما اسلام وإما جزية ..
والحقيقة المستنبطة من تاريخ تعامل الخلفاء والأمراء والقادة
العسكريين في العصور الاسلامية الأولى هي :
- أولاً : أن الجزية : هي علامة لالقاء أعداء الاسلام
سلاحهم ، وكفهم عن مقاتلة المسلمين ، ومعارضة الدعوة
الاسلامية ، وإفساح المجال أمامها ليدخل فيها من أحب دون اكراه
أو ارغام .

- ثانياً : أنَّ الجزية تؤخذ في مقابل حماية الدولة الاسلامية
لأموال هؤلاء الذميين وانفسهم ولا أدل على ذلك من ردِّ أبي
عبيدة عامر بن الجراح لأهل الشام جزيتهم وخراجهم عندما بلغه
أن الروم قد جمعوا للمسلمين ، فهو وجنده لا يستطيعون حماية
هؤلاء الذميين . لأنهم سيتفرغون لقتال الروم . وجاء في كتابه لهم :
« إنما رددنا لكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع الروم لنا من
الجموع ، وإنكم قد اشترطتم علينا إن نمنعكم ، وإنَّا لا نقدر على
ذلك ، وقد رددنا لكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشرط وما
كتبنا بيننا إن نصرنا الله »^(١)

استدلال بغير دليل حول قتل الإنسان للإنسان

في مجلة (الوعي الإسلامي) عدد جمادى الأولى سنة ١٣٩٣هـ
بحث قيم عن «القصاص في نكح العالم الجليل الأستاذ عبد الكريم

(١) كتاب الحراج - لابي يوسف .

الخطيب - تحدث فيه عن جريمة القتل ، وكيف أنها عدوان على نفس بريئة ، وحرمان لها من الحياة ، ولأسرتها وذريتها من رعايتها وعنايتها بها . وكل ما ذكره الأستاذ الخطيب من شناعة وفظاعة من جريمة القتل صحيح وحق ..

ولكن الأستاذ الخطيب - بعد ذلك - استدل على تشنيعه وتفظيعه لجريمة القتل بآية من سورة مريم قائلاً : ليشعر القاتل ، ولتشعر الحياة كلها بأن أمراً عظيماً فظيعاً قد حدث «تكاد السماوات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً» .

إن هذه الآية القرآنية سبقتها آيتان متصلتان بها اتصالاً تاماً ، ولحقتهما آيتان لها الصفة نفسها ، وموضوعها واحد هو ادعاء الكفار على الله عز وجل بالوالدية : ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إداً - تكاد السماوات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هداً : أن دعوا للرحمن ولداً - وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً﴾ .

فلا استدلال بها في موضوع قتل الإنسان للإنسان عمداً أو خطأ ، لا يصح ، لأنها جاءت في موضوع قضية تهيئة أخطر وأكبر وهي دعوى «الوالدية» لله تبارك وتعالى عما يقولون علواً كبيراً . وإنما يصح أن يكون استدلال الأستاذ الخطيب على شناعة قتل الإنسان للإنسان وفظاعته ، وتشديد الله عز وجل في تجريمه ، وتحريمه بآية من القرآن نزلت في موضوعه ، وفصلت في قصيته ، وهي قوله تبارك وتعالى : ﴿من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل : انه من قتل نفساً بغير نفس ، أو فساداً في الأرض .. فكأنما قتل

- الناس جميعاً ، ومن أحيائها فكأنما أحيأ الناس جميعاً ...
- فلكل مقام مقال ، ولكل قضية تعليل واستدلال .
 - وهناك فرق بعيد جداً بين دعوى الوالدية للأحد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .. وبين من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض .
- والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

أكلة الربا يوم القيامة

فى مجلة «الدعوة» السعودية الصادرة بتاريخ ١٤٠٢/٢/٤ هـ مقال قيم بعنوان (المعنى البياني لآية كريمة) بقلم الدكتور محمد رجب البيومى تحدث فيه عن قوله تبارك وتعالى : ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس﴾^(٢) ثم أورد رأى الشريف المرتضى فى تفسيرها وهو : «أن ما وصفهم الله به يكون عند قيامهم من قبور ، فيلحقهم العثار والزلل والتخبط على سبيل العقوبة .. الخ .

وعقب الدكتور البيومى على ذلك بقوله : «لا أدري كيف حمل الشريف المرتضى الآية على المبعوثين من قبورهم ، وليس فى النص القرآنى دليل على تصوير البعث الأخرى ..» ووصفه بأنه قول عجيب !!

* * *

وأرى أن الشريف المرتضى لم يأت بشيء غريب ولا عجيب ،

(١) سورة المائدة ٣٢ . (٢) سورة البقرة ٢٧٥ .

فقد سبقه إلى ذلك المفسرون والمحدثون بما يشبه الإجماع على أن هذه الصورة التي صوّرها القرآن أكلة الربا إنما هي صورة لهم في الآخرة ، أى عندما يبعثون يوم القيامة من قبورهم .

ونبدأ بما ذكره فضيلة الشيخ محمد على الصابوني في كتابه الجامع «صفوة التفاسير» الذي اختصر فيه أقوال المفسرين القدامى والعصرين - الطبري ، والزمخشري ، والقرطبي ، والألوسي ، وابن كثير ، وأبي حبان وغيرهم -

فقد أورد - بعد الآية موضوعة البحث - رأى هؤلاء المفسرين في أكلة الربا : «بأنهم لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلّا كما يقوم المصروع من جنونه .. يتعزّز ويقع ولا يستطيع أن يمشي سواً - إنهم يقومون مخبلين كالمصروعين ، فتلك سيّاهم يعرضون بها في الموقف هتكاً لهم وفضيحة»^(١)

ونضيف إلى ما جاء في «صفوة التفاسير» ما ذكره الإمام الحافظ ابن كثير في تفسيره^(٢) من أن أكلة الربا : «لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلّا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخطّ الشيطان له ، وذلك أنه يقوم قياماً منكراً» ثم أورد ابن كثير قول ابن عباس رضي الله عنهما : «آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً يخنق . ومثله عكرمة وقتادة والحسن .

ونقل ابن كثير أيضاً الحديث النبوي الذي رواه ابن أبي حاتم والامام أحمد ونصه : «قال رسول الله ﷺ أتيت ليلة أُسرى بي

(١) ج ١ ص ٧١٤ .

(٢) ج ١ ص ٣٢٦ .

على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات تجرى من خارج بطونهم -
 فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا !
 وقد حدثنا الرسول ﷺ - في حديث الاسراء والمعراج - عن
 مشاهد متعددة للمعذبين يوم القيامة من زنا وقتلة وسرقة وغيرهم .
 والحدث النبوى - وإن لم يكن صريحاً في تصوير أكلة الربا على
 ما جاء في القرآن - إلا أنه يقرب هذه الصورة بما وصف من بطونهم
 أشخاص كالبيوت تمثيلاً للربا الحرام الذى أكلوه في دنياهم ،
 وهى - في الوقت نفسه - تضطرهم لضخامتها وثقلها إلى الوقوع على
 الأرض مراراً كالمصروع من مس الشيطان تماماً .
 والحدث النبوى وآثار الصحابة والتابعين وأقوال المفسرين -
 فوق ذلك - تؤكد أن هذه الصورة لأكلة الربا ستكون يوم
 القيامة ، وليست في الدنيا كما يرى الدكتور البيومى .

حول الطفولة والشيخوخة

في تقدير القرآن

استمعت إلى (طبيب الاذاعة) ذات يوم وهو يذكر ما
 خلاصته ، إن الله عز وجل ، وهب للإنسان مناعة صحية في
 جسمه ضد الأمراض .. لم يتوصل الطب إلى معرفة أسبابها .. فثلاً
 الطفل الصغير إذا أصابه مرض السل كانت أصابته خطيرة ، أما إذا
 أصابه المرض نفسه وهو في سن المدرسة فإصابته أقل خطراً لأن
 لديه مناعة تقاوم المرض ، ولكنه يعود لخطورة الإصابة إذا وصل
 إلى طور الكهولة والشيخوخة .^(١)

(١) هو الطبيب السعودى الدكتور زهير أحمد الساعى .

هذا ما سمعته ، ولم أدوِّنه بلفظه . وإنما حفظت معناه ، وعبرت عنه بألفاظي وهو كلام طبي علمي لا غبار عليه ، ولكن الذى لفت نظري - أو لفت ذهني على الأصح - قوله : إننا لا نعرف أولاً يعرف الطب أسباب هذه المناة في المرحلة الوسطى من عمر الإنسان - وأنا لست طبيباً ، وطبيب الاذاعة أوثق مني في العلوم الطبية بلا جدال ، وأنا أحفظ لكل مختص مقامه ، وأحمل له احترامه .

ولكني أرى استنباطاً من الواقع واستناداً إلى أقوى المراجع وأوثقها - وهو القرآن الكريم .. كلام خالق الإنسان وهاديه ومدبره - أرى أن الطفل والشيخ معرّضان لخطورة الإصابة بالأمراض لأنهما في المرحلتين الأضعف من نعمة .. فضئولة والشيخوخة ضعيفتا المقاومة لمهاجمة العلل والأدواء .. أما المرحلة الوسطى مرحلة الشباب والفتوة والشباب فهي المرحلة الأقوى ، وهو أمر «واقع» فوق أنه علم وتجربة أيضاً .

والقرآن الكريم - وهو حديث من خَلَقَ فسوى ، وقَدَّرَ فهدى تبارك وتعالى - يؤكد هذه الحقيقة البيولوجية في قول الله عز وجل :

● ﴿اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ - ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً - ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً - يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ - وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(١)

وتكرر هذا المعنى - في سورة غافر - في قول الله تبارك وتعالى :

(١) سورة الروم ٤٥ .

﴿ثم يخرجكم طفلاً ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ثم لتكونوا شيوخاً﴾
فالشباب هو المرحلة الأشد والأقوى من عمر الإنسان بين الطفولة
والشيخوخة ..

وفي المحيط نفسه .. محيط الصحة والطب والاكتشافات
الحديثة ، نقرأ في بعض الصحف العربية عن حقيقة جديدة .. يعلنها
العلماء اليوم . وهي أن «الصوم» يؤدي إلى تغيير واضح في كيمياء
الجسم الإنساني .. حيث تزداد في حالة الصوم أنواع معينة من
(الهرمونات) فتكون سبباً في شفاء بعض الأمراض ، كالفصام
وأعراض نفسية أخرى .

ويضيف النبأ : أن العلماء يدرسون كيفية الاستفادة من
(الصيام) كأسلوب لمعالجة بعض الأمراض النفسية في المستقبل .^(١)
● قلت : إن الله عزَّ وجلَّ سبق أن قرر هذه الحقيقة العلمية
الصحية للصوم في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿وان تصوموا خير لكم﴾ كما
أكد ذلك رسوله الكريم ﷺ في قوله : (صوموا تصحوا -
والصيام نصف الصبر)^(٢) - فالقرآن الكريم والحديث الشريف
يقرران هذه الحقيقة الصحية للصيام .. بل إن تجارب الصائمين
تؤكدنها بما وجدوه في أنفسهم من عافية جسدية وشفاء روحي .
ونضيف هنا أن النبي ﷺ عالج الفورة الجنسية في أجساد
الشباب (بالصوم) في توجيهه الطبي الحكيم : (يا معشر الشباب من

(١) جريدة الأهرام ١٣٩٦/١/٦ هـ .

(٢) رواه الإمام أحمد .

استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج - فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء !

وهناك حقيقة علمية أخرى سبق إليها التفكير الاسلامي .. وقد جاءت الأنباء الصحفية الآن تؤكدها ، وهي أن (١٨٠) عالماً من علماء النفس في العالم الأوروبي والأمريكي اجتمعوا في مؤتمر علمي دعت إليه جامعة ويلز في بريطانيا للبحث عن أسباب الضحك ، «لماذا يضحك الإنسان» ! وقد أعلن - في هذا المؤتمر - الدكتور وليام فراي : أن كثرة الضحك تؤدي إلى الموت .^(١)

قلت : إن السيرة النبوية تنقل إلينا أن النبي ﷺ كان يبتسم بحيث تظهر أمانة السرور على محياه الكريم ولا يضحك بانفعال كما يفعل الناس - وروى عنه أنه قال : (كثرة الضحك تميمت القلوب)^(٢) .

وهكذا نرى أن الثقافة الإسلامية ضرورية لكل مسلم وبخاصة الشباب والطلاب الذين فتنوا بثقافة العصر وحضارته ، وصدقوا ما يقوله أعداء الاسلام : إنه دين رجعي بدوي لا حضارة له ولا ثقافة ولا تاريخ .. وهم كاذبون .

حول الملائكة

والتكرار في القرآن

القارئ الفاضل (غ . م . ش)^(٣) من الرياض يوجه عدة

(١) المصدر السابق - جريدة الأهرام . (٢) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه .

(٣) هو الأخ الفاضل : غالب محمد الشرباني - من الرياض .

مسائل عن الأضاحي والهدى وفي قصة الملائكة وآدم وإبليس -
وختصر الإجابة فيما يلي :

● أولاً : الآية ٣١ من سورة البقرة وهي قوله عز وجل : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا .. ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، فَقَالَ : أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ موجهة من الله عز وجل إلى الملائكة ومعناها إن كنتم صادقين في اعتراضكم على خلق آدم ودعواكم أن ذريته ستفسد في الأرض وتسفك الدماء ..

● ثانياً : القول الصائب في معنى قوله عز وجل : ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ إنه خطاب للملائكة أيضاً لأن الحوار مزال مستسر معهم . وقول ابن عباس وابن مسعود وابن جبير بأن المقصود ما يكتمه إبليس بعيد جداً لأن إبليس أعلن اعتراضه وامتناعه من السجود لآدم ، كما أعلن سبب ذلك : ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ .

وقد أضاف القرطبي الذي نقلت عنه - ص ٢٩٠ ج/١ - بعد قول ابن عباس وابن مسعود وابن جبير : (وقالت طائفة الابداء والمكتوم ذلك عن معنى العموم في معرفة أسرارهم وظواهرهم أجمع) وهذا هو الصواب في معنى (وما تكتُمون) انه خطاب للملائكة ، ولاداعي للبحث عما كانوا يكتُمون غير ما أبدوه من قولهم : ﴿اتَّجِعَلْ فِيهَا مَنْ يَفْسُدُ فِيهَا وَيُسْفِكُ الدِّمَاءَ ..﴾ ..

وهو ظاهرة قرآنية متكررة في كثير من الآيات في مثل قوله تبارك وتعالى : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ من سورة المائدة/٩٩ وقوله ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ من سورة النور/٢٩

ومثلها قوله : ﴿أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ من سورة البقرة ٧٧ ومثلها الآية ٥ من سورة هود - و ٢٣ من سورة النحل - وكذلك الآية : ﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾ من سورة القصص ٦٩ ومثلها الآية ٧٤ من سورة النمل الخ ..

والمقصود أو الهدف القرآني : هو تقرير أن الله عز وجل يعلم سر مخلوقاته وجهرهم سواء أكانوا ملائكة أو إنساً أو جنأ .

● ثالثاً : قوله تبارك وتعالى : ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾ الآية ، ليست من متعلقات فعل الشرط وجوابه : ﴿فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها ..﴾ الآية وليس فعل الشرط وجوابه محذوفين كما ذكرت في رسالتك وإنما هي معنى مستقل وجملة مستأنفة واضحة المعنى والمقصد والتوجيه فيها إلى لحوم الهدى والأضاحي خلال نسك الحج بصرف النظر عن أسباب النزول وتعددتها .

● رابعاً : التكرار ثابت في آيات القرآن ، ولا حجة لمن نفاه من العلماء .. لأن التكرار من أساليب العرب لبلاغية . والقرآن إنما جاء بلغتهم وعلى أساليب خطابهم . والأمثلة على ذلك كثيرة في آيات القرآن . ولا دعي لافتعال التأويل السخيف من أجل تنزيه القرآن عن التكرار باعتباره عيباً وهو ليس بعيب كما أسلفنا .

ارجع إلى القرآن لتجد التكرار في حديث القرآن عن خلق الإنسان من نطفة ثم علقه ثم مضغة - وحديثه عن خلق الأنعام للركوب والزينة والانتفاع بأصوافها وأشعارها وألبانها - وحديث القرآن عن خلق السماوات والأرض والنجوم وجعل الجبال رواسي

الخ .. وتكرار قصص الأنبياء في عدد من السور مع الاختصار تارةً
والإطالة تارة أخرى .

مباحث الكتاب

الموضوع	صفحة
المقدمة	٥
الفصل الأول	
موضوعات قرآنية :	٦
مفهوم الآية : ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾	٧
مفهوم الآية : ﴿خلق لكم من أنفسكم أزواجا﴾	٩
مفهوم الآية : ﴿وما يحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾	١٣
مفهوم الآية : ﴿ولا ياب الشهداء إذا ما دعوا﴾	١٦
الرؤيا الصادقة وأضغاث الأحلام	٢١
أيام الله وأيام البشر	٣٠
نزول الغيث بين القانون والإرادة	٣٥
وكل في ذلك يسبحون	٣٩
الفضيلة بين نظرتين	٤٤
ألا له الخلق والأمر	٤٨
مشيئة الخالق لا تحدى المخلوق	٥٣
الضمير في القرآن	٥٧
الدنيا بين الامتحان والامتحان	٦١
المال والنفس في ميزان القرآن	٦٦
القرآن هل هو معجزة أدبية فقط ؟	٧٦
هل الانفاق في مستوى الإيمان ؟	٨٣

- النفس الإنسانية في حديث القرآن ٨٦
الراسخون في العلم ٩٧

الفصل الثاني

قضايا قرآنية :

- القرآن صريح في إثبات السحر والحسد ١٠٥
القرآن والعلم الحديث ! ١٢٦
حوار مع الدكتور مصطفى محمود ١٥٣
حوار مع الشيخ على الطنطاوى ١٦٧
هل كان الرسول يعلم الغيب ؟ ١٧٢
مصادر القرآن كما يقررها القرآن ١٧٩
اليهودية بدأت مع موسى ١٨٦
خطاب القرآن لأهل الكتاب خطاب لنا ١٩٤
المسألة الجنسية وامرأتنا نوح ولوط وبناته ٢٠٢
التحكم في نوع الجنين ، والأرحام الصناعية ، ومفتاح الغيب ٢١٣
القرآن هل حرم تعدد الزوجات ؟ ٢٣٠
هل نملك نحن نحرّم التعدد ؟ ٢٤٠

الفصل الثالث

حول لغة القرآن وترجمته وتلاوته :

- هل نزل جبريل بمعاني القرآن ؟ ٢٤٦
كلمات القرآن عربية كلها ٢٤٨
ترجمة القرآن حرفيا غير ممكنة ٢٥٦
حول كتابة المصحف بالحروف اللاتينية ٢٥٨
ملاحظات على قراء القرآن ٢٦٢

ملاحظات على تحزيب القرآن ٢٦٦

الفصل الرابع

هوامش وتعقيبات :

- ٢٧١ حول التفسير والمفسرين
٢٧٣ حول الأنبياء والرسل
٢٧٥ حول الحتمية التاريخية
٢٧٧ ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ..
٢٧٨ حتى يعطوا الجزية عن يد ..
٢٧٩ حول قتل الإنسان للإنسان
٢٨١ أكلة الربا يوم القيامة
٢٨٣ الطفولة والشيخوخة في تقدير القرآن
٢٨٦ الملائكة والتكرار في القرآن

صدر من هذه السلسلة

المؤلف

الكتاب

- ١ - تأملات في سورة الفاتحة ————— [الدكتور حسن باجودة]
- ٢ - الجهاد في الإسلام مراتبه ومطالبه ————— [الأستاذ أحمد محمد جمال]
- ٣ - الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ————— [الأستاذ نذير حمدان]
- ٤ - الإسلام الفاتح ————— [الدكتور حسين مؤنس]
- ٥ - وسائل مقاومة الغزو الفكري ————— [الدكتور حسان محمد حسان]
- ٦ - السيرة النبوية في القرآن الكريم ————— [الدكتور عبد الصبور مرزوق]
- ٧ - التخطيط للدعوة الإسلامية ————— [الدكتور علي محمد جريشة]
- ٨ - صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية ————— [الدكتور أحمد السيد دراج]
- ٩ - النوعية الشاملة في الحج ————— [الأستاذ عبد الله بوقس]
- ١٠ - الفقه الإسلامي آفاه وتطوره ————— [الدكتور عباس حسن محمد]
- ١١ - شحات نفسية في القرآن الكريم ————— د. عبد الحميد محمد الهاشمي
- ١٢ - السنة في مواجهة الأباطيل ————— [الأستاذ محمد طاهر حكيم]
- ١٣ - مولود على الفطرة ————— [الأستاذ حسين أحمد حسون]
- ١٤ - دور المسجد في الإسلام ————— [الأستاذ علي محمد مختار]
- ١٥ - تاريخ القرآن الكريم ————— [الدكتور محمد سالم محيسن]
- ١٦ - البيئة الإدارية في الجاهلية وصدر الإسلام ————— [الأستاذ محمد محمود فرغلي]
- ١٧ - حقوق المرأة في الإسلام ————— [الدكتور محمد الصادق عفيفي]
- ١٨ - القرآن الكريم كتاب أحكت آياته [١] ————— [الأستاذ أحمد محمد جمال]
- ١٩ - القراءات أحكامها ومصادرها ————— [الدكتور شعبان محمد اسماعيل]
- ٢٠ - المعاملات في الشريعة الإسلامية ————— [الدكتور عبد الستار السعيد]
- ٢١ - الزكاة فلسفتها وأحكامها ————— [الدكتور علي محمد العماري]
- ٢٢ - حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم ————— [الدكتور أبو اليزيد العجمي]

الكتاب

المؤلف

- ٢٣ - الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا ————— [الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
- ٢٤ - الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ————— [الدكتور عدنان محمد وزان]
- ٢٥ - الإسلام والحركات الهدامة ————— [معالي عبد الحميد حموده]
- ٢٦ - تربية النشء في ظل الإسلام ————— [الدكتور محمد محمود عمارة]
- ٢٧ - مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامى ————— [الدكتور محمد شوقى الفنجرى]
- ٢٨ - وحى الله ————— [الدكتور حسن ضياء الدين عتر]
- ٢٩ - حقوق الإنسان وواجباته في القرآن ————— [حسن أحمد عبد الرحمن عابدين]
- ٣٠ - المنهج الإسلامى في تعليم العلوم الطبيعية ————— [الأستاذ محمد عمر القصار]
- ٣١ - القرآن كتاب أحكمت آياته [٢] ————— [الأستاذ أحمد محمد جمال]
- ٣٢ - الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج ————— [الدكتور السيد رزق الطويل]
- ٣٣ - الاعلام في المجتمع الإسلامى ————— [الأستاذ حامد عبد الواحد]
- ٣٤ - الالتزام الدينى منهج وسط ————— [عبد الرحمن حسن حنكة المبدانى]
- ٣٥ - التربية النفسية في المنهج الإسلامى ————— [الدكتور حسن الشرقاوى]
- ٣٦ - الإسلام والعلاقات الدولية ————— [الدكتور محمد الصادق عفيفى]
- ٣٧ - العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية ————— [اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ]
- ٣٨ - معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها ————— [الدكتور محمود محمد بابلى]
- ٣٩ - النهج الحديث في مختصر علوم الحديث ————— [الدكتور على محمد نصر]
- ٤٠ - من التراث الاقتصادى للمسلمين ————— [الدكتور محمد رفعت العوضى]
- ٤١ - المفاهيم الاقتصادية في الإسلام ————— [د. عبد العليم عبد الرحمن خضر]
- ٤٢ - الأقليات المسلمة في أفريقيا ————— [الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
- ٤٣ - الأقليات المسلمة في أوروبا ————— [الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
- ٤٤ - الأقليات المسلمة في الأمريكتين ————— [الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]

الكتاب

المؤلف

- ٤٥ - الطريق إلى النصر ————— [الأستاذ محمد عبد الله فوده]
- ٤٦ - الإسلام دعوة حق ————— [الدكتور السيد رزق الطويل]
- ٤٧ - الإسلام والنظر في آيات الله الكونية — [الدكتور محمد عبد الله الشرقاوى]
- ٤٨ - دحض مقتريات ————— د . البدر اوى عبد الوهاب زهران]
- ٤٩ - المجاهدون في فطاني ————— [الأستاذ محمد ضياء شهاب]
- ٥٠ - معجزة خلق الإنسان ————— [د . عبد الرحمن عثمان]
- ٥١ - مفهوم القيادة في إطار العقيدة الإسلامية — [الدكتور سيد عبد الحميد مرسى]
- ٥٢ - ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربى والماركسى — أنور الجنى ————— [د . محمد أحمد البابلي]
- ٥٣ - الشورى سلوك والتزام ————— [د . محمد أحمد البابلي]
- ٥٤ - الصبر في ضوء الكتاب والسنة ————— [أسماء عمر فدعق]
- ٥٥ - مدخل إلى تحصيل الأمة ————— [د . أحمد محمد الحرايط]
- ٥٦ - القرآن كتاب أحكت آياته ————— [الأستاذ أحمد محمد جمال]
- ٥٧ - كيف تكون خطيباً ————— [الشيخ عبد الرحمن خلف]
- ٥٨ - الزواج بغير المسلمين ————— [الشيخ حسن خالند]
- ٥٩ - نظرات في قصص القرآن ————— [محمد قطب عبدالعال]
- ٦٠ - اللسان العربى والاسلامى معاً في مواجهة التحديات — [الدكتور السيد رزق الطويل]
- ٦١ - بين علم آدم والعلم الحديث ————— [الأستاذ محمد شهاب الدين الندوى]
- ٦٢ - المجتمع الإسلامى وحقوق الإنسان ————— [الدكتور محمد الصادق عفيفى]
- ٦٣ - من التراث الاقتصادى للمسلمين ٢ ————— [د . رفعت اعوضى]
- ٦٤ - تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد ————— [الأستاذ عبد الرحمن حسن حنكه]
- ٦٥ - لماذا وكيف أسلمت ————— [الأستاذ أحمد سامى عبد الله]
- ٦٦ - أصلح الأديان عقيدة وشريعة ————— [الأستاذ عبد الغفور عطار]
- ٦٧ - العدل والتسامح الإسلامى ————— [الأستاذ أحمد الخرنجى]

مطابع رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة

مطابع رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة